

# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١)

علي‌رضا بناهيان




الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ
المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فی مدينة طهران
الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١)

**بين يديك أيها القارئ الكريم هو ملخص الجلسة الأولى من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران. بدأت بترجمتها من الفارسية لما تنطوي على أبحاث بديعة وراقية جدا. فأسأل الله أن يعينني على إنهاء السلسلة بتمامها و يتقبل العمل بأحسن قبول.**

## لابدّ أن نحصل على رؤية تجاه النظام القائم في معارف ديننا وإرشاداته

يحتاج الإنسان بين الحين والآخر أن ينظم ويرتّب ذهنه، كما هو الحال في أجهزة الحاسوب حيث نحتاج تارة إلى تعديل ملفاته ومسح بعضها وإعادة تنسيقها وتبويبها. فإذا لم نقم بتنظيم وفهرسة معلومات الجهاز بشكل صحيح، لن نقدر على استخدامها بالشكل المطلوب بطبيعة الحال. وهذا ما يحدث في ذهن الإنسان أيضا؛ حيث إننا نعرف الكثير من المعارف والإرشادات الدينية ولكن ينبغي أن ننظمها في الذهن. إنّ تبعثر المعلومات في الذهن يسبّب الضياع ويمنعنا من الوصول إلى أيّ هدف مطلوب. فأحد أهدافنا في هذه السلسلة من الجلسات هي أن نبحث عن خيط يلمّ خرز الفضائل والإرشادات والمعارف الدينية في سبحة واحدة. فلولا هذا الخيط لانفرطت خرز هذه السبحة. فلابدّ أن نحصل على رؤية تجاه النظام القائم في معارف ديننا وإرشاداته.

## إن تنظيم المعارف الدينية حول محور رئيس واحد، يمكننا من صرف طاقتنا بشكل صحيح، وأن لا نفرط بإمكاناتنا

فإذا استطعنا أن ننظّم جميعَ الإرشادات الدينيّة حول محور رئيسيّ واحد، عند ذلك سوف نعرف في ماذا نصبّ كل طاقتنا. وحينئذ سوف لا نفرّط بوقتنا وإمكاناتنا وسوف نعرف ما يجب الحفاظ عليه ولا شك في أن مثل هذه المراقبة تثمر وتصيب الهدف. إن كثيرا من المعارف الدينية ولا سيّما المعارف الأخلاقية مبعثرة وغير منظّمة لدى هواتها كما أن أكثر الكتب الأخلاقيّة والمعنويّة لا تعالج هذا التبعثر وأحيانا تزيد في تناثرها وبعثرتها. إن كثيرا من الكتب الأخلاقية تسطّر مجموعة من الفضائل والرذائل الأخلاقية معا بيد أنها لا توضح العلاقة القائمة بينها بشكل دقيق.

## بسبب عدم انسجام المعارف الأخلاقية لدى هواة هذه الأبحاث، لا يدرى من أية فضيلة لابدّ أن ننطلق إلى تحصيل الفضائل./ تبعثر المعارف الدينية أحد الدواعي للابتعاد عن الدين

كما أنه بسبب عدم انسجام المعارف الأخلاقية لدى أذهان هواتها، لا يدرى في كثير من الأحيان من أية فضيلة لابدّ أن ننطلق إلى تحصيل الفضائل. وهذا ما يسبب أزمة لدى الإنسان ويجعله في حيرة من أمره. بينما نجد في معارفنا الدينية نظاما تتناسق فيه جميع المعارف، بيد أن عدم إدراك هذا النظام جعلنا نتعامل مع هذه المعارف بضعف أو نعتبر العمل بهذه الأحكام والمعارف أشبه بالمستحيل. إن أحد أسباب ابتعاد البعض عن الدين هو هذا التبعثر وعدم التناسق الذي شاهدوه في المعارف الإسلامية. ومن جانب آخر إنّ فهم النظام القائم في المعارف الدينية يبدو ضروريا على من هم بصدد النّشاط الثقافي حتى لا يتحيّرون في أمرهم عند تشخيص الأولويات وتحديد ما يجب تناوله قبل أي موضوع آخر.

## إن تنسيق معلوماتنا الدّينيّة في نظام واحد يزيدنا شوقا واندفاعا في حركتنا، ويمكّننا من مراقبة أنفسنا، كما أنه يضمن النتيجة لمراقباتنا

الكلام الأوّل الذي نقف عنده كضرورة هو أننا بصدد تنسيق معارفنا ومعلوماتنا الدينية. فإن هذا التنسيق يعالج مشكلتنا في تحديد الأهداف ويزيدنا شوقا واندفاعا في حركتنا. كما أن هذا النظام يقوينا على مراقبة النفس ويجعل هذه المراقبات مثمرة صائبة.

## لابدّ لنا من هذا النظام في سبيل تقييم أنفسنا

إن بعض ما يسببه هذا التشتّت والتبعثر في المعارف هو أن بعض الناس أناس صالحون بيد أنهم في جهل من محاسن وجودهم، وفي المقابل ترى بعض الناس سيئين ولكن يعتبرون أنفسهم صالحين، وهذا ما هو ناتج من عدم انتظام المعارف في أذهان الناس. فنحن بحاجة إلى هذا النظام حتى في سبيل تقييم أنفسنا.

## إن فهم هذا النظام ضروري حتى أثناء مناجاتنا مع الله/ فيا ترى من أي نقص نتوب إلى الله؟

إن فهم هذا النظام ضروري حتى أثناء مناجاتنا مع الله، إذ أثناء ما يستغفر الإنسان ويناجي ربه، لابدّ أن يعرف النقص والتقصير الذي ينبغي أن يتوب منه إلى الله. ينبغي للإنسان أن يعرف مرضه كي يبحث عن الدواء ببصيرة وروية.

## إن جهاد النفس هو ذاك الخيط الرابط بين خرز الفضائل كلّها/ إن خط العمل في ديننا هو جهاد النفس

لقد استخدم نبينا الأعظم(ص) عبارة لجهاد النفس يودّي أن أستخدمها في مقام التعريف بموضوع بحثنا. إن الجهاد في سبيل الله من أهمّ الأعمال وأروعها وواحدة من النتائج التي قد يصل إليها الإنسان أثناء الجهاد هي الشهادة في سبيل الله وما تشتمل عليه من أجواء الحبّ والعشق. ولكن أثناء ما كان يرجع الرسول الأعظم(ص) من مثل هذا الجهاد، عبّر عن الجهاد وما ينطوي عليه من شهادة وتضحية وفداء بالجهاد الأصغر ثم حرّض المسلمين بالخوض في الجهاد الأكبر. إذن موضوع كلامنا في هذه الأبحاث هو «جهاد النفس» الذي أعتبره الخيط الرابط بين خرز الفضائل برمّتها. هذه هي الاستراتيجية الرئيسة في التربية الدينية وسوف نتناولها بالبحث والنقاش وندرس ماهيتها وكيفيتها بالتفصيل إن شاء الله.

## إن مدى قيمة كل امرء هو بمقدار اهتمامه بجهاد النفس/ مدى تلوّث الإنسان مرتبط بمقدار أخطائه في عملية جهاد النفس

إن الموضوع الرئيس في التربية الدينية هو جهاد النفس؛ لا مواضيع أخرى كالحسد والتكبر والخمول والحرص والحسرة والصدق والرأفة وغيرها من فضائل ورذائل. طبعا من المؤكد أن قد تبادرت في أذهانكم بعض الأسئلة والاستفسارات عن سبب هذا التحديد. فلعلكم تسألون إذن ما هو شأن الولاية مع ما تشتمل عليه من أهيمة بالغة؟ ولماذا لم نستبدل جهاد النفس بالعبادة ولم نقل أن هذا الخيط يتمثل بالعبادة؟

فسوف نبحث ذلك في جلسات طويلة ونشير إلى موقع كل من العبادة والولاية وبعض الفضائل المهمة في المنظومة الدينية. ولكن إن خط العمل في التربية الدينية هو محاربة الأميال النفسانية. إن مدى قيمة كل امرء هو بمقدار اهتمامه بجهاد النفس. وفي المقابل يرتبط مدى تلوّثه بالذنوب والرذائل بمقدار أخطائه في عملية جهاد النفس. هذا هو المعيار المهم في تقييم الناس فلا يمكن تقييمهم من خلال مدى صدقهم وكذبهم ومدى تواضعهم وكبرهم وحسب، بل يتمّ ذلك من خلال ميزان جهاده أو تبعيته لنفسه. فإن فشل أحد في عملية جهاد النفس، سوف يظهر فشله في ظهور بعض الرذائل كالحسد والكبر والحرص وغيرها. وإذا نجح الإنسان في عملية جهاد النفس، سوف يظهر بعض هذا النجاح في التزامه بأوقات الصلاة ويظهر بعضه في أخلاقه الطيبة مع الآخرين، وهكذا يظهر في باقي الفضائل والمحاسن.

## ما هي العلاقة بين شهر رمضان وموضوع جهاد النفس؟

بإمكاننا أن نتحدث عدة جلسات لنبيّن ما هي العلاقة بين شهر رمضان وموضوع جهاد النفس، وهل من المناسب أن نطرح هذا الموضوع في هذا الشهر أم لا؟ ولكني أكتفي بنقل كلمة للإمام الخميني(ره) حيث إنكم تودّونه وتعتقدون به وأعفيكم عن استماع عدة جلسات في سبيل إثبات شدة الترابط بين موضوع جهاد النفس وشهر رمضان. لقد قال الإمام الخميني(ره): «كلكم ضيوف الله، والضيافة بالترك. فإن كانت في الإنسان ذرة من هوى النفس، فهو لم يدخل في هذه الضيافة وإن دخلها فلم يستفد من هذه الضيافة.» ثم أضيفوا كلام الإمام هذا إلى حكمة النبي سليمان بن داوود (ع) حيث قال: «إِنَّ الْغَالِبَ لِهَوَاهُ أَشَدُّ مِنَ الَّذِي يَفْتَحُ الْمَدِينَةَ وَحْدَه».[مجموعة ورام/ ج١/ ص٦٠] فاعرف أنت مدى صعوبة الطريق أمامنا. ولا شك بأننا لا نريد أن نحرم من بركات هذا الشهر. ثم يضيف الإمام ويقول: «كل هذه الجعجعة التي تشاهدونها في العالم فهي لعدم انتفاع الناس بهذه الضيافة، وعدم دخولهم في هذه الضيافة، وعدم تلبيتهم لدعوة الله».

## القواسم المشتركة بين الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر:

### ١.النورانية والأجواء المعنوية/ في أجواء الجهاد الأكبر نستطيع أن نعيش نفس تلك الأجواء المعنوية والروحانية التي كان يعيشها المجاهدون في أيام الدفاع المقدس

نفس الأجواء الممتعة والجميلة التي يعيشها المجاهدون في الجهاد الأصغر، يمكن أن نعيشها في الجهاد الأكبر وفي خضمّ محاربة النفس. حتى أن الصفاء والجمال الذي يشتمل عليه أجواء الجهاد الأكبر هي أكبر وألصق بالفؤاد من أجواء الجهاد الأصغر. نحن نستطيع في أجواء الجهاد الأكبر أن نعيش نفس تلك الأجواء المعنوية والروحانية التي كان يعيشها المجاهدون في أيام الدفاع المقدس. حتى أن في خضم الجهاد الأكبر نستطيع أن نعيش أجواء أكثر معنوية ونورانية. وأنتم تعلمون أن الإمام الخميني(ره) هذا الرجل العظيم الذي قامت هذه الثورة المباركة والعظيمة على أكتافه وببركة وجوده، وتربّى آلاف الشهداء تحت ظله، إنما كان بطلا في ساحة الجهاد الأكبر. وأنا أتألم عندما أرى بعض الإخوة من المجاهدين يتحدثون بتحسر عن أيام الجبهة ومعنوياتها وروحانياتها وكأنه ذهبت تلك الأيام ولا فرصة بعد لهذا الجيل حتى يعيش الروحانية والأجواء المعنوية. فهذا كلام باطل من أسره؛ إذ لم يمنع الله نعمه عن عباده ولا يظلم أحدا بل يضاعف نعمه على عباده. فإن هذه الفرصة التي أعطاها الله للجميع في ساحة الجهاد الأكبر أثمن بكثير من فرصة الجهاد الأصغر. في أجواء الجهاد الأصغر كنا نشعر بمحبة الله ولطفه بعد ما كنا نضحي بأنفسنا وأموالنا، أما في الجهاد الأكبر وبعد ما نضحي بأميالنا وأهوائنا، نشعر بمزيد من رضا الله ولطفه ونكسب نورا أقوى من النور الذي نكسبه في أجواء الجهاد الأصغر.

### ٢.الشعور بخطر العدو/ لابد من رصد العدو في الجهاد الأكبر كما هو الحال في الجهاد الأصغر، لكي تتمكن من مراقبة نفسك وتستعين بربك

القاسم المشترك الآخر بين الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر هو تواجد العدو، والخطر الذي يهددنا من جانبه. فعندما تشعر بوجود العدو في الجهاد الأصغر وتلتفت إلى الخطر الذي يهددك من جانبه، تلتجأ إلى الله وتشعر بالروحانية والمعنوية حينئذ. وكذلك الحال في الجهاد الأكبر حيث لابد لك أن ترى العدو فيه كي تتمكن من مراقبة نفسك وتستعين بربك.

فقـد قـال رسـول اللـه(ص): «أَعْـدَى عَـدُوِّكَ نَفْسُـكَ الَّتِـى بَيْـنَ جَنْبَيْک»[عـدة الداعـي/ص٣١٤]. وفي المقابـل إن العـدو الخارجـي في الجهـاد الأكـبر وهـو الشـيطان الرجيـم يبـدو ضعيفـا مـن خـلال آيـات القـرآن؛ (إِنَّ كَيْـدَ الشَّـيْطانِ كانَ ضَعيفاً)[نسـاء/٧٦] ولكـن لابـدّ مـن أخـذه عـلى مأخـذ الجـدّ.

## ٣.صعوبة العمل والحاجة إلى الشجاعة/ إن الشجاعة التي يحتاجها الإنسان في الجهاد الأكبر أكثر من الشجاعة التي يحتاجها في الجهاد الأصغر

كلا الجهاديـن الأكـبر والأصغـر هـي مـن الأعـمال الشـاقة والتـي تحتـاج إلى شـجاعة. وأقسـم باللـه إن الشـجاعة التـي يحتاجهـا الإنسـان في الجهـاد الأكـبر أكـثر مـن الشـجاعة التـي يحتاجهـا في الجهـاد الأصغـر. إن خـوف فقـدان «اللـذة» وخـوف فقـدان «الجـاه والسـمعة» وخـوف فقـدان «الفرصـة»، يترك أثـره السـلبيّ عـلى شـجاعة الإنسـان وهـذه هـي مـن مصاعـب الجهـاد الأكـبر. إنـه لجهـاد أكـبر حقـا. وأولئـك الذيـن خاضـوا في سـاحة الجهاد الأكـبر ونجحوا في هذا الميـدان، ينظرون إلى سـاحة الجهاد الأصغر كـما ننظـر نحـن إلى المقبـلات فـلا نهتـمّ بالمقبـلات كـما نهتـمّ بالطعـام الرئيـسي في المائـدة. وكذلـك حـال الإنسـان المحـترف في سـاحة الجهـاد الأكـبر، فإنـه بـكل سـهولة ينـزل إلى ميـدان الجهـاد الأصغـر ولا يبـالي. ينقـل عـن الإمـام الخمينـي(ره) أنـه ارتقى المنبر في أيّام شـبابه وألقـى محاضرة جيّدة. فاستحسـن الحضور محاضرتـه ومدحـوه. بعـد ذلـك امتنـع الإمـام عـن إلقـاء المحـاضرات لمـدّة أربـع سـنين عقابـا لنفسـه بعد أن وجدهـا طربـت لمـدح الآخريـن وانتعشـت لثنائهـم. بينـما نحـن إن نحصل عـلى مثل هذا المـدح نزداد اندفاعـا ونعتـبره علامـة النجـاح والتوفيـق في العمـل. فانظـر مدى الفـارق الكبير بـين الإمـام وبيننا. طيب لمـاذا ينبغـي أن نخالـف نفوسـنا بهـذه الشـدة؟ فهـذا ما سـوف نتناولـه في الأبحـاث القادمة إن شـاء الله.

## ۴.عشق الله وحبّ الآخرة/إن الاهتمام بالله وبالآخرة في الجهاد الأكبر أكثر من الجهاد الأصغر

لقد قال الإمام الخميني(ره) أن القوات التعبئة هي مدرسة العشق وكان يؤكد سماحته على عشق الله وحبّه في موسم الجهاد الأصغر وأيّام الدفاع المقدس. ولكن يزداد هذا الاهتمام بالله وبالآخرة في الجهاد الأكبر. فالذي كان يعشق ربه في الجهاد الأصغر ويبكي من فراقه ويناجي الله شوقا إلى لقائه، سيزداد شعورا بهذا الحب والعشق في خضم الجهاد الأكبر. لقد روي عن الإمام الباقر(ع) أنه قال: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ: وَ عِزَّتِي وَ جَلَالِي وَ عَظَمَتِي وَ بَهَائِي وَ عُلُوِّ ارْتِفَاعِي لَايُؤْثِرُ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ هَوَايَ عَلى هَوَاهُ فِى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا إِلَّا جَعَلْتُ غِنَاهُ فِى نَفْسِهِ، وَ هِمَّتَهُ فِى آخِرَتِهِ و و ضَمَّنتُ السَّماواتِ و الأرضَ رِزقَهُ، و كُنتُ لَهُ مِن وَراءِ تِجارَةِ كُلِّ تاجِرٍ»[الكافي/ج٢/ص١٣٧] وقد رويت هذه الرواية بتعابير مشابهة عن غيره من أئمة أهل البيت(ع). ولا يخفى عليكم بأني قضيت ثلاثين سنة من عمري في دراسة القضايا الأخلاقية وبودي أن أقدم لكم تقريرا عن نتيجة ما حصلت عليه في هذه السنين الثلاثين في ثلاثين ليلة في شهر رمضان هذا. ولكني أعترف أمامكم بأني لم أفهم هذا الحديث إلى الآن وكلما قرأته طوال هذه السنين الطويلة شعرت بأني لم أفهم مغزى هذا الحديث جيدا. والعجيب هو أن الشرط في كسب هذه البركات هو أن يؤثر الإنسان هوى الله على هواه في أمر واحد وقضية واحدة لا في حياته كلّها؛ «فِى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا». ومعنى هذا الحديث هو أنّ كلّ الأعمال الصالحة التي قمنا بها واعتبرناها من مصاديق جهاد النفس وإيثار هوى الله على هوى نفسنا فهي ليست كذلك ولا قيمة لها بحيث تؤول إلى تلك النتيجة المباركة المذكورة في الرواية. فيبدو ـ والله العالم ـ أننا انتقينا الأعمال الصالحة التي تنسجم مع أهوائنا وقمنا بها، فلم نؤثر هوى الله على هوى نفسنا بالشكل الصحيح حتى لمرة واحدة. سوف نتناول هذا الموضوع في الجلسات القادمة إن شاء الله وهو أن لماذا نحن بأمس الحاجة إلى محبة أهل البيت. طبعا أنا في الليلة الأخيرة وبعد ما وقفنا عند الموضوع ساعات طوال، سوف أقول لكم كلمة بودي أن أقولها في هذه الليلة الأولى. وهو أن ليس شيء يعين الإنسان على غلبة هواه بقدر حبّ أهل البيت(ع). فإن هذا العامل أقوى العوامل وأجدرها بنصرك على نفسك. وسوف نلتقي غدا يوم القيامة بالتأكيد ونرى صحة ما قلته لكم.

## صلى الله عليك يا فاطمة الزهراء

ولكـن اسـمحوا لي أن أقـول لكـم أن في تلـك اللحظـات التـي كان الشـباب يقلعـون فيهـا مـن كل التعلقـات والأواصر عشـقا بالشـهادة ولقـاء اللـه، كانـوا ينطلقـون بعدمـا يسـمعون مصائب الزهـراء(س) فكانـوا يذهبـون نـصرة للزهـراء وانتقامـا مـن أعدائهـا. فإنـك في تلـك اللحظـات التـي تتـدرب فيهـا عـلى حـبّ أهـل البيـت(ع) وتحـاول أن تـزداد حبّـا لهـم، تكسـب اللياقـة والكفـاءة اللازمـة لاسـتلام نصرتهـم ومعونتهـم عنـد الحملـة في الجهـاد الأكـبر، كـما كان المجهـادون يسـتعدون للحمـلات بذكـر أهل البيـت(ع). وأولئـك الذيـن عاشـوا أيـام الجبهـة وأيـام الدفـاع المقـدس يعرفـون جيـدا أن ليـس أحـد مـن المعصومـين قـد نـصر المجاهديـن بقـدر فاطمـة الزهـراء(س). فلنسـتفتح حملتنـا ضـد أهـواء النفـس في أول ليلـة مـن شـهر رمضـان بذكـر الزهـراء(س).



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢)

علي‌رضا بناهيان




**الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١۴٣۴هـ**

**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فى مدينة طهران**

**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢)**

**إليك ملخص الجلسة الثانية من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

## غربة مفهوم «الجهاد الأكبر» في معرفة الإنسان/ لا فائدة لمعرفة الإنسان واختياره بدون «الجهاد الأكبر»

في مقام الإجابة عن سؤال «ما الفرق بين الإنسان والحيوان؟» عادة ما تسلّط الأضواء على كون الإنسان يشتمل على العقل والمعرفة والإرادة والاخيار دون الحيوان. أما السؤال الأهم هو أنّ ما الفائدة من هذه الخصائص كالإرادة والاختيار والمعرفة التي تميّز بها الإنسان عن «الحيوان» و «المَلَك» وتفضّل عليهما؟ ولماذا حظينا بالمعرفة والإرادة والاختيار؟ إن «المعرفة» و«الإرادة» من المفاهيم المشهورة جدا في حياة الإنسان. ولكن هناك مفهوم آخر مهمّش وغريب، ولولاه لم تبق فائدة للمعرفة والاختيار وهو «الجهاد الأكبر». إن الجهاد الأكبر مفهوم غريب وعادة ما يهمّش في معرفة الإنسان وتعريفه. فيا ترى لماذا حظينا بالإرادة والاختيار وما ينبغي أن نختار بها؟ فهل أن موقعنا سواء بالنسبة إلى مختلف الخيارات؟ ولماذا يحظى اختيار الإنسان بقيمة وثمن؟ وهل عملية اختيار الإنسان أمر تابع للصدفة؟

### إن قيمة اختيار الإنسان تابعة لاختياره ما يكره، وإلا فلا يفرق حينئذ عن اختيار الحيوان

إن لم تؤخذ نزعات الإنسان بعين الاعتبار، يصبح «حرية اختيار» الإنسان مفهوما مضحكا لا معنى له. فإن نزعات الإنسان ورغباته هي التي تحدد نسبة الإنسان تجاه مختلف خياراته، ولن يكون اختيار الإنسان قيّما إلا إذا اختار ما يكره وما لا يحبّ، وإلا فلا فرق حينئذ بين اختياره وبين اختيار الحيوان.

## الإنسان موجود خلق من أجل مجاهدة أهوائه

الإنسان موجود خلق من أجل مجاهدة أهوائه، وإلا فتبقى مواهب الإنسان كاختياره وحريته ومعرفته مواهب بلا فائدة. إن هوية الإنسان وذاته والأساس في تعريفه هو أن يجاهد رغباته وأهواءه. وأنا لا أدري لماذا لا يؤخذ جهاد النفس في مقام تعريف الإنسان وبيان أحد مقوّمات ذات الإنسان.

## إنّ مصداقية معرفة الإنسان واختياره لا تكون إلا بعد أن كان الإنسان يميل إلى كلا الطرفين من خياراته

لو لم يكن لدى الإنسان ميل إلى أيّ مفردة من الخيارات الممكنة، لما بقت مصداقية لاختياره وحريّته. فهو عندئذ كالخروف إذا خيّرته بين مفهومي السعادة والشقاء لا يميل إلى أي واحد من خياراته. ولو كان الإنسان يميل إلى أحد أطراف الخيارات، دون الخيار المقابل، لجرى نفس الكلام أيضا في انتفاء الاختيار عن الإنسان. وسوف يكون شأنه كشأن الخروف أيضا فإنك أن خيّرته بين أكل العشب أو أكل الحديد لن يختار الحديد أبدا بل يختار العشب دون أي ترديد. فلا تكون مصداقيّة لمعرفة الإنسان واختياره إلا بعد أن كان الإنسان يميل إلى كلا الطرفين من خياراته. وفي مثل هذا الاختيار تتبلور كرامة الإنسان. ففي الواقع إن الإنسان عادة ما يختار خياره المفضّل من بين مجموعة من الرغائب والمطلوبات. السؤال الآخر هو أن كيف يجب أن تكون نسبة هذه الأميال والرغائب مع بعض لكي يتحقق الاختيار ويكون ذا قيمة؟ فإذا كانت هذه الرغائب والأميال المختلفة تستهوينا وتجرّنا إلى نفسها بشكل مساوٍ بلا أن يكون أحدهم أقوى جذابية من غيره، تبقى المشكلة على حالها ولم يتحقق الاختيار ويبقى الإنسان بلا فارق يفرقه عن الحيوان. كما إذا كان ميلنا إلى أحد أطراف الرغائب أكثر من غيره، سنختاره دائما بطبيعة الحال وسينتفي الاختيار كذلك.

## إن أطروحة الله سبحانه وتعالى لتحقق اختيار الإنسان هو جعل «الرغائب القيّمة الخفيّة» في مقابل «الرغائب غير القيّمة الظّاهرة»

لقد أعدّ الله سبحانه وتعالى نظاما لطيفا جدا لتحقق اختيار الإنسان، وهو أن قد جعل للإنسان نوعين من الرغائب، قسم منها أعمق وأمتن وأقوى وأكثر قيمة ولكنها أخفى، وقسم آخر سطحيّة وأقل قيمة وأخفّ وأقلّ لذة ولكنّها أجلى وأوضح. وهنا يتبلور الاختيار وهو أن تمرّ مرور الكرام من رغباتك الجليّة السطحية وتشتغل برغباتك العميقة والقيّمة الكامنة. وهذه هي نقطة انطلاق الإنسان في حركته الإنسانيّة وهنا تتبلور هويته الإنسانية وأساسا هذه هي فلسفة وجود الإنسان.

## «هوى النّفس» هي رغبات الإنسان السطحية والدانية

لا يتحقق الاختيار إلا في هذه الحالة وهي أن يغضّ الإنسان طرفه عن إحدى رغباته الدانية والمجرّبة والملموسة والسطحيّة، ثم يركن إلى إحدى رغباته العميقة. فإن هذه الرغائب الدانية والسطحية هي ما يسمّى بهوى النفس. إن فلسفة خلقك كإنسان هي أن تختار من بين هاتين الرغبتين. إن هاتين الرغبتين ليست سواء وإلا لبقيتَ متحيرا بينهما. ثم إنها رغبتان وليست رغبة واحدة، وإلا لما كان للاختيار قيمة وثمن. ثم إن إحداهما أثقل وألصق بالفؤاد، فهي تأمّن عشقك وما تهواه، وتبعث في قلبك هيجانا وحماسا، ثم تمتعك بلذة أمتع، وتنفعك بمصلحة أكبر، كما أنها تهديك إلى رشدك وتشعر بالسعادة في أجوائها، ولكنها خفيّة كامنة، بل تهلك حتى تكشف هذه العلائق الكامنة. وفي مقابل هذه الرغبة هناك رغبة لا قيمة لها وسطحية، تجدها في نفسك بسرعة وتستطيع أن تجربها أو تعيشها بأسرع ما يكون. لقد خلق الإنسان لهذا الأمر وحسب. ومن أجله أعطي المعرفة ومن أجله منح الاختيار ومن أجله حظي بالإرادة ومن أجله أعطي الحريّة. هذا هو معنى الإنسان الذي يشتمل على نوعين من الرغبات؛ الرغبات الدانية وهي «هوى النفس»، والرغبات العالية وهي «النزعات الفطرية».

لقـد قـال الإمـام الخمينـي(ره) في خصـوص التجـافي عـن العلائـق السـطحيّة والركـون إلى العلائـق العميقـة: «كل شيء منّـا وراجـع إلينـا وهـو رد فعـل لنـا. لابـد أن ننتبـه جميعـا إلى أن آفـة الإنسـان هـي هـوى نفسـه، وهـي موجـودة في الجميـع ومسـتقاة مـن فطـرة التوحيـد، حيـث إن الفطـرة هـي فطـرة التوحيـد وفطـرة الميـل إلى الكـمال. فـإن الإنسـان يطلـب الكـمال المطلـق وهـو لا يـدري. يزعـم أنـه يطلـب الجـاه ولكـن بعـد أن وصـل إليـه يشـعر بأنـه ليـس ذاك الأمـر الـذي يطلبـه. فلـو جمعـوا العـالم بـأسره وأعطـوه للإنسـان لـن يقنـع. تلاحظـون أن القـوى التـي تحظـى بقـوة عاليـة هـم أكـثر طلبـا لهـا، وأكـثر سـعيا لتنميـة قدرتهـم. فإنهـم لـو سـيطروا عـلى الفضـاء والبحـار والأرض والسـماء لـن يقنعـوا. فـإن لم يسـيطر الإنسـان عـلى نفسـه، سـوف يقـضي عليـه جموحـه الـذي لا حـدّ لـه. لابـدّ مـن صـدّ هـذا الجمـوح والسـيطرة عـلى النفـس... والأهـواء النفسـانية التـي هـي مصـدر كل أنـواع هـذا الفسـاد». [صحيفـه امـام/ج١٩/ص٣٧٦]. ناجـو ربكـم ـ أعـزائي ـ في جـوف الليـل ولتكـن مناجاتكـم بتفكّـر؛ (يَتَفَكَّـرُونَ فِي خَلْـقِ السَّـماواتِ وَ الْأَرْض). إن بعـض المؤمنـين ليسـوا مـن أهـل التفكـر، بـل قـد اكتفـوا بالتمتـع بمناجـاة ربّهـم وهـذه ليسـت بحالـة جيـدة أبـدا. أنـا لا أريـد أن أتكلـم بكلمـة جارحـة لبعـض الإخـوة المتدينـين الذيـن قـد يعيشـون أجـواء روحانيـة ومعنويـة في عباداتهـم ولكنهـم لم يتعـودوا عـلى التفكـر. قـد يتبـادر في ذهـن بعـض الإخـوة أن أيـن تناسـب هـذه الأبحـاث النظريـة الفكريـة مـع ليـالي شـهر رمضـان ولا سـيما أول ليلـة جمعـة مـن شـهر رمضـان ونحـن جئنـا لنسـتمع مـا يعيننـا عـلى تجربـة أجـواء معنويـة وروحيـة مـع اللـه، فـما هـذه الأبحـاث؟! فأقـول لهـم: حاولـوا أن تبكـوا وتسـكبوا الدمـوع بهـذه الأبحـاث. فـإن «أولي الألبـاب» الذيـن تتحـدث عنهـم الآيـة، (يَتَفَكَّـرُونَ فِي خَلْـقِ السَّـماواتِ وَ الْأَرْض) ثـم يخرجـون بنتيجـة رائعـة بعـد تفكّرهـم هـذا فيقولـون: ( رَبَّنـا مـا خَلَقْـتَ هـذا باطِـلا سُـبحانَك) فإنـك لم تخلـق العـالم باطـلا ولم تخلقنـا عبثـا، بـل خلقتنـا لنجاهـد هوانـا ومـن أجـل هـذا الجهـاد قـد أعطيتنـا الاختيـار والمعرفـة وكرامـة الإنسـانية. ولـولا ذلـك لكنّـا كالبهائـم، أو كنـا كالملائكـة لا نجاهـد أنفسـنا. ثـم يقولـون: (سُـبْحانَكَ فَقِنـا عَـذابَ النَّـار)[آل عمـران/١٩١]. فيـا لـه مـن طريـق رائـع يسـلكونه بتفكرهـم في جـوف الليـل!

## لقد خلق الإنسان لكي يتجافى عن رغباته السطحية

لقد خلق الإنسان لكي يتجافى عن رغباته السطحية. لابد أن نضع هذه الرغبات السطحية على جانب. فإن وراء هذه الرغبات السطحية شيء آخر لابدّ من كشفه. فعلى سبيل المثال قد تكون حاجتك السطحيّة هي أن تملك بيتا، بيد أن الحاجة العميقة التي وراءها هي لقاء الله. فلابد من كشف تلك الرغبات الكامنة. إن إنسانية الإنسان بمجاهدة هذه العلائق السطحية، ولكن لابد أن تكون هذه المجاهدة ضمن برنامج صحيح. فإن أراد الإنسان برنامجا لجهاد النفس، ندعوه إلى الإسلام فقد أعطى الإسلام هذا البرنامج. التقيت ذات يوم في بيتي بأحد أساتذة الجامعة الفرنسيين الذي كان أصله من الجزائر وكان مديرا متقاعدا في اليونسكو، فدار بيننا حديث إلى أن قال لي: هل تعلم متى يدخل الفرنسيون في دين الإسلام، وما هو موسم إسلامهم هناك؟ فقلت له: لا أدري. فقال: في شهر رمضان! ثم ذكر السبب قائلا: لأن في شهر رمضان يشاهدون المسلمين لا يشربون ولا يأكلون بالرغم من عطشهم وجوعهم، فيستحسنون هذا الدين ويميلون إليه. فكأنهم يقولون بلسان حالهم: نريد أن ندخل في هذا الدين كي لا نأكل كما تعتلف البهائم. فإذا أكلنا وشربنا ما طاب لنا كل حين، نشعر كأنما أصبحنا كالحيوانات. ونشعر بأنك أيها المسلم إنسان لأنك لا تأكل وتشرب كل ما طاب لك واشتهيتَه. فإن هذا الجهاد بحد ذاته هو من اللقطات الجميلة والرائعة في العالم ولهذا استهوت الكثير من الفرنسيين غير المسلمين ودعتهم إلى الإسلام.

## الأساليب المتعارفة في كتابة القصص والروايات غير إنسانية

ولكن في مقابل هذه الحقيقة الجميلة، تجد أن قالب القصص والروايات والأسلوب المتعارف في كتابتها قائم على أساس مشتهيات بطل القصّة، ثم تكتب أحداث القصّة ومنعطفاتها ليرى المشاهد أو القارئ متى يصل بطل القصّة إلى أمنيته ومراده، فهل سينال ما رامه أم سيرجع خائبا. فإن مثل هذه القصّة تعيسة وغير إنسانية من أصلها، فكيف تريد أن تجعلها قصة إسلامية؟! هل يمكن لهذه القصّة التي قامت أركانها على أهواء بطلها ومثابرته من أجل ما يهواه أن تصبح قصّة إسلامية إنسانيّة بمجرد تطعيمها ببعض المظاهر أو الأفعال الإسلاميّة؟! وهل تصبح هذه القصّة إسلامية إذا صحبناها بصوت أذان أو قبّة مسجد؟!

## إذا تجافينا عن الرغبات الواضحة وركنّا إلى العلائق الخفية فقد تحقق بهذا «الجهاد الأكبر»

إنما يتحقق الاختيار عندما تكون بين خيارين، أحدهما أثمن وأكثر قيمة ولكنه أخفى من نظيره، والآخر أقل قيمة ولكنه أجلى وأوضح من نظيره. فإنك إن مررت مرور الكرام عن الرغبة الواضحة وصولا إلى الرغبة الخفيّة فقد حققت الجهاد الأكبر وجهاد النفس الذي هو خيط سبحة جميع الفضائل والمكارم. يقول أمير المؤمنين(ع): «نِظَامُ الدِّينِ مُخَالَفَةُ الْهَوَى»(غررالحكم/ حديث٣٢) وقال في مجال آخر: «رَأْسُ الدِّينِ مُخَالَفَةُ الْهَوَى» (غررالحكم/حديث٣٥) وقد قال النبي الأعظم(ص) حول أبواب جهنم: «...وَ عَلَى الْبَابِ الْخَامِسِ مَكْتُوب: لَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَالْهَوَى مُجَانِبُ الْإِيمَان»(الروضة في فضائل أمير المؤمنين(ع)/ص١٧٧)

## إن جهاد النفس أمر عسير

طبعا إن جهاد النفس أمر عسير. فقد جاء في الحديث القدسي: «يَمُوتُ النَّاسُ مَرَّةً وَ يَمُوتُ أَحَدُهُمْ فِي كُلِ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً مِنْ مُجَاهَدَةِ أَنْفُسِهِمْ وَ مُخَالَفَةِ هَوَاهُم» (ميزان الحكمة/ الحديث ٢٩١٦). كم مرة متّ اليوم؟! فإن قلت: كانت الأوضاع ماشية، فلم تمش الأوضاع على مرامك، بل كنت أنت تمشي على ما تهواه نفسك. أو لعلك كنت منسابا مع الدنيا وتيّاراتها. ولعلك تقول: لم أعثر اليوم على مواطن جهاد النفس، مع أني لم أرتكب ذنبا ولم أترك واجبا... وهذا يعني أنك لم تستطع أن تجد مواطن جهاد النفس من شدّة استئناسك بنفسك وأهوائك. فلابدّ أن تفتش عنها وتنقب بين دفائن وجودك لتجدها، إذ لم تُظهر نفسُك الأمارة نفسَها دائما، فلابدّ من التنقيب عنها وكشفها. فهل زعمت أن أرباب جهاد النفس الذين يموتون في اليوم الواحد سبعين مرّة، هم أناس ملوثون إلى هذا الحدّ حيث يشتهون الفجور والذنوب سبعين مرة في اليوم؟! كلا! بل إنهم يبحثون عن خفايا أهوائهم ويحاربونها؛ تلك الأهواء التي استأنسنا بها نحن واعتدنا عليها وألفناها. بيد أنه يذهب مفتشا عنها غير منفكّ عن محاربتها.

## خطة الله سبحانه في تسهيل عملية جهاد النفس

ماذا يمكن أن يقوم به الله سبحانه لتسهيل عملية جهاد النفس علينا؟ لا بأس أن تتأملوا في هذا الموضوع وسوف أطرح في الجلسات القادمة بعض الأساليب التي يستخدمها الله تعالى لتعبيد طريق جهاد النفس لسالكيه. ولكن أروع الطرق وأكثرها تأثيرا وكفاءة وألصقها بالفؤاد هو أن يُظهر لنا واحدة من تلك الرغبات الفطريّة الخفيّة ويفعّلها ثم يقول لنا: تنحّ عن رغباتك الدانية والرخيصة بحبّ هذا الحبيب الغالي الذي كان حبّه كامنا في زمرة سائر رغباتك الفطرية الخفيّة. فلا سبيل في هذا العالم إلا حبّ أولياء الله. ومع أن حبّ أولياء الله حبّ مشهود وظاهر، وتجد في نفسك هذا الحبّ بكلّ وضوح، حيث تشعر بحرارتها في حرم الإمام الرضا(ع) وعندما تزور الحسين(ع) لا تريد أن تخرج ويضيق صدرك شوقا عندما ترجع من كربلاء الحسين(ع). سيدي يا أبا عبد الله! انظر إلى هوانا هذا حين نهواك، فإنه الحبّ والهوى الوحيد الذي في غاية الحسن والروعة بالرغم من ظهورة. إن الله سبحانه قد أظهر لنا بعض النزعات الفطرية ليأخذ بأيدينا ويهدينا بحافزها وطاقتها، ولكن من أروعها هو حبّ أهل البيت(ع). فما أن تتردد على حرم الحسين(ع) برجلك أو بقلبك تتعلق به وتعجز عن وصف مدى حبك للحسين(ع). ثم تحضر مجالس الوعظ والذكر منتظرا نعي الخطيب على الحسين(ع). ولعلك تبتهج بحلول شهر رمضان لكونه يعطيك الفرصة الكافية لاستماع مصائب الحسين(ع) لمدة ثلاثين ليلة متتالية. ولعل هذه الفرصة الرائعة هي إحدى علامات رحمة هذا الشهر المبارك للناس، إذ أن الحسين(ع) هو رحمة الله الواسعة. إن هذه الليلة هي أول ليلة جمعة من شهر رمضان فيا ليتنا كنا نقضيها في كربلاء؛ في ذاك الحرم العظيم وبجوار تلك الأجساد المرملة بالدماء وتلك الأجساد المقطعة التي لا تزال مدماة بدم عبيط. عندما يتوجه جمع من الموالين إلى حرم سيد الشهداء، كأنه يعبق المكان بعطر حرم الحسين(ع)، ويزدهر المكان بنور الحسين(ع).

مـاذا تفعـل يـا مـوالي إن ضـاق صـدرك لهفـة إلى سـيد الشـهداء(ع)؟ فلعلـك تذهـب إلى مجلـس مـن مجالـس الحسـين(ع) لتسـتمع مصائبـه وتبـكي عليـه، أمـا العقيلـة زينـب فكلـما كانـت تشـتاق إلى أخيهـا الحسـين(ع) كانـت تنحّـي قليـلا مـن سـتار المحمـل، لـترى قمرهـا المنـير في لياليهـا الظلـماء. عندمـا يكـون البـدر في ليلـة تمامـه لا تُـرى النجـوم حولـه، أمـا إذا كان هـلالا فبإمكانـك أن تـرى النجـوم حـول الهـلال، ولهـذا كانـت تـرى زينـب نجومـا حـول هلالهـا، مـن رأس أخيهـا العبـاس وابـن أخيهـا عـلي الأكـبر والقاسـم وغيرهـم مـن نجـوم بنـي هاشـم. مـا هـذه المصائـب التـي كانـت تجرعهـا زينـب؟ كأن هـذه القصـة كلهـا هـي قصـة زينـب وهـي الرميّـة لجميـع سـهام بلايـا كربـلاء. كأن العـالم بـأسره مشـاهد ومتفـرج ليُظهـر اللـه أمتـه زينـب ويباهـي بعشـقها وصبرهـا في هـذا الـدرب... إن واقعـة كربـلاء هـي قصـة زينـب في الواقـع ونحـن مشـاهدون.

## ألا لعنة الله على القوم الظالمين



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة
# في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٣)

عليرضا بناهيان




**الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ**

**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فى مدينة طهران**

**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة**

**في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٣)**

**إليك ملخص الجلسة الثالثة من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

## إن الإنسان هو الكائن الوحيد القادر على إنتاج قوة مضافة

لقد خلقنا من أجل أن نحدث تغييرا وتحولا في أنفسنا ونستعين بذلك على إنتاج قيمة مضافة، إذ الإنسان هو الكائن الوحيد القادر على إنتاج قوة مضافة. فعلى سبيل المثال إنه قادر على استخدام بعض النباتات والأعواد اليابسة المهملة لإنتاج بعض الصنائع اليدوية كالسلال، وهذا ما يمثّل ضربا من إنتاج القوة المضافة. وإن ما ننتجه من قوة مضافة هو الذي سوف يوصلنا إلى الكمال وهو الذي يقربنا إلى الله، وبه سوف نفوز بالجنة. ومن أهم تجليّات هذا الإنتاج هو أننا قادرون على تحديد نوع حياتنا الأبدية بأنفسنا. نحن لسنا أولي تأثير كبير على كيفيّة حياتنا الدنيوية، إذ قد قدّر معظمها مسبقا، بينما نملك الحريّة والاختيار في اختيار نوع حياتنا الأخرويّة وكيفيّتها، وبإنتاج القيمة المضافة إنما نحدّد نوع حياتنا الأخرويّة. فالجنة التي سوف نفوز بها غدا إن شاء الله ليست مجرد أجر وحسب بل هي أكثر من ذلك، لأن الإنسان الذي يبني لنفسه بيتا ثم يسكن فيه، لا ينظر إلى بيته كجائزة حصل عليها بعد معاناته في بناء البيت، بل يراه نتيجة عمله. أحد أسباب رهبة يوم القيامة هو أن الإنسان سيدرك كم كان له دور وأثر مباشر في تحديد جزئيّات وتفاصيل حياته الأخرويّة. لقد تمّ القرار الإلهي على أن نكون نحن أصحاب التأثير المباشر على مليارات السنين المؤبدة وغير المحدودة، وذلك عبر إنتاج القيمة المضافة.

## إن نطاق اختيارنا في هذه الدنيا ضيّق ومحدود جدا إلا في...

لقد تم تصميم جزء كبير من حياتنا الدنيوية على يد الله سبحانه دون إدخال إرادتنا ومشيئتنا في ذلك. فقد اختار والدينا وجسمنا وشكلنا ومواهبنا وكثيرا من مقدرات حياتنا بلا أن يكون لنا دخل في هذه الشؤون. نعم، إن مدى تأثيرنا في هذه الحياة غير معدوم على الإطلاق ولكنه في نطاق ضيق جدا.

أما الشيء المطلق وغير المحدود الذي نملكه في هذه الحياة الدنيا هو فكرنا وفهمنا، ومن هذا القبيل أميالنا ورغائبنا القلبية. إن الدنيا وما فيها هي بمثابة المعرض، وليس شأننا في هذا المعرض إلا أن نؤشر ونختار ونسجّل بعض الموارد في قائمة الرغبات المادية والمعنوية. ولكن لا مجال للانتفاع والحصول على ما سجلناه واخترناه في هذه الدنيا، إذ أنها معرض ليس إلا. وما نحصل عليه في هذه الدنيا من النعم المادية والمعنوية فهي كالشطيرة التي يقدّمها لك صاحب المعرض لتتقوّى بها على مشاهدة باقي أقسام المعرض. فعندما تقوم للصلاة بين يدي ربك، حتى وإن كنت خاشعا في صلاتك ومتمتعا بها، في الواقع أنت كنت تؤشر وتختار بعض البضائع في معرض الدنيا. فكأنك كنت تعبّر عن رغبتك في لقاء الله، حتى تحصل على مزيد من هذا اللقاء في الجنّة. فإذا اخترت هذا الشيء في هذا المعرض سوف تدعى إلى لقاء الله باستمرار، كما سوف تحظى بلقاءات أمتع وأرفع. وكذا الحال في الزواج والأكل والشرب وباقي ملذّات العيش، فإن ما نملكه في هذه الدنيا هو أن نختار ونؤشر ونوصّي، ولن نحصل على شيء من هذه البضائع في الدنيا إلا الحد الأدنى. أما بالنسبة إلى الحياة الآخرة الأبدية اللانهائية فإن لنا اختيارا كبيرا في نطاق واسع جدا، وما أعظمها من حقيقة. إن القيمة المضافة التي نستطيع أن ننتجها هي ليست مجرد نقود وأموال، بل نحن قادرون على تحديد مصيرنا ومؤثرون في مقدرات عالمنا الكبير. وسوف نشاهد مدى تأثيرنا الكبير بمجرد دخولنا في الجنة وسوف نعيش هذا الواقع إلى الأبد. وقد تعترينا الرهبة والدهشة بعد ما نشاهد مدى تأثيرنا في ذاك العالم، ولا سيّما إن كنا غير مؤمنين بمدى هذا التأثير. فلا تزعموا أن مدى تأثيرنا في الآخرة بمقدار تأثيرنا في هذه الدنيا. وفي المقابل لا تتوهموا أنكم قادرون على التأثير في مقدرات هذه الدنيا، ولكن كل لحظات حياتنا في هذه الدنيا تؤثّر في جميع تلك الحياة الأبدية في الآخرة.

## إن تصور أكثر الناس عن الجنة تصور خاطئ

إن تصور أكثر الناس عن الجنة تصور خاطئ، فهم يتصورون أن الجنّة ليست بمحل حياة طيّبة. بل هي محلّ يمكث ساكنوها فيها عَطَلَةً بَطَلَة ولا شأن لهم فيها سوى استلام الجوائز والتمتع بالنعم. فكأننا بأحدهم يجلس تحت ظل شجرة في الجنّة فما يلبث ساعة إلا ويأتيه غلام بملعقة من عسل لذيذ ويقدّمها له، ثم يأتي الآخر ويقدم له كأسا من لبن. فما إن ينتهي من وجبة العسل واللبن يقفز في نهر من عسل. ثم يخرج من النهر ويتكئ على أريكة تحت ظلال أشجار الجنة، وإذا بحورية تأتي وتمرّخ كتفيه. ثم يأتى له بعد التمريخ طبق من دجاج. وبعد أن ينسف الطبق يقدّم له ملعقة من عسل مرة أخرى... وهكذا إلى أبد الآبدين. فإنّ مثل هذه الحياة تحطّم الإنسان ولا يكاد أن يطيقها أسبوعا واحدا فضلا عن أبد الآبدين. ولا شك أننا مخطئون في هذا التصوّر عن حياة الجنّة. لقد قال الله سبحانه في القرآن: (وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوان)[العنكبوت:٦٤]. إذن سوف تكون لنا في الجنة حياة بكل ما تعنيه الكلمة من تعاقيد ومنعطفات وأحداث وجَمال. إن هذا التصور الخاطئ قد دفع بعض الشباب ليسأل: ألى متى نجلس ونتمشى في بساتين الجنان وعلى ضفة أنهارها؟ أفلا نملّ ونضجر من تلك الأجواء الرتيبة؟! أو يتساءل: إن هذه الحياة الدنيا مع كل ما تشتمل عليه من مواجهات ونزاعات وأحداث وملاحم وقضايا، تُضجِر الإنسان وتملّه، فما بالك بالحياة الآخرة الرتيبة التي لا يواجه فيها الإنسان أي قضية تحتاج إلى حلّ أو علاج؟! وكل هذه الأسئلة ناتجة من تصورنا الخاطئ عن حياة الآخرة. إن واقع الأمر هو أننا سوف نكون أحياء في الجنة وسوف نعيش حياة راقية هناك. فعلى سبيل المثال إن من خصائص حياة الآخرة هي أننا سوف نحظى بطاقة هائلة في الجنان، فهل يعقل أن تكون طاقتنا الهائلة من أجل لعق العسل وحسب؟!

## نحن نبذل معظم طاقتنا من أجل حل مشاكل حياتنا الدنيوية، بيد أن جلّ «اختيارنا» هو مختصّ بتحديد كيفية حياتنا الأخروية

لقد خلقنا من أجل إنتاج القيمة المضافة، وإن مفعول هذه القيمة المضافة هو تحديد نوع حياتنا الأخرويّة. فما ننتجه في هذه الدنيا من قيمة مضافة فهو يؤثر بشكل مباشر في كيفية حياتنا الآخرة لا الدنيا. ونحن سوف نموت ونحيى مئة مرة حسرة ونتمنى أن نرجع إلى الدنيا ونقول: لقد أدركنا الآن ما كان يجب علينا، حيث كنا نسعى وراء سراب لحلّ مشاكلنا الدنيوية، وكنّا نجرب مختلف الطرق والوسائل في سبيل تعديل حال هذه الدنيا التعيسة. ولكن هيهات فما اهتدينا إلى ذلك سبيلا. فلماذا لا نعتبر ولا نعي هذه الحقيقة وهي أن الدنيا ليست بأيدينا ولا دور لنا فيها تقريبا. ولا شأن لنا فيها سوى إنتاج القيمة المضافة التي بها نصنع حياتنا الآخرة؟ من هذا المنطلق أعمروا بيوتكم فإنكم في حال صنعها وهندستها الآن، وإنكم الآن في حال تعيين مساحة أرض قصركم، كما أنكم الآن تختارون جيرانكم وأصحابكم، ومضافا إلى ذلك أنتم تحددون مستوى منطقتكم في الجنة. إنكم سوف تعيشون في تلك الجنة ما لن تقدروا على إحصاء عقودها المليارية في مليارات السنين، وإنها لحياة أضخم وأكبر وأوسع وأرقى جدا من أن تتمدّد في بستان بلا شغل ولا عمل، ثم تستقبل ملاعق العسل وأكواب اللبن بين الساعة والأخرى.

## ليست «القيمة المضافة» بمعنى ما نفهمه من الأجر والثواب

الحياة الحقيقية والأصيلة هي في الآخرة، لأن الحياة في هذه الدنيا مصحوبة بالممات، فإننا نطوي جزء كبيرا منها في النوم، أما هناك فنحن صاحون دوما. وتارة نتثاقل عن أداء الأعمال وتارة نتكاسل، بينما في الحياة الأخروية لا ننفك عن النشاط والطاقة دوما. نحن أصحاب الأمر والقرار في كيفية حياتنا الأخروية وهذا هو معنى إنتاج القيمة المضافة. فما إن نذكر «القيمة المضافة» لا يقتصر ذهنكم على الأجر والثواب، مع أنه أجر وثواب أيضا، ولكنه أجر في نطاقه الواسع جدا، بمعنى أنك قادر على تنظيم آخرتك في هذه الدنيا. فلابد من ترجمة كلمة الأجر والثواب على أساس ذاك العالم العظيم اللانهائي.

## إن فهم هذه الحقيقة يحلّ لنا بعض أسئلتنا الكلامية

كل ما موجود في هذه الدنيا فهو وسيلة لنتمكن به من إنتاج القيمة المضافة، وهنا منطلق بحثنا. إن ميزة آدم الذي خلقه الله هو القدرة على إنتاج القيمة المضافة. فكان الملائكة في غفلة عن هذه الحقيقة وهذا ما دفعهم للاستفسار عن سبب خلق آدم والآدميّين، إذ وجدوا أن من شأن هذا الكائن بما يشتمل عليه من حريّة وقوّة وشهوات، أن يسفك الدماء وأن يستغلّ قدراته وإمكاناته في الفساد. فلمّا طرحوا سؤالهم، قال الله لهم: إنّي أعلم ما لا تعلمون. ولعلّ إحدى الحقائق التي كانت قد خفيت عن علم الملائكة هو مدى قيمة إنتاج القيمة المضافة، فإنّ قيمتها وثمنها يستحقّ خلق الناس حتى إذا فسد وأفسد جمع منهم. وهذا ما لم يفهمه كثير من الناس أيضا. حيث يسأل بعضهم، هل كان يستحق خلق الإنسان بغية إنتاج القيمة المضافة مثلَ هذه المظالم والإجرام وسفك الدماء؟ نعم يستحق. فإن كنت ترى عدم استحقاقه، قل لي أين موقعك الآن في هذا العالم وما الذي تراه الآن حتى تقيّم وتستنتج؟! ألك ميزان يقارن بين قيمة خلق الإنسان والظلم الذي ارتكبه في العالم؟! فإذا أردت أن تخرج بنتيجة أدقّ لابد أن تتأمل بمزيد من الدقّة، ثم تحاول أن تدرك الحياة الأخروية، كما ينبغي أن تشاهد قيمة أولئك الذين أنتجوا القيمة المضافة وعاشوا في أجوائها. فإن استطعت أن ترى هذه الحقائق سوف تقرّ باستحقاق خلق الإنسان على رغم ما قد يرتكبه من إجرام.

## أطيلوا الفكر والتأمل في المعاد

نحن الآن وفي كل آن من حياتنا نعيّن ونحدّد كيفية حياتنا الأخروية وذلك من خلال آمالنا وأهوائنا وأدعيتنا وسلوكنا وأفكارنا وأقوالنا وبكل فعل نقوم به. نحن ـ أيّها الإخوة ـ بأمسّ الحاجة إلى تغيير رؤيتنا عن المعاد. فقد استوقفني بحث المعاد في هذه الليلة ولا أدري كيف أمرّ من موضوع المعاد وأدخل في بحثنا؟ إن إدراك المعاد يمثّل إحدى مشاكلنا فلابدّ من إطالة الفكر والتأمل فيه. فلا ينفع الإيمان بالله وبأنبيائه ورسله ما لم يؤمن الإنسان بالمعاد. فإن لم نأخذ المعاد وحياة الآخرة بعين الاعتبار، يصبح كل شيء عبثا بلا معنى. والمعاد، هو أصل الحياة. على أي حال لا مجال لنا للوقوف عند موضوع المعاد فلابد من مغادرته. اللهم! أنر أبصارنا برؤية المعاد.

فمـن أجـل أن أشرح لـك يـا إلهـي كيـف تـنر أبصارنـا، دعنـي أقـرأ هـذه الروايـة. وبالتأكيـد إنـك عـالم بـكل الحقائـق وتعلـم كيـف تنـير أبصارنـا إن شـئت ذلـك، ولكـن لعـلّ بعـض الإخـوة لم يدركـوا المقصـود مـن هـذا الدعـاء ولم ينتبهـوا إلى مسـتواه الرفيـع فـلا بـأس أن أقـرأ لهـم هـذه الروايـة الشريفـة عـن أمـير المؤمنـين(ع) حيـث يصـف المتقـين: «فَهُـمْ وَ الْجَنَّـةُ كَمَـنْ قَـدْ رَآهَـا فَهُـمْ فِيهَـا مُنَعَّمُـونَ وَ هُـمْ وَ النَّـارُ كَمَـنْ قَـدْ رَآهَـا فَهُـمْ فِيهَـا مُعَذَّبُونَ»(نهـج البلاغة/الخطبـة١٩٣). فلنشـاهد الآخـرة هكـذا. ويـا حبـذا لـو اسـتطعنا أن نـرى الجنـة أيضـا ولا نـار جهنـم فحسـب. إذ غايـة مـا ينالـه بعـض ضعـاف النفـوس هـو أن ينتبـه إلى نـار جهنّـم، فيصـبّ كل اهتمامـه بالخـلاص منهـا بـلا أن يهتـمّ بالجنّـة. فيقـول: حسـبي أن أخلـص مـن نـار جهنّـم ولا يهمّنـي بعـد أيـن مـا حُـشِرت وسـكنت. أمـا أنتـم فحاولـوا أن تتألمـوا مـن نـار جهنـم بدافـع شـوقكم إلى الجنّـة. فانظـروا إلى نـار جهنّـم كمانـع مزعـج حـال بينكـم وبـين الجنّـة. فلابـد أن يصحـب الخـوفَ مـن النـار شـوقُ الجنـة.

## ما دور العلم في إنتاج القيمة المضافة؟

فلنرجـع إلى موضوعنـا إذ قـد ابتعدنـا عنـه كثـيرا. لابـد أن ننظـر إلى موضـوع جهـاد النفـس كهـدف خلقة الإنسـان. إذ خلـق الإنسـان لـكي ينتـج القيمـة المضافـة، وبالتأكيـد إن نطـاق هـذه القيمـة التـي يسـتطيع الإنسـان إنتاجهـا نطـاق واسـع جـدا، فإنـه سـوف يكـون أبديـا في حيـاة الآخـرة وهـو الـذي يحـدد مصيره ويتحكـم في كيفيـة حياتـه. انطلاقـا مـن مـدى تأثـير القيمـة المضافـة في نـوع حياتنـا الأخرويـة، يتبـادر هـذا السـؤال وهـو أن كيـف يمكـن إنتـاج القيمـة المضافـة. أرجـو أن تطيلـوا الوقـوف عنـد هـذا السـؤال. بـودي أن تطيلـوا التفكـير حتـى يتكـوّن حـزن في قلوبكـم ثـم تنقلبـوا إلى ربكـم وتناجونـه بهـذا الحزن في ليـالي مناجاتكـم. فـلا تبكـوا بـلا سـبب وغـمّ ولا تكونـوا بـلا حـزن وغـمّ معنـوي، فـإنّ البهائـم لا يحزنـون لـشيء وحاشـاكم أن تكونـوا مثلَهـم. ولكـن بـودّي أن يكـون حزنكـم مسـتوحى مـن هـذه المعرفـة ومـن التأمـل في هـذا الموضـوع. كيـف يمكـن للإنسـان أن ينتـج القيمـة المضافـة؟ إذا أردت أن أفتـح الموضـوع بالتفصيـل سـوف لا أقـدر عـلى إنهائـه حتـى بعـد خمـس سـاعات، ولكـن أحـاول أن أطرحـه بإيجـاز.

إذا ازداد الإنسان علما، هل يمكن أن نفترضه قد أنتج قيمة مضافة؟ فهل يعقل أن يكون الإنسان قد أنتج القيمة المضافة بمجرد أن علم شيئا بعد ما كان يجهله؟! إن مجرد ازدياد المعلومات لا ينتج القيمة المضافة للإنسان، ولا سيما إذا لم يكن للإنسان دور في ازدياد معلوماته، كمن كان يمشي في مكان وإذا به يسمع معلومة جديدة لم يكن يعرفها. أو كالذي حصّل على بعض التجارب في حياته ومن مواقف فشله وخسرانه. فهل يعقل أن يكون هذا الإنسان قد أنتج قيمة مضافة بكسب هذه المعلومات؟! كلا. طبعا، لا أعتقد أن العلم بلا قيمة وثمن في هذا المسار، ولكنه يعين الإنسان على إنتاج القيمة المضافة، وبهذا القدر إنه ذو قيمة. أما إذا لم يعن الإنسان على إنتاج القيمة المضافة عند ذلك يصبح صاحبه (كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً) (سورة الجمعة/الآية٥). وأنتم تعلمون أن هذه الآية هي في شأن بعض العلماء الذين حصلوا على معلومات، ولم تنزل في حق الحاسوب الذي خزنت فيه ملفات الكتب. مع هذا قد يصير مَثَل الإنسان العالِم كالحمار يحمل أسفارا. إذن لا يكفي العلم بوحده لإنتاج القيمة المضافة.

## ما دور العمل في إنتاج القيمة المضافة

هل أن العمل يكفي لإنتاج القيمة المضافة؟ كلا. فعلى سبيل المثال إن بعض الكائنات كالنمل في عمل دؤوب بلا ملل أو تعب، فلا نقدر على القيام بنصف ما يقومون به، حتى قد ضرب بهم المثل في العمل والاجتهاد، لشدة عملهم وجهدهم، ولكن لا يمكن أن نعتبر مثل هذه الأعمال تنتج القيمة المضافة التي نبحث عنها. إن العمل قادر على معونتنا في إنتاج القيمة المضافة، ولكن ليس هو بقيمة مضافة بالأصالة. إذ كما ذكرت إن الحيوانات تعمل وتخدم أيضا. فانظروا إلى الأبقار مثلا، فإنهم لا يقفون عن العمل النافع لحظة. نحن نقف عن العمل ولكنّهم لا يقفون. فتارة يعتلفون توفيرا للحليب، وأخرى يعدّون تقرير ما اعتلفوه قبل ساعة، ليستعرضوه مرة أخرى [كناية فكاهية عن اجترارهم]. فيا لها من عامل مجتهد خدوم! حتى أن البعض أصبحوا من عبدتها، ولا يدرى فلعل السبب هو ما شاهدوه منها من عمل مستمرّ وخدمة متواصلة، وهذا ما جرّهم إلى عبادتها. [كان الشيخ ممازحا في هذه العبارة]. فلا يستطيع الإنسان أن ينتج القيمة المضافة على سبيل الأصالة لا بالعلم ولا بالعمل.

## إن ما ينتج القيمة المضافة هو جهاد النفس

إن ما ينتِج القيمة المضافة باستخدام العلم والعمل، هو كيفية مواجهة الإنسان مشتهياته ومدى إعمال التغيير فيها. فإذا استطاع الإنسان أن يؤثّر على أهوائه ومشتهياته، سوف يقدر على ترك بصمة تأثيره على العالم بأجمعه. لقد خلق الإنسان لصنع التغيير وإنتاج القيمة المضافة ومن أجل التأثير على العالم. وإنّ مركز هذا التغيير هو نفس قلب الإنسان ونزعات الإنسان ذاته. ثم لا سبيل لصنع التغيير القيّم إلا فيما إذا واجه الإنسان موانع ومصاعب في مسار صنع التغيير. لا أن يكون ذاك التغيير ملائما لأهوائه وشهواته. إذن لا تنتج القيمة المضافة بما يلائم هوى الإنسان كالأكل والشرب والنوم وغيرها. لا يمكن إنتاج القيمة المضافة إلا بمخالفة الأهواء والمشتهيات. فعندما تقاوم نزعاتك السطحية متخلّصا منها إلى النزعات الأصيلة والعميقة، هنا تنتج القيمة المضافة، ومقاومة النزعات السطحية هذه هي ما يسمّى بجهاد النفس. فأنت صرت إنسانا من أجل جهاد النفس وإنتاج القيمة المضافة والوقوف أمام بعض نزعاتك ورغباتك. ومن هذا المنطلق إن إنسانية الإنسان وهويته الإنسانية مرهونة بمدى مخالفته لرغباته وشهواته.

## عدم تلبية الأهواء هو ما يسبب إدراك الهوية الإنسانية

فاختاروا ما شئتم من رغباتكم لتقضوا عليها. ولكن ليس لكم حقّ الاختيار إذ قد أحاطكم الله ببرنامجه بكلا نوعيه المتمثل بمقدّراته وتكاليفه. فتأملوا إذ سوف نخوض إن شاء الله في البرنامج الإلهي لجهاد النفس. أما الآن فلأضرب لكم مثالا؛ ما إن يدخل الطفل في السابعة من عمره، يواجه بعض الموانع في محيطه وفي بيته. وهذه السنة هي منطلق حياته الإنسانية. فمنذ السنة السابعة لابد أن يعرف أنه قد يحبّ شيئا ولكن يجب أن يكفّ عنه، وقد يرغب في شيء غير مرغوب لدى أمّه وأبيه، فينبغي أن يمتنع عنه. إن الكفّ عن المشتهيات موضوع حياتك، وليس بقضية مقطعية لتحاول حلّها وتعيش باقي حياتك بدونها. إن موضوع حياة الإنسان هو أن يفتش عن مشتهياته لسحقها. فهي ليست مشكلة الإنسان ولا بقضيّة طارئة في حياته بل هي قاعدة أساسية في حياة الإنسان. فإن زعم أحد أنه قادر على حلّ جميع مشاكله وبإمكانه أن يصل إلى جميع رغباته، فليسع ويكد ما يشاء لنرى أين يبلغ؟

بعـد مـا انصرفـتَ عـن هـذه الجلسـة، كيـف تريـد أن تجاهـد نفسـك؟ سـوف تنـام في وقـت متأخـر وسـوف يصعـب عليـك الاسـتيقاظ بطبيعـة الحـال، إذن اتضـح أحـد مواطـن جهـاد النفـس بحمـد اللـه. بعـد ذلـك وفي وجبـة السـحور قـد لا تشـتهي الطعـام فتـأكل رغـما عـلى نفسـك، أو تشـتهيه وتأكلـه بلـذة، فينتظـرك النهـار الطويـل حيـث تمنـع فيـه مـن الأكل والـشرب، فيجـوع ويعطـش جسـمك ويطالـب بالطعـام، ولكنـك تُسـكته وتأمـره بالصبر إذ ليـس بجسـم حيـوان بـل جسـم إنسـان. فعندمـا يصـوم الإنسـان يشـعر بإنسـانيته. لا أدري كـم تدركـون هـذه الحقائـق أيهـا الإخـوة، ولا شـك في أنكـم أعـرف منـي بهـا. حينـما ينهـى الإنسـان نفسـه عـن بعـض ملذّاتهـا وشـهواتها، هنـاك يشـعر بأنـه إنسـان ويشـعر بهويتـه الإنسـانية. ولكـن لا ينبغـي أن يخالـف الإنسـان هـواه بـلا ضابـط وبرنامـج. فهنـاك برنامـج لابـدّ أن يمـشي الإنسـان عـلى أساسـه.

## أنواع جهاد النفس

عـلى أسـاس تقسـيم شـامل جـدا، تنقسـم مقاومـة النفـس عـلى شـكلين، وأرجـوا أن نوفّـق لدراسـة كلا الشـكلين إلى آخـر رمضـان: فتـارة ترغـب في شيء ولم تعطَـه، فلابـد أن تتحمّـل هـذا الحرمـان وتصـبر، بـل يجـب أن تـرضى بمـا قُسِـم لـك. وتـارة أخـرى تشـتهي شـيئا تملكـه وتقـدر عليـه، ولكـن يجـب أن لا تمـدّ يـدك عليـه وتكـفّ عنـه. فـكلا هذيـن الشـكلين هـما نوعـان لجهـاد النفـس. يفـرض اللـه عليـك نوعـين مـن الجـوع؛ فتـارة تصفـر يـدك مـن المـال لتـأكل بهـا شـيئا، وتـارة تملـك مـالا ولكنـك صائـم. فهنـاك عمـلان لابـدّ لـك منهـا في مسـار جهـاد النفـس؛ الطاعـة والرضـا؛ الطاعـة في قبـال التكليـف، والرضـا في قبـال التقديـر. وهنـا تُظهـر بعـضُ النفـوس عقدَهـا وأمراضهـا، فقـد يسـأل اللـه أحـد أن يغنيـه ولا يحرمـه شـيئا، عـلى أن يكـفّ هـو بنفسـه عـن بعضهـا بدافـع التكليـف! وهـذا مـا لا ينسـجم مـع الأطروحـة الإلهيـة، إذ إن اللـه شـاء أن يحرمنـا مـن بعـض مشـتهياتنا تقديـرا ولا تكليفـا، ليمتحـن مـدى رضانـا بتقديـره. إنـه يعلـم جيـدا مـدى حاجـة الإنسـان إلى مـال الدنيـا ولـوازم الحيـاة، ولكنـه شـاء أن يحـرم النـاس مـن بعضهـا، لـيرى مـا يخطـر في قلوبهـم ومـا رأيهـم. فلـماذا خلقهـم اللـه أناسـا؟ إنمـا ذلـك مـن أجـل جهـاد النفـس. يبـدأ موسـم الرضـا بقـدر اللـه مـن السـنّة السـابعة، وكذلـك موسـم الطاعـة فإنـه يبـدأ مـن ذاك الوقـت. فلابـد أن نبـدأ بمصارحـة الصبـيّ بحقيقـة الحرمـان والمنـع مـن ذاك الوقـت.

أرجوكم أيّها الإخوة أن لا تجعلوا جهاد النفس كفضيلة إلى جانب سائر الفضائل، فإن هذه الرؤية جفاء بحقّ هذا الموضوع وفلسفة خلق الإنسان، وجفاء بحق الدين كلّه. إذ إن جهاد النفس ليس بواحد من المواضيع بل هو أصل حياتنا ومن أجله خلقنا.

## ألا يتعارض هذا البحث مع الروايات المؤكدة على العمل وكسب الرزق؟

لا يخفى عليكم أيها الإخوة أنني لم أبلّغ لدين انفعالي بلا أثر. فلا تسألوني بعد المحاضرة عن الروايات التي تدعونا إلى مكافحة الفقر والعمل الاقتصادي، إذ إنّها لا تتعارض مع هذه الأبحاث بل تؤكدها. فإن جمال الأطروحة الإلهية هو أن لابد من أن تسعى ضد عيلتك، أما إذا أصابك فقر رغما على سعيك وعملك فلا تحزن كثيرا، وابتسم رضاً بقضاء ربك. لعلك تقول: «إذا كان الله قد قدّر علينا بعض المشاكل رغما على اجتهادنا وسعينا، فلماذا نعمل ونجتهد، ولنترك الدنيا برمتها إلى أن نموت جوعا». الجواب هو أن لو كان القرار على أن لا تسعى لإبعاد الفقر عن حياتك، لما استطعت بذلك أن تنتج القيمة المضافة. ولكن المشكلة وصعوبة هذا الإنتاج هو أنك مكلّف بالعمل وتعمل فعلا لكسب الرزق الحلال، فيقدّر الله لك من يعتدي على أموالك وينهب ما حصلت عليه بكدّ يمينك، فتتألم وتحترق. فإذا استطعت أن ترضى بقدر الله وقضائه وتبتسم في أعماق قلبك، يرتقي مستواك وتنتج شيئا من القيمة المضافة. ولا شك في أن هذا الرضا لا يتعارض مع غضبك على المعتدي والسعي لاقتصاص حقك منه. لقد أوجب الله علينا العمل وطلب الرزق وأذاقنا حلاوة الغنى وكسب المال، ثم يسلب منّا المال بأنواع الحيل والأساليب في منعطفات الحياة وأحداثها. إنها لأطروحة الله الرائعة في إذاقة عباده مرارة الحرمان، وذلك في سبيل توفير أرضية جهاد النفس الذي خلق من أجله الإنسان.

## هل في ترك اللذة لذة

بعد هذا الكلام كلّه، يبقى سؤال لابدّ من طرحه، وهو ما حلاوة هذه الأطروحة؟! لعلك تقول لي: قررنا على تحمل مرارة حياة الدنيا في قضائها وتكليفها، فما لنا والسؤال عن اللذة والحلاوة؟! ولكن هل يمكن أن يفرض الله على الإنسان عملا مرّا ثم لا يذيقه حلاوة في هذه الدنيا قبل الآخرة؟! كان يقول الشيخ بجهت(رض): «إن طويت طريق السعادة، فمن المحال أن لا يذيقك الله طعمه في هذه الدنيا». فأين حلاوة هذه المرارة؟ إن حلاوة هذه المرارة هي أنك قد جاهدت نفسك من أجل أحدٍ، وهو الله سبحانه. والله هو الذي سوف يذيقك حلاوة تنتعش بها. أيها الأحبة! إننا قد خلقنا من أجل الله نفسه ومن أجل التقرب إليه ومن أجل شمّه ومن أجل إدراكه ومن أجل رؤيته ومن أجل الشعور به، وكل هذه الكلمات عاجزة عن حكاية تلك الحقيقة الرائعة التي يعيشها الإنسان مع ربّه. لقد خلقنا من أجله وأمامنا طريق واحد للاتصال بالله وهو إنتاج القيمة المضافة عبر جهاد النفس. لابد لك في هذا المسار أن تقضي على أنانيتك، ولا سبيل لهذا الهدف سوى أن تكفّ عن شهواتك في مقام كسب رضا الله وطاعته. فإنك إن فعلت ذلك تزداد لطافة وخلوصا يوما بعد يوم. فهذا شوطك والميدان ميدانك، إذهب وابحث وفتّش عن أوامر الله وبرامجه لتهديك وتعينك على جهاد نفسك. إذهب وفتش عن هذه الأوامر ومواطن جهاد النفس ولو تحت التراب والصخور. فإن عثرت على عشرة أحكام وعملت بها لا تقف عن التفتيش فإن تبحث تجد مزيدا من أمثالها. فلا تقف عن مجاهدة نفسك وسحق هذا التنين ذو الألف رأس الذي إن قطعت له رأسا، ينبت مكانه سبعون ألف رأس كلها تختفي تحت أغصان الحياة وأوراقها، فاستخرجها من تحتها وابدأ بقطعها واحدا بعد الآخر، و لا يزال تنمو رؤوسه إلى أن يتوفاك الله. فعند ذلك تلقي سيفك من يدك وتتنفس الصعداء.

## لقد خلقنا لجهاد دائم مع شهواتنا

إن الحسن والصلاح إنما هو جهد وسعي دائم لذبح تنين النفس، لا أن تبلغ مكانة أو مقاما وحسب. فإن كنت بخيلا وقطعت رأس البخل من نفسك، لا تقف إذ ما إن قطعت رأسا يخرج رأس آخر. فاذهب في عملك وواصل جهادك. يتجسد الحسن والصلاح في الجهاد الدائم لا في قتل رجل أو رجلين. إنه جهاد مستمر دائم مع رغبات الإنسان وشهواته التي تتجدّد وتستحدث ولا تنتهي. فليس معنى الامتحانات الإلهية غير أنه يستخرج كل آن إحدى رغبات نفسك ويجعلها أمامك لتحزّ رأسها. وأحيانا تجد هذه المشتهيات جيّدة، وأحيانا تجدها من حقك، وتارة تجدها رغائب ضرورية ليست بكمالية. لقد خلقنا لجهاد مستمر مع رغباتنا، سواء أكان طريق الجهاد عبر التكاليف الإلهية التي لابد من إطاعتها، أم كان عبر التقديرات الإلهية التي لابد أن نرضى بها. فليس لنا تجاه أحداث العالم كله سوى تكليف واحد، وهو ذبح نفسنا الأمّارة. فعلى سبيل المثال قد يأتي أحد ويشتمنا ويسبّنا كذبا وعدوانا، فتكليفنا الأول هو أن نذبح نفسنا أولا، ثم نرى هل لنا تكليف آخر تجاهه. فهل ينبغي أن نردّ عليه أو يجب أن نؤدبه، ولا بأس أن نؤدبه أن استدعى التكليف. ينقل عن أمير المؤمنين(ع): «أَنَّهُ تَوَضَّأَ مَعَ النَّاسِ فِي مِيضَاةِ الْمَسْجِدِ فَزَحَمَهُ رَجُلٌ فَرَمَى بِهِ فَأَخَذَ الدِّرَّةَ فَضَرَبَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ لَيْسَ هَذَا لِمَا صَنَعْتَ بِي وَ لَكِنْ يَجِيءُ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنِّي فَتَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ هَذَا فَتَضْمَن»[الاختصاص/ص١٥٩]. فانظر ما هو تكليفك؟ إن تكليفك هو أن تذبح نفسك وتقطع رأسها. ويمكن مشاهدة مدى أهميّة جهاد النفس من خلال بعض الروايات. قال أمير المؤمنين(ع): «فِي خِلَافِ النَّفْسِ رُشْدُهَا»(تحف العقول/ص٩١) وقال كذلك: «الرُّشْدُ فِي خِلَافِ الشَّهْوَة»(تحف العقول /٢١٤) وكذلك روي عن الإمام الجواد(ع) أنه قال: «لَن يَسْتَكمِلَ العبدُ حقيقةَ الإيمانِ حتّى يُؤْثِرَ دِينَهُ على شَهْوَتِه، و لَن يَهْلِكَ حتّى يُؤْثِرَ شَهْوَتَهُ على دِينِهِ» (كشف الغمه/ج٢/ص٣٤٨). فنحن نتصور أن محل استكمال الإيمان في استماع الدروس العقائديّة، ولكنه تصور خاطئ. إن أصل الموضوع ومنطلق ازدياد الإيمان ونقصانه هو شهوة الإنسان. ولهذا ترى بعض الناس يكرهون الدين، لأن مقتضى العمل بالدين هو مخالفة الهوى.

## اتباع الهوى هي النقطة المقابلة لعبادة الله

واستمعوا إلى هذه الرواية يا عباد الله، الذين تعبدون الله ولا تعبدون شيئا سواه. روي عن الرسول الأعظم(ص): «ما تحت ظِلِّ السَّماء مِن إلَهٍ يُعبَد مِن دونِ الله أعظم عندالله من هَوَىً مُتَّبَع»[الدرّ المنثور/ ٦/٢٦١]. فاتباع الهوى وعبادة الهوى هو النقطة المقابلة لعبادة الله. وهي ضرب من أنواع العبادة؛ (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ)[الجاثية:٢٣]

## العامل الوحيد الذي يعيننا على مخالفة الأهواء هو الخوف

يقول الله سبحانه: (وَ أَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) [النازعات/٤٠ و٤١] هل رأيتم أن كثيرا من الناس يجهلون أهمية الخوف من الله وضرورته؟ فهناك الكثير يقولون لماذا يجب أن نهاب الله، ولماذا تؤكد على أن نخافه، ولماذا تأتي بجهنّم دائما أمام أعيننا. إن كثيرا من الناس بل حتى المؤمنين لا يدركون أمرين. فلا يدركون السبب من كثرة ذكر جهنّم في القرآن؟ ولا يعرفون لماذا يجب أن يخافون الله سبحانه؟ إنهم يدركون ضرورة إصلاح نفسهم ولكن لا يفهمون السبب من هذا التخويف. وهذا سؤال متبادر لدى كثير من الناس. أتعرفون لماذا يتبادر هذا السؤال لدى أكثر الناس؟ لأنهم لا يعرفون موضوع حياتهم الرئيس. إن موضوع حياتك أخي العزيز هو مخالفة الهوى والرغبات، وليس شيء يعين الإنسان على مخالفة الهوى كالخوف. فاكتبوا هذه العبارة مئة مرّة؛ إن العامل الوحيد الذي يعين الإنسان على مخالفة أهوائه الممتعة واللذيذة والمشهّية هو الخوف. فخذ الخوف عسى إن شاء الله أن تصل إلى مرحلة العشق، وعند ذلك يشتدّ خوفك. ومن أجمل أنواع الخوف هو مهابة المقام الربوبي؛ (وَ أَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى)[النازعات:٤٠] ولكن كثيرا من الناس لا يعرفون تكليفهم الرئيس، ولا يدرون لماذا جاءوا إلى هذه الدنيا، ولا يعرفون أن شغلهم الأصلي هو مخالفة الشهوات. فزعموا أنهم يقدرون على إصلاح نفسهم مع حفظ ما طاب ولذّ لهم. فلا يدرون أصل المشكلة والعلّة.

لقـد جـاء في روايـة عـن الإمـام الصـادق(ع): «الْمُؤْمِـنُ بَـيْنَ مَخَافَتَـيْنِ ذَنْـبٍ قَـدْ مَـضَى لَا يَـدْرِي مَـا صَنَـعَ اللَّـهُ فِيـهِ وَ عُمُـرٍ قَـدْ بَقِـيَ لَا يَـدْرِي مَـا يَكْتَسِـبُ فِيـهِ مِـنَ الْمَهَالِـكِ فَهُـوَ لَا يُصْبِـحُ إِلَّا خَائِفـاً وَ لَا يُصْلِحُـهُ إِلَّا الْخَوْفُ»[الـكافي/ج٢/ص٧١] ثـم يـأتي مـن يدعـي الفهـم في القضايـا الدينيـة والتربيـة والأخـلاق والعرفـان، ويعطيـك صـورة عـن الديـن وإذا بـه قـد حـذف نصـف القـرآن! فـلا يتحـدث عـن نـار جهنـم وعـن العـذاب وعـن ضرورة خـوف اللـه. فـإن سـألته عـن السـبب يقـول: «أليـس المهـم أن يصلـح الإنسـان ويحسـن، فهـا أنـا قـد انتهجـت طريـق الصـلاح فـما الداعـي للخـوف إذن. ثـم إن عـثرتُ عـلى مـا راق لي مـن الحسـن والصـلاح أسـعى لاكتسـابه وإضافتـه إلى سـائر أعـمالي وصفـاتي الصالحـة»! فإنـه قـد أخطـأ الطريـق ويتصور أن الصلاح هو أن يضيف إلى صالحاته ما استحسـنه مـن الصالحات، وإنه في الواقـع لم يخالـف هـواه شـيئا. وسـوف تـرون يـوم القيامـة كم مـن أمثال هـؤلاء الصالحين سـوف يكبّه اللـه عـلى وجهـه في جهنّـم؛ هـؤلاء الصالحـين الذيـن انتحلـوا القداسـة والصـلاح عـبر انتقـاء ما طاب لهم ونبْـذِ مـا لم ينسـجم مـع هواهـم. مـا هو الطريـق الذي تريـد أن تسـلكه؟ إنه هـو الطريق الـذي يتحدث عنـه قولـه: (وَ نَهَـى النَّفْـسَ عَـنِ الْهَـوى)، ولا يتحقـق هـذا السـلوك إلا بــ (وَ أَمَّـا مَـنْ خـافَ مَقـامَ رَبِّـهِ).

## إن بعض المؤمنين يتكبرون على بعض آيات القرآن

اسـمعوها منّـي أيهـا الإخـوة! يشـهد اللـه أن بعـض المؤمنـين يتكـبرون عـلى آيـات العـذاب في القـرآن، فعندمـا يمـرّون مـن إحداهـا يمـرون منهـا وكأنهـا لا تعنيهـم وكأنهـم أرقـى مسـتوى مـن الوقـوف عندهـا! فـلا أدري لعلهـم يريـدون التمتـع والتلـذذ بالآيـات العرفانيـة التـي تتحـدث عـن جـمال اللـه! أو يريدون أن يعيشـوا أجـواء العشـق ومناجـاة اللـه بـلا أن يقفـوا عنـد قولـه: (وَ أَمَّـا مَـنْ خـافَ مَقـامَ رَبِّـهِ)! اقـرأوا هـذه الآيـة القرآنيـة حيـث يقـول اللـه: (وَ إِنْ مِنْكُـمْ إِلاَّ وارِدُهـا كانَ عَـلى رَبِّـكَ حَتْـماً مَقْضِيًّا)[مريـم/٧١] فهـل ينبغـي أن يسـتهين الإنسـان بأمثـال هـذه الآيـة؟! إخـوتي الأعـزة! أينـما وجدتـم في أنحـاء طهـران جلسـة تجمـع نفـرا مـن المؤمنـين وكانـوا يبكـون ويضجّـون خوفـا مـن نـار جهنّـم فاقصدوهـا وتمسّـحوا بجدرانهـا وأبوابهـا، تزدهـرْ قلوبكـم نـورا. وإن اسـتطعتم أن تبكـوا مثلهـم فـلا تنسـونا مـن الدعـاء.

هـل قرأتـم دعـاء الإمـام الحسـين(ع) في يـوم عرفـة؟ إذ بعـد دعـاء وبـكاء طويـل وفي أوج الدعـاء رفـع الإمـام الحسـين(ع) رأسـه وبـصره نحـو السـماء ودموعـه تجـري كالقِـرَب فقـال بصـوت عـالٍ: «يـا أسـمع السـامعين ويـا أبـصر الناظريـن... وَ أَسْـأَلُكَ اللَّهُـمَّ حَاجَتِي إِلَيْـكَ الَّتِـي إِنْ أَعْطَيْتَنِيهَا لَـمْ يَضُرَّنِي مَـا مَنَعْتَنِي وَ إِنْ مَنَعْتَنِيهَـا لَـمْ يَنْفَعْنِـي مَـا أَعْطَيْتَنِـي أَسْـأَلُكَ فَـكَاكَ رَقَبَتِـي مِـنَ النَّـارِ» [زاد المعـاد/ص١٨٢]. فهل كان مسـتوى الإمـام الحسـين(ع) نـازلا ومسـتواك عـال؟! وكـذا الحـال في دعـاء جوشـن الكبـير إذ تنـادي ربّـك ألـف مـرة وبعـد كل مقطـع تقـول: «سـبحانك يـا لا إلـه إلا أنت الغـوث الغوث خلصنـا من النار يـا ربّ». فـإن هـذا الخـوف مـن نـار جهنـم هـو الذي يشـحن الإنسـان بطاقـة يتقـوّى بها على حـرق هوى نفسـه.

## أسأل الله أن يفهمنا معنى الهوى

اللهـم وفقنـا لمعرفـة هـوى النفـس. فقـد يكابـد الإنسـان عمـرا طويـلا بـلا أن يعـرف هـوى نفسـه. فـتراه يتحـدث عـن الهـوى تلبيـة لهـواه، ويجاهـد نفسـه بدافـع هـوى نفسـه، فهـو متنقـل مـن سـيئ إلى أسـوأ. أذ ليسـت معرفـة الهـوى بأمـر بسـيط؟ إنـه سرطـان خفـي لا يمكـن كشـفه في أيّ مختـبر، ولا عـلاج لـه سـوى نـار جهنّـم. فـلا سـبيل لـك سـوى أن تخـاف نـار جهنّـم، فعنـد هـذا الخـوف تتفتـح عليـك أبـواب المناجـاة. كل مـن يعـاني مـن مـرض في دينـه ونفسـه، فالسـبب هـو أنـه لم يـدرك نـار جهنّـم جيـدا، فـإن عرفهـا لـن تبقـى لـه مشـكلة بعـد. أنـا لا أعـرف مـا هـذا الخـوف الـذي جعـل الحسـين(ع) يسـتغيث بربّـه في آخـر سـاعة مـن حياتـه في حفـرة المذبـح وينـادي: «يـا غيـاث المسـتغيثين»! وليـت شـعرى مـا هـذه الخشـية التـي كانـت تعـتري أمـير المؤمنـين(ع) حتـى يغـشى عليـه ويصـير كالخشـبة الملقاة؟![راجـع أمـالي الصـدوق/ص٧٩]. نحـن لم نخـف نـار جهنـم بعـد، فأصبحـت نصـف آيـات القـرآن لنـا بـلا أثـر، ونتلوهـا بـلا تأمـل ووعـي. فـلا نخـاف اللـه ولا نخـاف نـار جهنّـم. إذا دخـل هـذا الحـزن في قلوبكـم وأصبحتـم بحاجـة إلى هـذا الخـوف، فاسـمحوا لي أن آخـذ بأيديكـم إلى بـاب مـن أبـواب الحوائـج. فـإن هـذا البـاب قـد أعطـى حوائـج الكثـير مـن النـاس مـع صغـره. فتعالـوا هـذه الليلـة نـدقّ هـذا البـاب ونسـأل هـذه الحاجـة المعنويـة.

إن للحسين(ع) بنتا صغيرة قد أودعها في خربة الشام. تلك البلاد التي كانت أموية في ذاك الزمان وإذا بها انقلبت على يد هذه البنت الصغيرة، فإن تذهب الآن إلى الشام وتسأل عن دين الناس، سيجيبك الكثير أننا علويّون. وكان مبدأ تحول الشام من ذاك اليوم الذي دفنت فيها هذه البنت الصغيرة. بأبي الطفلة المضروبة المهضومة! فإن لم تضرب هذه البنت لما ضرب طفل في التاريخ. فلا أدري بأي ذنب ضربوها؟! هل كان ذنبها هو أن قتلوا أباها ورفعوا رأسه فوق الرماح؟! فهل حقها هو أن تضرب بالسياط بهذا الذنب؟! ما كان ذنب هذه الطفلة وما كانت جريمتها؟! كفاها ذنبا أن تكون بنت الحسين(ع)! ويكفيها جريمة أن كانت تنادي أباها الحسين(ع) شوقا ولهفة إليه!

## ألا لعنة الله على القوم الظالمين



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٤)

علي‌رضا بناهيان




**الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ**
**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فی مدينة طهران**
**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٤)**

**إليك ملخص الجلسة الرابعة من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

## ما نهدف إليه في هذه السلسلة

إن المحاضرات والأبحاث التي نطرحها نحن الخطباء في هذه المنابر عادة لا تخلو من هذه الحالات التالية؛ فإما نطرح شيئا مغفولا عنه وقلّ ما ينتبه إليه الناس، فنتحدث ونذكّر الناس على هذا الأمر المهمّ الذي يعرف الناس أهميّته ولكنهم غفلوا عنه. وإما أن يكون الموضوع مجهولا لا يعرفه أحد، وهذه حالة نادرة جدا، فنادرا ما يحصل أن نرتقي المنبر ونقول: نريد أن نتحدث في هذه المحاضرة عن شيء لا يعلمه أحد! إذ قد سمع الناس كثيرا من المعارف الدينية، إلّا أن تشتمل المحاضرة على نقطتين أو ثلاث لم يعلمها بعض الحضّار. وتارة تكون المحاضرة موعظة وهي أن يتحدث الخطيب مع الناس بقوّة وشدّة كي تستيقض قلوبهم من سباتها ويتأثرون بنصائحه ومواعظه. أما الآن وفي سلسلة هذه المحاضرات، لم تنطبق هذه الأبحاث على واحد من تلك الأنواع في إلقاء المحاضرات، مع أني غير صالح لجميعها. إن الهدف الذي نرمي إليه في هذه السلسلة، لا هو من قبيل التذكير ولا من قبيل الموعظة ولا من قبيل التعليم والإخبار، بل هو من قبيل تغيير الرؤى. إن رؤى الناس وحركتهم وأجواءهم الذهنيّة خاطئة ولابدّ من تغييرها. ولا يخفى أن تغيير الرؤى ليست بعملية هيّنة، إذ لا تتغير رؤية الإنسان بالاطلاع على معلومة خاصّة أو على رواية أو اثنتين. بل هو بحاجة إلى عمليّة جذرية ينقلع فيها عن رؤيته السابقة تجاه الدين ليحصل على الرؤية الجديدة التي رءاها صائبة. إن وفّقتُ بعون الله لتغيير رؤيتكم، بعد ذلك إن حاولتم أن تغيروا رؤية أحد آخر، سوف تواجهون صعوبة، إذ إن تغيير الرؤى أساسا هو عمليّة صعبة. إن هذه الليالي الثلاثين في شهر رمضان لخير فرصة للتأمّل في موضوع واحد، وخير فرصة لإصلاح الرؤى. فإن الرؤية تختلف عن المعلومات البسيطة. إن الرؤية غير التذكير، وإنّها تختلف بطبيعتها عن استماع الموعظة بهدف اندفاع الروح وكسب الحافز للعمل.

## إن رؤية الناس بشكل عام تجاه موضوع الدين وما يدور في فلكه غير صائبة

هنا أدعي ادعاءً في محضركم وهو أن رؤية الناس بشكل عام تجاه الحسن والصلاح غير صائبة. وإن رؤيتهم تجاه الدين غير دقيقة، إن لم أقل أنّها غير صائبة. إن رؤية الناس بشكل عام تجاه الحياة وفلسفتها غير صائبة. كذلك هم غير صائبين في رؤيتهم تجاه الهدف السامي والراقي الذي يجب أن يختاروه. طبعا إن إثبات هذا الإدعاء بحاجة إلى بحث متسلسل طويل، وإلا فإن أكتفي بالإدعاء فقط، تواجهوني بسؤالين صعبين وسوف لا أستطيع الجواب بسهولة. وهي: ما هي رؤية الناس الخاطئة؟ ثم ما هي الرؤية الصائبة في رأيك؟ إنّ تبيين رؤيتنا بحدّ ذاته هو أمر عسير، فما بالك إن أردنا تبيين الرؤية الصائبة. إن ما أدعيه خلال هذه الأبحاث هو أن رؤيتنا تجاه التربية ومسار العبودية والسير والسلوك إلى الله وكذلك رؤيتنا تجاه الحياة وفلسفتها وفلسفة كل ما يجري ويحدث في الحياة ليست برؤية صائبة، أو على الأقل ليست دقيقة. فما نصبو إليه خلال هذه السلسلة هو تغيير الرؤى. فلابد أن تمتزج مجموعة ومنظومة من المعلومات والمعارف معا لتنهض بتغيير رؤية الإنسان وتغيير قبلته واتجاهه. وأنا أعلم أن هذه الكلمات والعبارات هي كلمات كليّة وعامة لا يمكن إحساسها ولمسها، فلابدّ لنا من الدخول في البحث. فأقترح عليكم أيها الإخوة أن تواكبوا الأبحاث بلحاظ تسلسلها واتصالها، وإلا قد لا يحصل ما نصبو إليه.

## ما معنى تغيير الرؤى؟

فلأشرح قليلا ما هو المقصود من تغيير الرؤى. إن لمست بيدك أعضاء فيل في الظلام الدامس، ماذا تشعر بهذا اللمس وما سيكون انطباعك عن هذا الكائن الذي لمسته بيدك؟ فمرة تمسّ بطنه ولعلك تزعم أنه سقف صلب، وأخرى تمس رجله فتتصور أنه عمود محكم، ثم تلمس جنبه وجسمه، فقد تشعر أنه جدار عال. فهل سوف تحصل على صورة كاملة وواضحة لهذا الفيل إن لمست باقي أعضائه؟ فهل تستطيع أن ترسم صورته؟! كلا أبدا. أما إن ابتعدت عن الفيل قليلا وفُتِح لك المصباح، تستطيع أن ترى الفيل بنظرة واحدة، وعند ذلك تعرف حقيقة الأعضاء التي لمستها بيدك وسوف تعرف شأنها وموقها من كل جسم الفيل وما تؤدي من دور في هذا الحيوان ككل. فإن الصورة التي تلقيتها من الفيل في ذاك الظلام الدامس مع أنها لا تخلو من الصحّة تماما ولكنها لم تعطك رؤية صحيحة.

وأنا أقول لكم إن كثيرا من معلوماتنا المتناثرة عن الدين صحيحة ولكننا لم نستخرج من هذه الأجزاء صورة مركبة صحيحة عن الدين فلم نحصل على رؤية صائبة تجاهه. إن الحصول على رؤية صائبة وصورة متكاملة تجاه الفيل أمر يسير، لكن تعالوا إلى الدين فما هي الصورة التي لابدّ أن نحملها عنه؟ أعدّوا فهرسا عن آيات القرآن التي تزيد عن ستة آلاف آية بالإضافة إلى عشرات الآلاف من الوصايا الأخلاقية، فمن أين نبدأ وإلى أين ننتهي؟! وما علاقة بعضها ببعض؟ فهل يمكن أن نربط جميع معارف الدين كخرز السبحة في خيط واحد؟ فهذه مقدمة أضفناها إلى ما قدمناه في الجلسة الأولى حيث ذكرنا هناك أن لابدّ من تنظيم معلوماتنا المتناثرة عن الدين في نطاق منظومة واحدة. وأضفنا في هذه الليلة أن لابدّ أن تكون لنا رؤية شمولية وجامعة وصائبة عن مجموع المعارف الدينية بحيث تشخِّص الرابط والعلاقة بين مختلف أجزاء الدين.

## أحد آثار هذه الرؤية، اتضاح تكليف الإنسان

ما فائدة هذه الرؤية؟ أرجو أن تسمعوا هذه العبارة بتمعّن. من أهم فوائد هذه الرؤية الشمولية والصائبة هي أنها تشخص تكليف الإنسان بشكل دقيق. إنه لإدعاء كبير جدا، وهو أنه ليس لنا في كل الحياة سوى تكليف واحد. فلابدّ أن نراقب شيئا واحدا فقط. وسوف نعي هذه الحقيقة إن شاء الله. فليس المطلوب هو أن نقوم بمئة عمل ولأن نزيل مئة عيب ونحصل على مئة حسنة، فكلها أمر واحد. فلابدّ أن نعرف ذاك الأمر الواحد الذي تشتمل عليه كل الأعمال الصالحة، إذ إن جميع الحسنات والصالحات بدءً من الحد الأدنى من القضايا الأخلاقية إلى أقصى مراتب عشق الله وعشق أوليائه، هي صور لهذا الأمر الواحد الذي لا آخر له. فإن عرفت هذا النظام وصحّت رؤيتُك واتجاهُك، عندئذ ترسم خطا مستقيما من موقعك الذي أنت فيه إلى نقطة الهدف، وسوف تعلم ماذا عليك وما الذي يجب أن تقوم به. أما إن لم يقدر الإنسان على رسم هذا الخط المستقيم، يبقى في حيرة بين مختلف الفضائل والرذائل فلا يدري أيصلح حسده أم يراقب بخله أم يقضي على حب المقام أم يزيل حب الراحة؟! أفهل هي عيب واحد أم عيبان؟ بل هي آلاف، فما يصنع هذا الإنسان المسكين الضائع بين عيوبه ورذائله؟!

إن هـذه الحـيرة ليسـت بحالـة جيـدة، فليـس مـن الصحيـح أن يكـون الإنسـان في حـيرة مـن أمـره لا يعـرف حاجتـه الأولى مـن بـين مختلـف الصفـات الجيـدة، مـن قبيـل الصـدق والصـبر والتواضـع والكـرم وغيرهـا. إن هـذه الحالـة هـي حالـة الحـيرة المذمومـة. قـد يقـول البعـض أن الجميـع مبتلـون بهـذه الحـيرة. أقـول: فهـل تصبـح حالـة جيـدة إن ابتـلى بهـا الجميـع؟! فأيـن موقـع معرفـة النفـس إذن، وكيف نتمكـن مـن محاسـبة النفـس؟ فـإن لم تكـن رؤيتـي صائبـة تجـاه الطريـق الـذي أريـد أن أسـلكه وإن لم أعـرف تكليفـي الرئيـس ولا أميّـز بـين التكليـف الأصـلي والفرعـي، لـن أسـتطيع أن أحاسـب نفـسي أبـدا.

## من آثار هذه الرؤية، تبلور الحكمة في قلب الإنسان

إن دور النبـي(ص) هـو أن يعلّـم النـاس الكتـاب والحكمـة؛ (هُـوَ الَّـذي بَعَـثَ فِي الْأُمِّيِّـينَ رَسُـولاً مِنْهُـمْ يَتْلُـوا عَلَيْهِـمْ آياتِـهِ وَ يُزَكِّيهِـمْ وَ يُعَلِّمُهُـمُ الْكِتـابَ وَ الْحِكْمَةَ)[الجمعـة:٢] فـما معنـى الحكمـة؟ إن الكتـاب هـو علـم يدخـل في قلـب الإنسـان مـن الخـارج، أمـا الحكمـة فهـي علـم تفـور مـن داخـل القلـب. فالحكمـة هـي إنتـاج العلـم لا تعلّمـه. فـكأن اللـه أراد مـن النبـي الأعظـم(ص) أن يـربّي أفـراد أمّتـه لـكي يصـيروا حكـماء. مـن خصائـص الإنسـان الحكيم هـي أنـك عندما تقـرأ عليـه الروايـات، يتقبلها بـكل رحابـة صدر ويؤيدهـا بقلبـه. فهـو يـدرك صحتهـا ويعـرف موقعهـا مـن الديـن. فتجـده يتحـدث بمضمـون الروايـات قبـل أن يسـمعها أو يعـثر عليهـا في كتـب الحديـث. فتـأتي الآيـات والروايـات مؤيـدة لمـا كان يشـعر بـه في قلبـه. متـى يصـل الإنسـان إلى هـذه الحكمـة؟ عندمـا يشـاهد الفيـل كلّـه بنظـرة واحـدة. أمـا إن لم يـر الإنسـان هـذا الفيـل وكانـت معرفتـه بـه عـبر بعـض اللمسـات المتفرقة وحسـب، لا يسـتطيع أن يصـدّق أو يسـتوعب كثـيرا مـن كلـمات المتحـدّث عندمـا يتحـدث عـن الفيـل. فـإذا تحـدّث عـن ذنبـه أو تحـدّث عـن خرطومـه يتلقّـى هـذه المعلومـات كمعلومـات جديـدة غريبـة عـلى قلبـه وقد لا يسـتطيع الاسـتيناس بهـا. أمـا الحكيـم فهـو الـذي قـد رآى الفيـل كلّـه. فعـن أي عضـو مـن أعضـاء الفيـل تتحـدث معـه، يتفاعـل معـك ويكمـل كلامـك وحتـى قـد يزيـدك ببعـض المعلومـات. فالحكيـم هـو ذاك الإنسـان الـذي تلصـق الروايـات بفـؤاده لشـدّة انسـجامها مـع مـا طُبِـع عليـه قلبُـه، ثـم يعـرف موقـع الروايـات مـن الديـن ومـا هـو دورهـا في حركـة الإنسـان الدينيـة. هـذا هـو أحـد أبعـاد الحكمـة.

مـن خصائـص الحكيـم هـي أنّـه يكـون عـلى بصـيرة من نفسـه. فهـو يعـرف داءه وعيوبـه. ذات يـوم قال لي رجـل مـن أولي البصائـر والألبـاب: إن بينـي وبـين الإمـام الخمينـي(ره) بونـا شاسـعا. فاسـتغربت مـن قولـه وقلـت في نفـسي: أمـن الفـنّ أن يعـرف الإنسـان أن بينـه وبين الإمـام الخمينـي(ره) بعـد المشرقين؟! ولكنـي مـا كنـت أسـتطيع أن أبـدي اسـتغرابي لـه إذ كنـت أحترمـه كثـيرا. ثـم زال اسـتغرابي في جملتـه التاليـة حيـث قـال: ولكنـي أعلـم السـبب والـداء الـذي جعلنـي أتأخّـر عـن مقـام الإمـام(رض). فعرفـت أنـه يتحـدث بحكمـة ووعـي. وإلا فأنـا أيضـا أدعـي أن هنـاك بـون شاسـع بينـي وبـين الإمـام(رض)، ولكنـي لا أعـرف الأمـراض التـي أخّرتنـي عـن ذاك المقـام، ولكنـه قـال إني أعـرف العلـة والـداء الـذي سـبّب هـذا البـون الشاسـع. هـذه هـي الحكمـة. فإنهـا تجعلـك تفهـم وتعلـم أكـثر مـمّا سـمعت. وهـذا هـو أثـر الرؤيـة والمشـاهدة، حيـث إنـك تشـاهد مشـهدا عـبر لحظـة واحـدة، ولكنـك تقـدر عـلى كتابـة مـا شـاهدت في مئـة صفحـة. وكلـما رأيـت المشـهد مـن زاويـة جديـدة، تسـتطيع أن تكتـب حقائـق جديـدة عـن المشـهد. فينبغـي أن نـرى الديـن بطريقـة نتمكـن مـن شرح مختلـف أبعـاده للنـاس وأن نعطيهـم صـورة صحيحـة عـن الديـن. لابـد أن نـدرك ماهيـة علاقتنـا بالديـن جيّـدا ولا نخـدع أنفسـنا.

## مرور على ما انتهينا إليه في الجلسات السابقة

كل هـذا ا لـكلام الـذي مـرّ الآن واسـتغرق ربـع سـاعة، كان مقدمـة البحـث. فلـنرى هـل نسـتطيع أن نتقـدم في البحـث في نصـف السـاعة الباقيـة. فلنسـتعرض بإيجـاز مـا انتهينـا إليـه في الجلسـات السـابقة. لقـد خلـق الإنسـان بصفتـه قـادرا عـلى إيجـاد التغيـير في وجـوده، وقـد عبّرنـا عـن هـذا المعنـى في الليلـة البارحـة بإنتـاج القيمـة المضافـة. فتـمّ القـرار عـلى أن يكـون الإنسـان قـادرا على ترقية نفسـه وتحسـينها. ثـم قلنـا لا يتـمّ هـذا الإرتقـاء عـبر ازديـاد المعلومـات وحسـب، إذ إن مجـرّد ازديـاد المعلومـات لا يحسّـن شـيئا في العـالم. وسـوف تتضـح أحقيـة هـذا الإدعـاء مـن خـلال الأبحـاث التاليـة. إن الارتقـاء والتطـوّر منـوط بـأن تشـتملَ أنـت عـلى رغبـة أو رغبـات، ثـم تتخلّـص مـن بعـض رغباتـك عـبر صراع شـديد بـين الرغبـات، إلى رغبـات أخـرى. أو أن تغـيّر هـواك في خضمّ تضارب الأهـواء. فهذا الارتقاء منـوط بتغيير ثمين.

فـإن كنـت تحـبّ شـيئا مـا ثـم تعمـد إلى أكلـه أو لبسـه أو اتخـاذه تلبيـة لهـواك، فإنـك لم تتغـيّر. وسـوف يكـون شـأنك كشـأن الملائكـة الذيـن يحبّـون اللـه ويسـبحون بحمـده بمقتـضى طبيعتهـم، فإنهـم لا يقـدرون عـلى إيجـاد تغيـير في داخلهـم. فإنهـم صالحـون ويبقـون صالحـين. ولكنـك لسـت مثلهـم إذ المفـترض منـك أن توجـد تغيـيرا وأن تتكامـل وتكسـب الصـلاح عـبر عمليّـة التغيـير. هنـا قـد يتبـادر في ذهنكـم سـؤالا وهـو لمـاذا وجـب ذلـك ومـا السـبب مـن اختصـاص الإنسـان بهـذا التغيـير، وسـوف نجيـب عـن هـذا السـؤال لاحقـا إن شـاء اللـه. لقـد قُـدّر للإنسـان أن يكـون قـادرا عـلى تغيـير نفسـه ويكسـب الصـلاح عـبر هـذا التغيـير، لا أن يكـون موجـودا صالحـا مـن الأول كـما هـو الحـال في الملائكـة. بـل لابـد أن يترقّـى ويصلـح مـن خـلال صـيرورة وتغـيّر. فـإن نجـح إنسـان في هـذه العمليّـة واسـتطاع عـلى إنجـاز ذلـك فقـد سـبق الملائكـة وتفـوّق عليهـم. ولا سـبيل لنيـل هـذا الهـدف سـوى أن تكـون مشـتملا عـلى رغبـات متعـددة، وتُعطـى حـقّ الاختيـار مـن بـين أهـواء ورغبـات شـتّى وكذلـك تُعطـى قـدرةَ الاختيـار، ثـم تـصرع رغبـةً وتختـار أخـرى. هـذا هـو الحـدث الرئيـس الـذي خُلقـتَ إنسـانا مـن أجلـه. وقـد بـدأت حياتـك الإنسـانية مـن هـذا المنطلـق. وصـار الإنسـان إنسـانا لمـا يشـتمل عليـه مـن أهـواء متضاربـة لابـدّ أن يختـار بعضهـا دون الأخـرى وهـذا هـو شـأنه إلى آخـر عمـره. أمـا مـا هـي الرغائـب التـي لابـدّ أن يصرعهـا الإنسـان ومـا التـي يجـب أن يختارهـا وكيـف يكـون مسـار هـذا الـصراع، فلابـدّ أن نتحـدث حـول هـذه المواضيـع في المسـتقبل.

## فلسفة خلق الإنسان/ هوية الإنسان الرئيسة/ حقيقة الدين

السـؤال الـذي لابـدّ أن نجيـب عنـه بـادئ ذي بـدء ونهضمـه جيـدا هـو أن لمـاذا جئنـا إلى هـذه الدنيـا أساسـا؟ لقـد جئنـا إلى الدنيـا لنرغـب ونشـتهي بعـض الأشـياء ثـم لا نمـدّ أيدينـا إليهـا. جئنـا لنحـبّ بعـض الأشـياء ثـم نعـاني مـن حرمانهـا. جئنـا إلى الدنيـا لنجاهـد شـهواتنا. ثـم مـا قيمـة العلـم في هـذه الظـروف؟ العلـم خـادم لهـذا الحـدث وهـذه الملحمـة. العلـم خـادم لهـذا الجهـاد. هـذه هـي قيمـة العلـم. فـلا قيمـة للعلـم بالأصالـة بـل هـو خـادم لهـذا الجهـاد ويسـهّل عمليـة الجهـاد عـلى الإنسـان. إنـه يهـدي الإنسـان ويخدمـه في هـذا المسـار. فـإن اسـتخدمته في هـذا السـبيل يكـون علـما نافعـا قيّـما، وإلّا فيصبـح مدعـاة لهبـوط مسـتواك وقلـة قيمتـك.

وكذلك الحال في العمل، فالعمل القيّم هو ما كان ناتجا من هذا الجهاد. أما إذا كان من قبيل عمل النحل في عمليّة إنتاج العسل فلا فائدة له. إذ يطير النحل ويجلس على الأزهار ويمتصّ شهدها ثم ينتج العسل بمقتضى غريزته وطبيعته. فهل يستحق الأجر والثواب والجنان بهذا الإنتاج؟! كلا، إذ لا قيمة لهذا العمل ولأن الله لم يعلّمها عملا آخر، ولم تتردّد النحلة بين خيارين قطّ حين طيرانها في البساتين والحدائق، ولم تهشّ نفسها إلى الميتة مثلا لتبقى مترددة بين امتصاص دم الميتة أو شهد الزهور! فبسبب هذا الفارق الأساسي، صار الزنبور زنبورا وصرتَ أنت آدميّا. فمنذ أن عزم الله على أن يجعلك إنسانا، شاء لك أن تجاهد أهواءك فقد أُخِذ عنوان «مخالفة الأهواء» كعنصر محوري في تعريف هويّتك الإنسانيّة. لعلّك تسأل: أيّ الرغائب أحاربها؟ ولكن قبل أن تطرح هذا السؤال حاول أن تثبّت هذه الحقيقة في ضميرك، وهي أن قد خلقت من أجل مخالفة أهوائك. فحاول أن ترسّخ هذه الرؤية وتثبتها جيّدا، ثم يأتي الله ويعطيك البرنامج، إذ إن الدين هو برنامج جهاد النفس. فإن لم تكتبوا العبارة مئة مرة هذه الليلة، فعلى الأقل اكتبوها بخط كبير مرة واحدة وانصبوها أمامكم. إن الدين عبارة عن برنامج لجهاد النفس ومخالفة بعض الأهواء. هذا هو برنامج الدين، ولكن قبل أن يكون جهادُ النفس برنامج الدين، كان جزءً من هوية الإنسان وكان يمثل فلسفة خلق الإنسان. وقد سبق أن قرأت لكم كلام أمير المؤمنين(ع) حيث قال: «فِي خِلَافِ النَّفْسِ رُشْدُهَا»(تحف العقول/ص٩١). فإنّ هويّة الإنسان وصلاحه، في هذا الجهاد بغض النظر عن أحكام الله ويوم القيامة، بل قد صُبّت تركيبة الإنسان على هذا الأساس. فمن لم يجاهد نفسه يخرج عن تعادله ويترنّح يمينا وشمالا.

## لم يفهم الكثير معنى الدين ومعنى الحياة

أتذكر في أيام الصبى حيث كنا نذهب إلى المدرسة في طهران، كان المعلمون يمارسون الضرب ويؤدبون الطلاب بهذا الأسلوب. ذات يوم أحضر الأستاذ الطالب وقال له: ارفع يدك وبدأ يضربه. فكان الطالب يصرخ ويقول: «أوجعتني العودة، لا تضرب يا أستاذ»! فردّ عليه المعلّم متعجبا وقال:

أنـا أضربـك لتتـألم وتشـعر بالوجـع. يبـدو أنـك لا تعـرف معنـى هـذا الـضرب ولا تعـرف سـببه، إذ إن الغايـة مـن الـضرب هـو الألم! فكلـما كان الطالـب يتـأوّه ويـصرخ ويقـول: أوجعتنـي وألمتنـي...، كان يقـول المعلـم: إننـي جئـت أضربـك مـن أجـل هـذا الوجـع والألم. فـإن كنـت غـير راض، حـاول أن لا أضربـك أبـدا، لا أن تعـترض عـلى وجـع الـضرب. فكانـت نظـرة هـذا الطالـب تجـاه ضرب المعلـم وتأديبـه نظـرة خاطئـة. وكذلـك الحـال في مـن يسـتدلّ عـلى عمـل مـا لكونـه يُعجبـه، ففـي الواقـع إن رؤيتـه للحيـاة غـير صحيحـة. فقـد زعـم أن الحيـاة هـي مثابـرة للحصـول عـلى الأهـواء والمشـتهيات. في حـين أن الحيـاة عـلى عكـس مـا يزعـم تمامـا. فقـد جئنـا في هـذه الدنيـا لنخالـف أهواءنـا ومشـتهياتنا المتنوعـة والمتضـادة والمتعارضـة ولابـدّ لنـا مـن أن نضحّـي ببعضهـا في سـبيل بعـض أخـر وتعسـا لي إذ دائمـا أضحّـي برغبـاتي الفطريـة والإلهيـة في سـبيل الشـكلاتة والحلويـات وأمثـال هـذه التوافـه وطـوبى لكـم إذ تضحـون بمشـتهياتكم الدنيويـة في سـبيل رغائـب أسـمى وأعـلى. لعلـك تسـألني ألا يمكـن أن يكـون الديـن بالنحـو الـذي يوفّـر لنـا مـا نرغـب ومـا نشـتهي ولا يعارضهـا؟ لعلـك لم تـعِ القضيـة جيـدا، ولم تفهـم السـبب مـن خلقـك إنسـانا. فـإن أدرك النـاس هـذه الحقيقـة، بعـد ذلـك لا يمكـن لأحـد أن يغضـب في الشـارع أو البيـت. فهـذا الـذي يغضـب وينفعـل بمجـرد أن يزعجـه أحـد، لم يفهـم معنـى الحيـاة. فهـو يتصـور أن المفـترض والقاعـدة هـي أن لا ينزعـج ولا يتـألم في حياتـه. فـلا يعلـم المسـكين أن فلسـفة الحيـاة هـي أن يتـألم ويلاقـي مختلـف الإزعاجـات. أكتبـوا هـذه الآيـة المباركـة؛ (لَقَـد خَلَقنَـا الإنسـانَ فِـی كَبَد)[البلـد:٤] فقـد خلـق اللـه الإنسـان في كبـد، لا أنـه مجـرد قـد اقـترح عليـه أن يكابـد. فـما معنـى الكبـد؟ يعنـي الشـدّة والأحـداث التـي لا تلائـم هـواي. هـذه هـي فلسـفة الحيـاة، وليسـت أحـداث جـاءت بهـا الصدفـة. فقـد خلقـتَ لهـذا العنـاء وتجـرّع هـذه الآلام.

## لابدّ من تربية الأولاد على هذا الأساس

متـى يبـدأ الوالـدان بتعليـم الكَبَـد والعنـاء لأولادهـم؟ لا أن يفرضـوا عليهـم العنـاء ويصعّبـوا عليهـم الحيـاة حتـى يتعقـدوا ويفـرّوا مـن العنـاء. إن تربيـة الولـد بمعنـى أن ترحّـب صـدره لاسـتقبال الكبـد والعنـاء. فلابـدّ أن يصبـح الولـد أهـلا لتحمـل الآلام والمشـاكل. لابـدّ أن تتحـدث أمّـه معـه بـكل سـهولة عـن المشـاكل والآلام والمحـن التـي سـوف تنهـال عليـه في حياتـه. فكلـما شـعر الولـد أنـه تخلـص مـن مشـاكل الدنيـا وآلامهـا لابـدّ أن تنبهـه عـلى اشـتباهه وتقـول لـه:




لا تنخدع عزيزي فسوف تأتيك سهامها وآلامها ومحنها، فلا تخف إذ هذه هي قاعدة الحياة. يروي يونس بن يعقوب يقول سمعت الإمام الصادق(ع) يقول: « مَلْعُونٌ كُلُّ بَدَنٍ لَا يُصَابُ فِي كُلِّ أَرْبَعِينَ يَوْماً قُلْتُ مَلْعُونٌ قَالَ مَلْعُونٌ قُلْتُ مَلْعُونٌ قَالَ مَلْعُونٌ فَلَمَّا رَآنِي قَدْ عَظُمَ ذَلِكَ عَلَيَّ قَالَ يَا يُونُسُ إِنَّ مِنَ الْبَلِيَّةِ الْخَدْشَةَ وَ اللَّطْمَةَ وَ الْعَثْرَةَ وَ النَّكْبَةَ وَ الْهَفْوَةَ وَ انْقِطَاعَ الشِّسْعِ وَ اخْتِلَاجَ الْعَيْنِ وَ أَشْبَاهَ ذَلِكَ إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يَمُرَّ عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ يَوْماً لَا يُمَحِّصُهُ فِيهَا مِنْ ذُنُوبِهِ وَ لَوْ بِغَمٍّ يُصِيبُهُ لَا يَدْرِي مَا وَجْهُهُ وَ اللَّهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَضَعُ الدَّرَاهِمَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَزِنُهَا فَيَجِدُهَا نَاقِصَةً فَيَغْتَمُّ بِذَلِكَ ثُمَّ يُعِيدُ وَزْنَهَا فَيَجِدُهَا سَوَاءً فَيَكُونُ ذَلِكَ حَطّاً لِبَعْضِ ذُنُوبِهِ».[التمحيص/ص٣١] فإن صببت كلّ نشاطك في الحياة الدنيا من أجل إزالة الآلام والمتاعب عن حياتك فإنك مشتبه تماما وتهدف إلى غاية لا تنالها أبدا. وإن دلّت مساعيك العقيمة على شيء فإنها تدل على أنك لم تفهم معنى الحياة.

## ما الذي نستطيع أن نغيره في خضمّ الآلام والمحن؟

الشيء الوحيد الذي تقدر عليه في خضمّ هذه الحياة المليئة بالمحن هو أن تختار نوعية محنتك وترفع مدى انتفاعك بمحنتك. بمستطاعك أن تحسن الاستفادة من ألمك كما بإمكانك أن تستقبل وتتلقى وتحتضن المحن التي اخترتها. فاستقبل المحن إذ قال أمير المؤمنين(ع) في دعاء كميل: «لا يمكن الفرار من حكومتک». ما معنى عدم إمكان الفرار من حكومة الله؟ أحد أوجه حكومة الله هي هذه السنن التي تتحكم في حياة الإنسان ومن أصول هذه السنن هو المحنة وكوني عاجزا عن محو المحن والآلام في الحياة. فإني باق في المحن وسأعيش في خضم الآلام، ولكن إلهي! أعنّي على تحمّل أفضل الآلام وأرقاها، لا أن أعاني وأتألم بسبب الحسد. لماذا نعاني من الحسد؟ فلنختر المعاناة والآلام الراقية والسامية إن كان لابدّ لنا منها. أحد خيارات الألم والعناء التي أمامكم هو ألم الحسد، فإن ألم الحسد وحزنه شديد جدا وحتى قد يصيب الإنسان بأمراض غريبة. والخيار الآخر هو ألم الحسرة، وذلك أن تتحسر على ما فقدته وضاع منك، فهو حزن يحكي عن خلل عقائدي، إذ قال الله سبحانه: (ما أَصابَ مِنْ مُصيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا في أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ في كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسير * لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُور)[الحديد:٢٢ـ٢٣]. هذه نماذج من الآلام والأحزان التعيسة والسلبية.

وهنـاك آلام جيـدة، مثـل مـا لـو تفضلـت عـلى أحـد ورأفـت بـه، ثـم ينكـر فضلَـك ولا يقـدّرك. أو أن تقـوم بعمـل أو إنجـاز مـا فيـأتي آخـرون ويُشْـهرونه باسـمهم. كيـف تريـد أن تحـترق ويتـألم قلبـك، بالحسـد أو بسرقـة جهـدك ونشـاطك؟! أمـا أن تقـول لي: لا أريـد أن يحـترق قلبـي مهـما كان السـبب، فهـذا مـا لا يمكـن. فـلا تفـرّ واخـتر أحدهـما فـلا يمكـن أن يصلـح الإنسـان إلا أن يغصبـوا حقّـه. إذ إن راقـب الإنسـان جميـع النـاس وجميـع الشـؤون حتـى لا يظلمـه أحـد ولا يغصبـه أحـد ولا يـأكل حقّـه أحـد، فهـو أشـبه شيء بالذئـب مـن الإنسـان. فقـد روي عـن الإمـام الصـادق(ع): «لَيْسَ مِـنَ الْإِنْصَـافِ مُطَالَبَـةُ الْإِخْـوَانِ بِالْإِنْصَافِ»[أمـالي الطـوسي: ٢٨٠] هـل تظـن أن اللـه يسـمح لـك بالفـرار مـن هـذا القانـون وأن تعيـش حيـاة هادئـة بـلا أن يظلمـك أحـد. فـما إن تسـلك سـبيل الصـلاح وتحـاول أن تحسّـن نفسـيتك وروحيّتـك، وإذا يبتليـك اللـه بأشـخاص لا يقـدّرون فضلـك وإحسـانك فتنـدم مـن كلّ فضـل وإحسـان! لا يمكـن الفـرار مـن الحـزن والعنـاء فاخـتر مـا شـئت مـن أنواعهـا. أيهـما أفضـل التحـسر عـلى مـا فاتـك مـن الدنيـا، أو حـزن الخجـل والنـدم بـين يـدي اللـه؟ فـإذا كنـت ممـن يتحـسر عـلى الدنيـا، لـن تتمكـن مـن البـكاء والتحـسر عـلى فـرص التقـرب إلى اللـه، ولـن تقـدر عـلى بـكاء التوبـة أبـدا، إذ قـد انشـغل لبّـك بالأحـزان الأوليـة الدنيويـة.

## كيف كانت مراقبة أولياء الله

لقـد آمـن أوليـاء اللـه بقولـه تعـالى (لَقَـد خَلَقنَـا الإنسـانَ فِـى كَبَـد) فأخـذوا يراقبـون قلوبهـم، لـكي لا يعتريهـا حـزن سـيّئ للحظـة واحـدة، وفي المقابـل لا تخلـو قلوبهـم مـن حـزن جيـد. لقـد جعلـوا حياتهـم عـلى أسـاس أن لا تخلـو مـن الأحـزان الجيّـدة. وأنـا أعـرف بعـض أوليـاء اللـه الذيـن كانـوا يـؤذَون وحتـى يضربـون مـن قبـل زوجاتهـم. هـذا هـو قانـون الحيـاة، إذ قـد أعـدّ اللـه المـرارة والعنـاء والحـزن والبـلاء للجميـع. إن اسـتطعت أن تجعـل أحزانـك أحزانـا راقيـة جيّـدة، تزدهـر وتنمـو. سـلام اللـه عـلى الحسـين(ع) إذ كل مـا اشـتدّت عليـه المصائـب والأحـزان يـوم عاشـوراء ازداد وجهـه إشراقـا. كـما قـال الإمـام زيـن العابديـن(ع): «وَ كَانَ الْحُسَـيْنُ(ع) وَ بَعْـضُ مَـنْ مَعَـهُ مِـنْ خَصَائِصِـهِ تُـشْرِقُ أَلْوَانُهُـمْ وَ تَهْـدَأُ جَوَارِحُهُـمْ وَ تَسْـكُنُ نُفُوسُـهُم»[معاني الأخبـار/٢٨٨]

لمّا عفا الله النبي إبراهيم(ع) عن ذبح ابنه إسماعيل، حزن إبراهيم وتمنّى أن لم يؤمر بذبح الكبش. إنه كان يحبّ إسماعيل(ع) ولكنّه حزن بعد هذا الإعفاء، إذ فاتت منه فرصة التضحية وتقديم القربان. ما معنى القربان وتقديم الأضحية أيها الإخوة؟ هو أن تذبح شيئا تحبّه في سبيل الله وبأمر الله. فحزن إبراهيم لأنه لم يوفّق لتقديم الأضحية في سبيل الله، إذ لم يقدّم ابنه إسماعيل. وكان إبراهيم صادقا في حزنه واكتئابه. أسألكم سؤالا؛ هل أن الله قد خفّف الحزن والبلاء على إبراهيم بإعفائه عن ذبح إسماعيل؟ هل تتصورون ذلك؟! كلا، إذ لم يخفّف الله على إبراهيم أبدا. إنه قد عفاه عن ذبح ابنه إسماعيل ولكن كشف له عن حدث مفجع آخر لا تساويه فجيعة ذبح مئة إسماعيل. لقد قال الله سبحانه له: «يَا إِبْرَاهِيمُ مَنْ أَحَبُّ خَلْقِي إِلَيْكَ فَقَالَ يَا رَبِّ مَا خَلَقْتَ خَلْقاً هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ص فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ نَفْسُكَ قَالَ بَلْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي قَالَ فَوُلْدُهُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ وُلْدُكَ قَالَ بَلْ وُلْدُهُ قَالَ فَذَبْحُ وُلْدِهِ ظُلْماً عَلَى أَيْدِي أَعْدَائِهِ أَوْجَعُ لِقَلْبِكَ أَوْ ذَبْحُ وُلْدِكَ بِيَدِكَ فِي طَاعَتِي قَالَ يَا رَبِّ بَلْ ذَبْحُ وُلْدِهِ ظُلْماً عَلَى أَيْدِي أَعْدَائِهِ أَوْجَعُ لِقَلْبِي» وكان إبراهيم صادقا في هذه الأجوبة. ثم نقل الله قلب إبراهيم إلى كربلاء وإلى جانب حفرة مقتل الحسين(ع)، فكأن كل هذه القصّة كانت مقدمة لمجلس عزاء الحسين(ع). ثم قال له: «يَا إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ طَائِفَةً تَزْعُمُ أَنَّهَا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ سَتَقْتُلُ الْحُسَيْنَ ابْنَهُ مِنْ بَعْدِهِ ظُلْماً وَ عُدْوَاناً كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ وَ يَسْتَوْجِبُونَ بِذَلِكَ سَخَطِي»[الخصال، ج١، ص٥٨]. فهل قد خفف الله على إبراهيم؟ كلا بل أوجع قلبه بألم وحزن أشدّ. فلو كان قد ذبح إسماعيل لما انفجع قلبه بهذه الشدّة، إذ لم يأخذ إسماعيل موقع الحسين(ع) من قلب إبراهيم(ع).

## توبوا إلى الله من أحزانكم الرخيصة

لابدّ أن نبحث عن الآلام والأحزان الراقية والبناءة. ولنتب إلى الله سبحانه في هذه الليلة من الآلام السيئة التي تحمّلناها وبذّرنا بها طاقاتنا وأتلفنا بها قوانا فقضينا بها على إنسانيتنا وسوّدنا بها قلوبنا ولم نحصّل بذلك غير الألم والعناء. فلنتب من هذه الآلام التعيسة، ونتقرب بهذه التوبة إلى درجة الاستغفار. كيف كان أولياء الله، وكيف عاشوا وما كانت آلامهم وأحزانهم؟ فكل أحزانهم كانت في خدمة الله وفي سبيل الله وبسبب ما كانوا يشعرون به من البعد عن الله والبطؤ الذي كانوا يشعرون به في مسيرتهم نحو الله. فهذا كان حزنهم وألمهم وكانوا يزدادون حزنا وألما يوما بعد يوم. كان يتجلّى لهم الله سبحانه بشيء من جماله وآلائه، فكانوا يحزنون من بعدهم عن الله وطول المسافة بينهم وبين الله، مع قربهم واتصالهم بالله. وكلما يتجلى لهم الله سبحانه يأخذهم الخجل والحياء والحزن والحسرة، إذ يرون أنفسهم عاجزين عن أداء شيء من حق الله عليهم. ولهذا يبكون ويضجون ويسكبون الدموع ويطيلون الوقوف بين يدي الله. لماذا لا نقدر على تجرّع هذه الآلام والأحزان؟ لأننا غرقنا في مستنقع الحياة الدنيوية وانشغلنا بآلامها وأحزانها وعنائها عن تلك الأحزان الراقية. ينقل السيد أحمد ابن الإمام الخميني(رض) أن الإمام كان يمسح دموعه في آخر سنة من عمره بالنمنشفة وما كان يكفيه المنديل! وهذا حزن لا علاج له، إذ مهما أجابه الله ولطف به وتجلى في قلبه، يبقى يشعر بمدى بعده عن الله وتبقى دموعه تنهمر من شدة هذا الحزن الجميل والرائع. أما نحن التعساء فلا نشعر بهذا الحزن. إذ أردنا أن نفرّ من الأحزان والغموم ولم نخضع لقاعدة الحياة وفلسفتها. فما زلنا نعترض على خلقنا وفلسفة خلقنا، ونفرّ من الآلام والمتاعب كالأطفال.

## صلى الله عليك يا أبا عبد الله

يا أبا عبد الله! إن ما شاهده إبراهيم الخليل من مسافة آلاف السنين وفجع به طيلة حياته، قد شاهدته العقيلة زينب من مسافة أمتار. ساعد الله قلب زينب، فيا لها من امرأة عظيمة. الهي في هذا الشهر المبارك وفي هذه الجلسات عرفنا على عظمة مقام العقيلة زينب. لا أدري، فلعلّ قد خطر لإبراهيم هذا السؤال أن من الذي رأى الحسين(ع) في آخر لحظات حياته، ومن الذي ودّعه آخر مرة. ألا يا إبراهيم! العقيلة زينب هي آخر من ودعت الحسين(ع)، هي التي حيرت عقول الرجال بصبرها وطاقتها على تحمل هذا المصاب العظيم. وأنا لا أدري أين كانت زينب حينما رفع رأس الحسين(ع) على الرماح؟

**ألا لعنة الله على القوم الظالمين.**



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٥)

علي‌رضا بناهيان




**الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ**

**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فی مدینة طهران**

**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٥)**

**إليك ملخص الجلسة الخامسة من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

## مرور على ما سبق

لقد بدأنا الأبحاث ـ أيها الإخوة الأعزّاء ـ بطرح موضوع بدلا من طرح مسألة. فقد كان موضوعنا بالتحديد هو الجهاد الأكبر، أو جهاد النفس أو مخالفة الهوى على أساس مختلف التعابير التي جاءت في الروايات وآيات القرآن. ثم طرحنا في أجواء هذا الموضوع سؤالا مهمّا ثم تحوّل السؤال بالتدريج إلى مسألة وقضية. سألنا لماذا اعتبر النبي الجهاد جهادا أصغر مع كونه من أفضل الأعمال الصالحة وقد ينتهي إلى الذروة والقمة المتمثلة بالشهادة، وبالرغم من اشتماله على الصعاب والمتاعب، ثم دعا إلى جهاد من نمط آخر وسمّاه الجهاد الأكبر. هل أن مخالفة النفس ومحاربة الأهواء النفسية جهاد واقعا؟ وهل أنها أكبر من ذلك الجهاد؟ وهل أن ظاهرة الحرب وأيام الدفاع المقدس التي عشناها في بداية الثورة، هي ظاهرة أصغر من الجهاد الأكبر؟ فقد انطلقنا بالبحث من هذا الموضوع. ثم أردفنا إلى هذا الموضوع بعض المعلومات وأجّلنا إثباتها إلى إشعار آخر. فكانت هذه المعلومات هي أن هناك عبادة سيئة وأساسية في مقابل عبادة الله، وهي عبادة الهوى. وهي النقطة المقابلة لجهاد النفس. فقرأت عليكم بعض الروايات في هذا المجال من قبيل ما روي عن رسول الله(ص) حيث قال: «ما تَحتَ ظِلِّ السَّماءِ مِن إلهٍ يُعبَدُ مِن دُونِ اللهِ أعظَمَ عِندَ اللهِ مِن هَوىً مُتَّبَعٍ» [ميزان الحكمة، ج١٣، ص٦١] ثم ذكرنا أن الروايات قد اعتبرت مخالفة الهوى نظامَ الدين، فقد روي عن أمير المؤمنين(ع): «نِظَامُ الدِّينِ مُخَالَفَةُ الْهَوَى وَ التَّنَزُّهُ عَنِ الدُّنْيَا»[تصنيف غرر الحكم، ص٢٤١]. ما معنى نظام الدين؟ يعني خيط السبحة. فعلمنا أن الجهاد الأكبر ليس أكبر من الحرب والجهاد المسلح وحسب، بل إنه نظام الدين والنقطة المقابلة له هو اتباع الهوى. ثم ذكرنا أن العمل الرئيس والأساسي الذي يجب أن نقوم به طيلة حياتنا من أوّلها إلى آخرها ليس سوى جهاد النفس.

## لا يكفي العلم بأهمية جهاد النفس

ولكن لا تنحل المشكلة بمجرّد أن قلنا أنّ أهمّ جهادٍ هو جهاد النفس، إذ من أجل أن ندرك هذا الكلام ونقتنع به، لابدّ أن نعي بعمقٍ أنّ جهاد النفس محور عبادتنا وحياتنا. أنا أعتقد أن تسعة وتسعين في المئة من الناس الذين سمعوا بالجهاد الأكبر ومخالفة النفس لم يفهموا معناه جيدا. كما أني أسوأ حالا من جميعهم ولا سيما على مستوى العمل. ولكني أرى أن هذا الموضوع لم يأخذ موقعه المحوري في أذهان الناس ورؤاهم، فليست هناك رؤية صحيحة تجاه هذا الموضوع. وقد قلت في مقدمة المحاضرة السابقة إننا نهدف عبر هذه السلسلة إلى تغيير الرؤى تجاه هذا الموضوع. فمن أجل إدراك هذه الحقيقة بعمق، ووجدان محورية جهاد النفس في الحياة والدين، ومن أجل أن يصبح هذا الجهاد همّنا الرئيس في الحياة، لابدّ من كلام ونقاش وبحث مفصل، إذ لا تنحل المشكلة بكلمتين. ثم بعد ما اتضحت لنا هذه الحقيقة واستوعبناها بكل وجودنا، حينئذ ننتقل إلى كيفية هذا الجهاد، وما هي الرغبات التي لابد من محاربتها وكم يجب أن نخالف أهواءنا. فهذه أبحاث تأتي في المرحلة الثانية. أما الآن فلابدّ أن نسعى لاتضاح أصل هذه الحقيقة. فإن اتضحت سوف تسخّر ذهننا وإدراكنا بشكل كامل. وسوف تكون حاضرة في ذهننا دائما، وتبشّر بمراقبة مستمرة مؤثرة وموفقة. إنكم لستم أشخاصا سيئين، فلماذا تفرّطون بطاقاتكم؟ ولماذا تسمحون لقواكم أن تضعف وتتضاءل فتعجزون عن المراقبة؟ لأنكم تزعمون أن يجب عليكم أن تراقبوا أنفسكم في مئة قضية. ولكن القضية ليست كذلك. فلابدّ لكم من مراقبة قضية واحدة. أما دمج مئة موضوع في موضوع واحد بحاجة إلى فهم عميق جدا. لابدّ أن تدرك هذه الحقيقة بكل وجودك يا أخي العزيز! وهي أنّك لا تحتاج إلى مواجهة الحرص والحسرة الباطلة، ولا تحتاج إلى الاحتكاك بموضوع الصدق والصبر وكثير من المواضيع الأخرى. كما لست بحاجة إلى الاحتكاك بالتكبّر والتواضع. فأنت بغنى عن الاحتكاك بكثير من المواضيع، إذ قضيتك قضية واحدة فصبّ همّتك كلّها في معالجة هذه القضيّة. وسوف نخوض في هذا الموضوع إن شاء الله.

## لا مفرّ للمؤمن وغير المؤمن من جهاد النفس

لماذا جهاد النفس؟ لا أريد أن أكرّر ما ذكرته في الليالي السابقة، بل أحاول أن أجيب عن هذا السؤال بإشارة وبطريقة أخرى؟ أولا، لا يخفى عليكم أيها الإخوة أن جهاد النفس عمل عسير. ومن جانب آخر لستم وحيدين في مخالفة هواكم، بل قد اجتمع الله ووجودكم والكون بأجمعه على مخالفة هواكم، سواء أكنتم مؤمنين أم كافرين. هذا معنى كونكم غير وحيدين. يقول الله سبحانه وتعالى: (لَقَد خَلَقْنا الإنسانَ في كَبَد) لا «لقد خلقنا المؤمن في كبد». فلا سبيل لأحد إلى حذف الكبد والعناء من حياته. وقد سبق أن ذكرنا معنى الكبد والعناء وهو تلك الأحداث التي تقع بما لا تشتهي أنفسنا. بالرغم من سلوك بعض المساكين الجهلة الذين يفسقون بهدف تخفيف الألم والعناء عن حياتهم وأولئك الذين يفرّون من الدين طلبا للمزيد من الراحة وفرارا من العناء، لا يستطيع أحد أن يخفف من عنائه بترك واجب أو ارتكاب محرّم. ولا يشدّد الالتزام بالدين من عناء الإنسان. إن مخالفتك الهوى ليس من وظائفك فقط، بل هي من شؤون دنياك وشؤون ربّك أيضا. فلن يسمح الله سبحانه لك بحياة بلا عناء ومنغّصات. هذا هو الواقع شئت أم أبيت. لماذا؟ سنتحدث عن العلة لاحقا كما تحدثنا قليلا عن سبب هذا الشيء سابقا. أما الآن فلنشاهد الواقع ونرى هذه الحقيقة في العالم وهي أن لا مفرّ من العناء والكبد لإي إنسان مهما كان دينه وعمله. هل تتصورون أن تحمّل العناء مختصّ بمن يريد أن يسلك الطريق إلى الله؟ كلا! فقد قال الله سبحانه وتعالى في آية أخرى من القرآن الكريم: (يا أَيُّهَا الإنْسَانُ إنَّك كادِحٌ إلى رَبِّكَ كدْحاً فَمُلاقيهِ)[الانشقاق:٦]. أنا قد طرحت هذا الموضوع في مكان آخر بلا أن تكون لي الفرصة الكافية للخوض فيه بالتفصيل. فجاءني بعض المستمعين الكرام وقال لي: إن كلامك مرّ جدا! فأرجو من الإخوة أن يمعنوا النظر في مضامين الأبحاث ليروا هل الكلام مرّ واقعا؟! أليس هذه الخطاب الصريح مستوحى من أسلوب القرآن إذ يقول: (يا أَيُّهَا الإنْسَانُ إنَّك كادِحٌ إلى رَبِّكَ كدْحاً فَمُلاقيهِ)؟ فماذا يريد أن يفهّمنا القرآن؟ ولماذا يتحدث بهذا القدر من التأكيد؟ إنه يخاطب الإنسان مهما كان دينه ومذهبه ومهما كان التزامه وتديّنه. يقول له إنك في طريق ومسار ينتهي إلى لقاء الله، فهذا هو مصيرك المحتوم الذي لابدّ منه. ثم لا يخلو سيرك إلى الله مهما كان مضمونه ونوعيته، من السعي والكدّ والكدح الشديد.

يقـول: (كادِحٌ إلى رَبِّـكَ كدْحـاً) فهـل أنـا الـذي أبالـغ في التأكيـد؟! لمـاذا يعطـي اللـه سـبحانه للنـاس هـذه المعرفـة بـكل صراحـة؟ لأن مـن شـأن هـذه المعرفـة أن تسـهّل عـلى النـاس مصاعـب الديـن. فإنهـا تحـكي عـن حقيقـة راقيـة جـدا وتقـول لـك عـش كيـف شـئت، فهـل تزعـم أنـك تسـتطيع أن تعيـش بـلا أن تجاهـد نفسـك؟ بـل إنـك سـوف تجاهـد نفسـك بـلا شـك. وتلـذّذْ في الدنيـا وتهـرّبْ مهـما شـئت مـن مخالفـة الهـوى، فهـل تتصـور أنـك سـوف تنجـح في هـذا الهـروب؟ كلا! فإنـك سـوف تخالـف هـواك بـلا ريـب. وأنـا أتصـور أن ليـس هنـاك بشـارة تدفـع الإنسـان إلى مخالفـة هـواه أكـثر مـن هـذه الحقيقـة الرائعـة التـي تعـبّر عنهـا هـذه الآيـة المباركـة: (يـا أَيُّهَـا الإِنْسَـانُ إِنَّـك كادِحٌ إلى رَبِّـكَ كدْحـاً فَمُلاقيـهِ). هـل تنزعـج مـن السـيطرة عـلى نفسـك وتريـد أن تطلـق عنانهـا؟ لا بـأس، كـن كيـف شـئت ولكنـك سـوف تضطـر إلى السـيطرة عـلى نفسـك بـلا شـك. في الأمـس كنّـا نقـول لا مفـرّ ولا مخلـص مـن الألم والعنـاء، وليـس لـك إلا أن تختـار أحـد أنـواع المعانـاة والآلام. أمـا في هـذه الليلـة أقـول شـيئا آخـر ـ أيهـا الأحبّـة ـ وهـو أنـه هـل تريـد أن لا تجاهـد نفسـك مضافـا إلى العنـاء الـذي تفرضـه عليـك الحيـاة؟ فـلا سـبيل إلى ذلـك إذ سـوف تجاهـد نفسـك أكيـدا. إذ في حركتـك إلى اللـه تعـالى سـوف تسـعى سـعيا مصحوبـا بالعنـاء والألم وهـذا هـو الكـدح، أي سـوف تجاهـد نفسـك، وإن كان بـلا ثمـر وطائـل ونتيجـة. إن رؤيـة اللـه سـبحانه وتعـالى في القـرآن رؤيـة دقيقـة وخاصـة جـدا تختلـف عـن رؤانـا بكثـير. فقـد قـال سـبحانه: (أُولئِـكَ الَّذيـنَ كَفَـرُوا بِآيـاتِ رَبِّهِـمْ وَ لِقائِـهِ فَحَبِطَـتْ أَعْمالُهُم)[الكهـف/١٠٥] فلعلـك تقـول: أفهـل كانـوا يعملـون شـيئا حتـى تحبـط أعمالهـم؟ نعـم! إذ كل النـاس يعملـون ولكـن اللـه يقبـل أعـمال الصالحـين فقـط وإلّا فالكفـار والفاسـقون يعملـون ويكـدّون ويكابـدون ويجاهـدون أنفسـهم ويتحملـون العنـاء والتعـب والسَـهَر وكلّ شيء. أنظـروا إلى مـن حولكـم بتمعّـن. مـن الـذي لا يجاهـد هـوى نفسـه؟ أي إنسـان وفي أي بلـد وفي أي ثقافـة؟! إن جميـع النـاس يجاهـدون أهواءهـم ويكفـون عـن الكثـير مـن مشـتهياتهم وكلّهـم مؤدّبـون بمجموعـة مـن الآداب والأصـول وكلهـم يتحملـون العنـاء والألم في حياتهـم، ولكـن مـا أكـثر النـاس الذيـن يجاهـدون أنفسـهم ويتحملـون المشـقّات والصعـاب والآلام والمحـن والأحـزان مـن أجـل غايـات تافهـة لا قيمـة لهـا فـلا ينضجـون ولا يرشـدون ولا يترقّـون، أمـا أنـت فاجعـل جهـادك الـذي لا منـاص منـه جهـادا صحيحـا قيّـما.

كلّما فررت من جهاد النفس وركنت إلى أهوائك سجّل الموقف، لترى أنك سوف تضطر إلى مجاهدة نفسك في نفس الموضوع ولكن بلا نتيجة وبغير صواب. إنها قاعدة لا يسمح الله لأحد بالفرار منها.

## إن فهم هذه القاعدة يقضي على حالة العجب

لا أريد أن أخوّفك بذكر هذه الحقائق أبدا. ولكن أريد أن تخرج بهذه النتيجة من خلال هذا الكلام، وهو أن تناجي ربك وتقول له: إلهي أنا لم أفعل أيّ شيء بمجيئي إليك ومناجاتك في جوف الليل وتحمل العناء في سبيلك. أنا لم أفعل أي شيء ولم أضحّ بشيء. ماذا فعلتَ في جنب الله؟ هل عانيت وسهرت مثلا؟ كان لابدّ لك من المعاناة والسهر، فلو كنت لم تعان ولم تسهر مع الله، لعانيت وسهرت في محل آخر بلا نفع ولا رشد، بيد أنك عانيت وسهرت هنا فأجرت ورشدت. إذن العناء مشترك والسهر مشترك فلا تمنّ على الله ولا تحسب أنك شيء ولا تتوهم أنك قد ضحيت بشيء. هل تعلمون يتحسّرون أهل النار؟ إنهم يتحسرون لأنهم قد عانوا وقاسوا بقدر المؤمنين، ولم تكن حياتهم الفاسقة في الدنيا حياة بلا عناء وألم وحزن. فيشعرون أنهم عاشوا في الحياة الدنيا بتعب وألم وعناء ثم صار مأواهم النار، أما أنت فعشت في الحياة الدنيا بنفس المقدار من العناء والكدح إن لم يكن أقل منهم، ولكن ذهبت إلى الجنان! ولعلّ هذه الحقيقة هي التي جعلت الأنبياء يبكون ويصرخون حسرة على أممهم، إذ يرون مدى الخسران العظيم الذي يلحق بالإنسان إن لم يلتزم بدين ربّه.

## قلب الإنسان محط تعارض الأهواء

ذكرت في الليالي السابقة أن تركيبة الإنسان قد اشتملت على أهواء ورغائب مختلفة، وهذا ما وفّر الأرضية لعناء الإنسان، إذ لا يقدر الإنسان على تلبية جميع رغباته، ولا مناص له من اختيار بعضها على حساب ترك الباقي. لقد شاءت إرادة الله سبحانه أن يفرض الكبد والكدح على الإنسان، فأعطاه رغبات وأهواء مختلفة، فبقي الإنسان حائرا بين رغائبه، لا يدري ماذا يصنع. إنه يحب الله وفي نفس الوقت يحب الدنيا، ومن هذا التعارض تبدأ المعاناة والمشاكل. وهذا هو سرّ جهاد النفس.

لقد اجتمع في قلب الإنسان حبّ الجديد من جانب والأنس بالقديم من جانب آخر فهو ينزع إلى التجدد وفي نفس الوقت يميل إلى السنن وكذلك قد يخالف الظواهر الجديدة وغير المألوفة، وفي وقت آخر قد يرفض الشيء القديم. ولهذا يقول أمير المؤمنين(ع): «لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاطِ هَذَا الْإِنْسَانِ بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ وَ ذَلِكَ الْقَلْبُ لَهُ مَوَادٌّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَ أَضْدَادٌ مِنْ خِلَافِهَا»[تصنيف غرر الحكم/ص٦٦]. هكذا يصبّ الله الكبد والعناء على الإنسان، ومن هذه النقطة المعرفية في وجود الإنسان أي الرغبات المتضادّة يبدأ جهاد النفس. طبعا هذا هو من أبسط نماذج وأساليب جهاد النفس. هناك نموذج آخر وهو أن الوصول إلى الرغبات والمشتهيات لابدّ أن يمرّ من التضحية بمشتهيات وأهواء أخرى. فهذا الشاب الهاوي الذي يريد أن يشاهد مباراة كرة القدم في العاصمة مثلا، لابدّ أن يلوي عنق حبّ راحته ويسافر إلى العاصمة وينام في الشارع. هذا الشاب هو نفسه الذي كان حساسا بسريره ومخدّته وشرشفه، أمّا تَرَك هذه الأسباب كلها وراح ينام في الرصيف أو في الحديقة ليشاهد المباراة عن قرب. فهو في الواقع قد جاهد نفسه وضحّى ببعض رغباته في سبيل رغبات أخرى. ولا يمكن لك أن تصل إلى شيء من أمانيك ورغائبك ما لم تغض الطرف عن رغائب أخرى. فقد ركبّ الله سبحانه وجودك على أساس أن يكون جهاد النفس أحد مقتضيات إنسانيتك.

## العالَم الخارجي أيضا يفرض علينا أنواع المحن ويضطرنا إلى جهاد النفس

ولكن غير التضارب الموجود في داخل الإنسان هناك عوامل أخرى من الخارج، وبودّي في هذه الليلة أن أتطرق إلى هذه العوامل. هناك عبارة فوق الرائعة عن أمير المؤمنين(ع) يقول فيها: «عَرَفْتُ اللهَ سبحانه بِفَسْخِ العَزائِم»[نهج البلاغة/ص٥١١/ح٢٤٧] وفي الواقع يقف الإنسان حائرا لا يدري كيف يشرح هذه العبارة الرائعة لأمير المؤمنين(ع). إن هذا الرجل العظيم والعارف بالله وأمير العارفين يقول أتدري أين عرفتُ الله وبماذا عرفته؟ لقد عرفته بفسخ العزائم. ما معنى فسخ العزائم؟ يعني عندما يخرّب الله حسابات الإنسان وتخطيطاته وبرمجاته. وكذلك الله سبحانه يريد أن يلفت أنظارنا إلى نفسه من خلال إفشال بعض التخطيطات والحسابات، لنلتفت إليه ونراه ونأخذه بعين الاعتبار. فهل قد رأيتَ الله في هذه الحالات؟

بعد عدّة ليال سوف يقدر الله سبحانه وتعالى مقدرات عامنا القادم في ليلة القدر ومن المؤكد أنه سوف يقدر لنا بعض المشاكل والابتلاءات وإفشال بعض الحسابات والتخطيطات. لقد كشف أمير المؤمنين روحي وأرواح العالمين له الفداء في مطلع كتابه لابنه الإمام الحسن(ع) عن هذه الحقيقة بكل صراحة، فقد بدأ كتابه بهذه العبارة «مِن الوالِدِ الفانِ» وهي عبارة لا تعجب السامع. ثم قال «المُقِرِّ للزَّمانِ» يعني قد أقررت بغلبة الزمان عليّ فلم أتغلب على الزمان بل هو الذي سيطر عليّ. ما معنى سيطرة الزمان؟ يعني إنه يفرض عليك أحداثا لا تهواها. ثم قال «المُسْتَسلِمِ لِلدَّهرِ» فعرف نفسه في سبع عبارات كلها من هذا القبيل تتحدث عن الضعف والموت والفناء. ثم انتقل الإمام إلى ذكر خصائص مستلم الكتاب الذي هو شابّ مقتبل العمر. فقال «إلى المَولودِ المؤَمِّلِ ما لا يُدْرَك» يعني أكتب رسالتي إلى هذا الشابّ الذي لا يدرك مناه ولا يصل ألى آماله في هذه الدنيا. «السالكِ سبيلَ منْ قَد هَلَك»، «غَرَضِ الْأَسْقَامِ» يعني قد استهدفته الأمراض! «رَهِينَةِ الْأَيّامِ» أي مقيّد بالأيام وأحداثها. ـ فلو كنّا إلى جانب أمير المؤمنين(ع) ونرى ما يكتب لابنه الإمام الحسن(ع) لطلبنا منه أن يخفف من لحنه السلبي في الرسالة ولرجونا منه أن يستخدم عبارات إيجابية! ـ «السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى»، هذا هو الأسلوب الإيجابي لأمير المؤمنين(ع)! يعني الساكن في بيوت الأموات. يعني كان يسكن مكانک في هذا البيت وفي هذا الحيّ إنسان آخر قد مات، فسكنت أنت مكانه! إن كتاب الواحد والثلاثين في نهج البلاغة هو أول كتاب أخلاقي وتربوي وتعليمي كتب في صدر الإسلام وعلى يد الرجل الأول في العالم بعد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله. إنه وثيقة عِلْوية وليست رواية كباقي الروايات. إنه كتاب تعليمي وليس كتاب مطالعة. يشتمل على دورة في المعارف الدينية. ثم في هذه الرسالة يذكر أربع عشرة خصلة لابنه الشابّ وأغلبها سلبية على حدّ قولنا. لقد صارح أمير المؤمنين(ع) ابنه بحقائق العالم وقواعده. فلا يتوهم أحد أن الإمام لم يكن يحبّ ابنه ولولا ذلك لعطف عليه وتحدث معه بغير هذه العبارات!

انظروا كيف يعبّر أمير المؤمنين(ع) عن حبّه الشديد لولده حيث قال: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي وَ جُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ وَ إِقْبَالِ الْآخِرَةِ إِلَيَّ مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ وَ الِاهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي غَيْرَ أَنَّهُ حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي فَصَدَفَنِي رَأْيِي وَ صَرَفَنِي هَوَايَ وَ صَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي فَأَفْضَى بِي إِلَى جِدٍّ لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ وَ صِدْقٍ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ وَ وَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي وَ كَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي»[نهج البلاغة/ك٣١] فتيقن أخي العزيز بأنك لا تصل إلى أمانيك في هذه الدنيا بلا ريب، إذ قد صمّم الله آمالك بالنحو الذي لا تقدر على إنجاز جميعها في الدنيا. ولا سبيل للتخلص من قاعدة الدنيا فقد خلقنا في كبد ولابد أن نتحمل بعض العناء والآلام. وعندما تتقرب إلى بعض آمالك يبعدها الله عنك. فأضف هذه المعلومة في هذه الليلة. إذن هناك تعارض وتضادّ في داخلك بين الأهواء والرغبات يفرض عليك أن تجاهد نفسك، وفي نفس الوقت قد قدّر الله مقدراتك في هذه الدنيا على أن لا تخلو حياتك من العناء والمحن.

## تعلّمْ آداب تحمل العناء

إذن طأطئ رأسك لهذا القانون وتحمّل العناء بلا اعتراض. وتعلم آداب جهاد النفس والعناء لتعاني معاناة جميلة وتصبر صبرا جميلا وترتقي وتتكامل. فلا وجود لحياة بلا عناء في هذه الدنيا ولا تبحث عنها، فمهما تخطط وتبرمج لإزالة المشاكل عن حياتك يخطط الله لإيقاعك في بعض المشاكل لتعاني في هذه الدنيا. رضوان الله تعالى على شهدائنا فقد رأيت أحدهم في الجبهة وقدأصيب بشضية وقطعت رجله فسقط على الأرض، فذهبت إليه وإذا رأيته يبتسم ويضحك وقال مبتسما ذهبت رجلي! أسأل الله أن نحصل على هذه الروحية في مواجهة المشاكل.

## أفلا ينبغي أن ندبّر حياتنا ونحاول لإزالة المشاكل والموانع في الحياة؟

هناك سؤال قد يتبادر في ذهنكم أيها الإخوة الأعزاء وأسأل الله أن أجيب عن جميع أسئلتكم في الليالي القادمة بإذنه وبحوله، إذ نحتاج إلى معونته كثيرا لتكملة البحث. ولكن أريد أن أجيب عن أحد أسئلتكم التي قد تبادرت إلى أذهانكم وسألها بعض الإخوة في الليالي الماضية. وهو أنه على أساس الأبحاث التي طرحناها إذن لا ينبغي أن نسعى لإزالة المشاكل بل ينبغي أن نتسقبل الأزمات والمشاكل والمصائب؟! فهل واقعا لابد أن نعيش هكذا وهل هذا أمر معقول؟! لا عزيزي، من قال لك أن تعيش هكذا؟ سوف نقول في المستقبل أن لابد لنا من تلبية بعض غرائزنا وأميالنا ولابدّ أن نتمتع ببعض اللذائذ ولابدّ أن نصل إلى بعض آمالنا. أمّا أنت الذي تقول: «إذن لنترك الدنيا وما فيها ولا نسعى لحل مشاكل الحياة ومصائبها» فهل تريد أن تسهّل الأمر على نفسك؟! هل تريد أن تجلس أو ترقد في مكان ولا تسعى ولا تعمل ولا تكدّ ولا تبرمج وترفع جميع المسؤوليات عن نفسك؟! يجب عليك أن تسعى لحلّ مشاكل حياتك فلا تتخلّ عن مسؤوليتك. لعلّك تقول: «هل يجب أن نحارب المصاعب والمشاكل ونتّجه نحو الآمال ونبرمج ونخطط، و في نفس الوقت تفشل بعض برامجنا ونقع في مشاكل، وفي نفس الوقت نبتسم ونرضا بقدر الله؟! فقد نجنّ أو نتّهم بالجنون إن كنّا هكذا!». نعم هذا هو الطريق ولعلك تتّهم بالجنون إن سلكته فلا بأس، فقد قال أمير المؤمنين(ع) في وصف المتقين: «يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى وَ مَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَ يَقُولُ قَدْ خُولِطُوا وَ لَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيم»[نهج البلاغة/خ١٩٣] يقول أحد الرواة زرت الإمام الصادق(ع) لأعود أحد أولاده، فرأيت الإمام(ع) مهتمّا حزينا غير مستقرّ بسبب مرض ولده. بعد فترة جاء من جنب ولده ولم يكن أثر ذلك الهمّ والحزن على وجهه، فاستغربت وسألته عن السبب، فقال الإمام(ع): «إِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّمَا نَجْزَعُ قَبْلَ الْمُصِيبَةِ فَإِذَا وَقَعَ أَمْرُ اللَّهِ رَضِينَا بِقَضَائِهِ وَ سَلَّمْنَا لِأَمْرِهِ»[الكافي/ج٣/ص٢٢٥].إذن ليس معنى هذا الكلام أن لا يسعى الإنسان لمعالجة مشاكله ولنيل آماله. برمج لحياتك وخطط لحلّ المشاكل ولكنّ الله سوف يبطل بعض مخططاتك. إذ إنْ لم تبرمج لحياتك ولم تعزم على حلّ مشاكلك فكيف يعرقل الله بعض أعمالك وشؤونك. إذن برمج وخطط واسعَ لحلّ مشاكل حياتك لكي تتوفر الفرصة لربّك أن يلعب بأعصابك ويفشل بعض مخططاتك.

هـل ينبغـي أن نغـضّ الطـرف عـن اللـذات تمامـا؟ كلا، أبـدا! لا يحـقّ لـك أن تـترك اللـذات برمّتهـا (وَ لا تَنْـسَ نَصيبَـكَ مِـنَ الدُّنْيا)[القصـص/٧٧]. لعلـك تقـول: إن ذهبـت لأتمتـع بمتـاع الدنيـا ولذّاتهـا، أولا سـوف يفشـل اللـه محاولتـي بـين حـين وآخـر، كـما سـوف لا أحصـل عليهـا بـين حـين وأخـر، فـما الفائـدة مـن هـذه المحاولـة؟ الفائـدة هـي أنـك سـوف تحصـل عـلى بعـض اللذائـذ الحـلال في الدنيـا، ثانيـا محاولاتـك هـي التـي تهيـئ الفرصـة لإفشـالها مـن قبـل اللـه. لقـد أجبتكـم أيهـا الإخـوة بمنتهـى الصراحـة. إنـه موضـوع بسـيط و واضـح جـدا. لعلـك تقـول لي: أمـا قلـت يـا شـيخنا بـأن لابـدّ أن نسـتقبل بعـض الابتـلاءات والمحـن؟! نعـم، إنـه كذلـك. ينبغـي لـك أن تختـار بعـض المحـن وتجرّهـا إلى نفسـك وحياتـك، وهنـا مصائـب وآلام أخـرى ينبغـي أن تفـرّ منهـا، ولكنـك سـتصاب أكيـدا ببعـض المحـن التـي فـررت منهـا. فـإن أصبـت بـشيء منهـا، لا تنفعـل ولتظهـر عـلى ملامحـك ابتسـامة الرضـا بقـدر اللـه. ومـا أصعبهـا مـن ابتسـامة بعـد مـا خطـط الإنسـان وبرمـج وأعـدّ حسـاباته.

## واحدة من أهمّ علامات اتباع هوى النفس والأنانيّة

لم أسـتطع أن أكمـل البحـث هـذه الليلـة فقـد بقـي ناقصـا، ولكـن أضيـف إليه كلمـة واحدة وهـي كلمة متميّـزة وخاصّـة. أيهـا الإخـوة! هل تعرفـون إحدى علامـات اتباع الهـوى والأنانية؟! هـي أن تصعُب حياة الإنسـان، فيصعّبهـا أكثر بلجاجتـه. لمـاذا جعـل اللـه جـزاء مـن قتـل نفسـه نـار جهنّـم خالـدا فيهـا؟ لأنـه لم يتحمّـل معاناتـه في الحيـاة، ولإنـه لم يسـتطع عـلى إصـلاح مشـاكله، فأخـذ يقـضي عـلى حياتـه. لا تنـس أخـي العزيـز! كلـما رسـمت في حياتـك رسـما، وحـدث خطـأ في رسـمك، فـلا تمـزّق الورقـة واللوحـة كلّهـا. لمـاذا لا تسـمح للـه أن يزعجـك في جانـب مـن جوانـب حياتـك؟ فابتسـم لمـا يفعـل اللـه في حياتـك وارض بقـدره. ليكـن بعلمكـم إخـوتي الأعزاء بـأنّي أعطيكم الآن أحـد أروع الوصايا العرفانية! فـلا تنظروا إلى حالي الخَـرِب. أحـد علامـات الأنانيّـة واتبـاع الهـوى هـو اللجاجـة مع اللـه؟ عندمـا تغضب من مشـكلة حصلت في حياتـك وتخـرج مـن طـورك وتخـرّب الأول والتـالي، فهـذا يعنـي أنك مـا عرفـت قواعد اللعـب في الدنيا.

اسـمحوا لي أن أنقـل لكـم هـذه الروايـة بمناسـبة هـذا الـكلام. روي عَـنْ الإمـام أَبِي جَعْفَـرٍ الباقـر(ع) قَالَ: خَـرَجَ رَسُـولُ اللَّـهِ(ص) يَـوْمَ النَّحْـرِ إِلَى ظَهْـرِ الْمَدِينَـةِ عَـلَى جَمَـلٍ عَـارِي الْجِسْـمِ فَمَـرَّ بِالنِّسَـاءِ فَوَقَـفَ عَلَيْهِـنَّ ثُـمَّ قَـالَ يَـا مَعَـاشِرَ النِّسَـاءِ تَصَدَّقْـنَ وَ أَطِعْـنَ أَزْوَاجَكُـنَّ فَـإِنَّ أَكْثَرَكُـنَّ فِي النَّـارِ فَلَـمَّا سَـمِعْنَ ذَلِـكَ بَكَـيْنَ ثُـمَّ قَامَـتْ إِلَيْـهِ امْـرَأَةٌ مِنْهُـنَّ فَقَالَـتْ يَـا رَسُـولَ اللَّـهِ(ص) فِي النَّـارِ مَـعَ الْكُفَّـارِ وَ اللَّـهِ مَـا نَحْـنُ بِكُفَّـارٍ فَنَكُـونَ مِـنْ أَهْـلِ النَّـارِ. فَقَـالَ لَهَـا رَسُـولُ اللَّـهِ(ص) «إِنَّكُـنَّ كَافِـرَاتٌ بِحَـقِّ أَزْوَاجِكُنَّ»[الـكافي/ ج٥/ص٥١٤] ولعلّـه يعنـي أنهـنّ إذا رأيـن عيبـا في أزواجهـنّ أو انزعجـوا منـه بسـبب مـا، ينكـرن فضلـه كلّـه ويبالغـن في الاعـتراض والاحتجـاج ويكفـرن بحقّـه. اللهـم ارزقنـا الشـعور بالسـعادة في حياتنـا. ولكن لا تنسـوا (لَقَـد خَلَقنـا الإنسـانَ في كَبَـدٍ). اللهـم اجعلنـا فرحـين مسرورين. ولكـن (يـا أَيُّهَـا الإِنْسَـانُ إِنَّـك كادِحٌ إلى رَبِّـكَ كدْحـاً فَمُلاقيـهِ). اللهـمّ اجعلنـا باسـمين بشوشـين مـع العلـم بمـا جـاء في كتـاب أمـير المؤمنـين: «إلى المَولـودِ المؤَمِّـلِ مـا لا يُـدْرَك» ومـع علمنـا بكلمـة أمـير المؤمنـين(ع): «عَرَفْـتُ اللـهَ سـبحانه بِفَسْـخِ العَزائـِم». الهـي اجعلنـا مسروريـن مبتهجـين متفائلـين أثنـاء مـا تفسـخ عزائمنـا وتمنعنـا مـن نيـل آمالنـا وتخـرّب مخططاتنـا. إلى أيـن سـوف يصـل بحثنـا؟ إن لـه مصـيرا جميـلا جـدا. إذ أنـا بـدأت معكـم مـن أول العرفـان لا مـن آخـره. إن آخـر العرفـان هـو عشـق العارفـين للـه واسـتغفارهم في الأسـحار وبكاؤهـم شـوقا إلى اللـه. فـما أردت أن نسـتمع إلى قصـص العارفـين وحالاتهـم ونسـتأنس بهـا بـلا أن نفهـم منهـا شـيئا. فلنعـرف طريقهـم الـذي سـلكوه إلى أن وصلـوا إلى تلـك المقامـات. فـإن العارفـين قـد سـلكوا هـذا الطريـق المليـئ بالابتـلاءات والمحـن، وقـد هيـأ اللـه لنـا نفـس هـذا الطريـق. أول مـا يفرضـه اللـه عليـك هـو أن تتخـلّى عـن رغباتـك وأهوائـك. ثـم يصـل إلى نفسـك، ولابـد حينئـذ أن تذبـح نفسـك. إن تكليفـك في أول المطـاف هـو أن تذبـح اسـماعيل نفسـك. ولكـن لا يبقـى الأمـر بهـذا المنـوال، إذ سـوف تصـل النوبـة إليـك فيجـب حينئـذ أن تضحـي بنفسـك وتقـدم نفسـك قربانـا إلى اللـه.



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٦)

علي‌رضا بناهيان




**الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١۴٣۴هـ**
**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران**
**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٦)**

**إليك ملخص الجلسة السادسة من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

## نحن بحاجة إلى تعقل الدنيا قبل تعقل الدين

لقد قررنا في الأبحاث السابقة على أن نكسب رؤية دقيقة عن الحياة وقواعدها قبل أن نكسبها عن العبادة والعبودية. فنحن بحاجة إلى كسب رؤية دقيقة وواضحة عن الدنيا قبل الدين. فإن حصلنا عليها سوف ننظر إلى الدين كمنقذ لا كمزعج ومزاحم. وعند ذلك سوف لا نمنّ على الله بالتزامنا ولا نغترّ عندئذ بورعنا وتقوانا، كما سوف لا نفرّ من الدين وسوف نشعر بحماقة مخالفته. لماذا عندما يتحدث الله سبحانه وتعالى عن الكفار في القرآن، يعتبرهم «سفهاء» «لا يعقلون»؟ نحن نعرف جيدا أن ليس لهؤلاء الكفار طهارة القلب، ونعرف أن لا إيمان لهم، ولكن بماذا أصبحوا لا يعقلون؟ وما هي الحقيقة التي لا يعقلونها؟ بالتأكيد إنّ إحدى الحقائق التي لا يعقلونها ولا يلتفتون إليها هي هذا الواقع والقواعد المحيطة بهم في هذه الدنيا. كلما ألفيتم روحكم تفرّ من الأحكام الإلهية وتستصعبها، ارجعوا إلى الواقع وادرسوه بغض النظر عن الدّين. إذ إنّ إدراك الواقع وكشف القوانين السائدة في عالم الوجود، ومعرفة السنن الإلهيّة الحاكمة على حياتنا، يمهّدنا لقبول الدين والالتزام به. واسمحوا لي أن أضيف هنا نقطة واحدة. من السيء جدا أن يكون الإنسان متدينا بلا أن يدرك الواقع، فمثل هذا الإنسان يصبح متدينا سيّئاً. ولا أقول أنّ معرفة الواقع أمر ضروري على من استصعب أحكام الدين وحسب، كلا، بل على جميع الناس أن ينظروا إلى الواقع ويكتشفوا قواعده السائدة في الحياة. كما أنّ أولياء الله هم أكثر اهتماما بهذا الأمر من عوام الناس. وأساسا إنْ تديّن امرء بلا أن يكون على معرفة بحقائق العالم وواقعه، قد يصبح عنصرا خطرا، وقد يصبح تديّنه الأعمى هذا ضررا على نفسه وعلى المجتمع، وسوف لا يقدر أحد على إصلاح ما أفسده. لقد رأيت في عمري هذا على الأقل جيلين من الأشخاص الذين كانوا أخيارا في زمن من الأزمان ثم ساءت عاقبتهم. كان بعضهم ممن عاشرتهم عن قرب وحتى كان بعضهم في جبهة الدفاع المقدّس. وهذا يحكي عن أنّ من أصبح خيّرا ومتديّنا بدون أن يعرف الواقع الذي يفرض عليه ذلك، ينحرف على الأكثر.

فلا تستغربوا من انحراف بعض هؤلاء الذين قضوا عمرهم في الصلاح وصلاة الليل والعبادة. ولا تتعجبوا من كون هذا الإنسان كان يريد أن يسبق الآخرين في التضحية بنفسه في سبيل الإسلام والولاية والثورة، أما الآن فقد أصبح من ألدّ أعداء الثورة. من هم أولئك الذين يتورطون بمثل هذه العواقب؟ هم أولئك الذين صلحوا وتدينوا جزافا. ولكن لا يسمح الله باستمرار هذا النمط من الصلاح. فما إن يرى الله مجتمعا قد صلح جزافا واعتباطا، يمتحنهم بامتحان عسير ويسقط من لم يرتكز إيمانه على دعائم محكمة. وقد شاهدنا هذه الظاهرة في تاريخ الإسلام كما رأيناها في مختلف مراحل تاريخ ثورتنا الإسلامية.

## إن عالمنا مشحون بالمعاناة وقد عزم على إزعاجنا

من أين ننطلق في حركتنا؟ إن نقطة الانطلاق هي أن تشاهد ضرورة مخالفة هواك في هويتك الإنسانية وكذلك تشاهدها في السنن الحاكمة في حياتك. هذا هو المنطلق. لا ينبغي لمثلكم أن يخدع بالكلام الباطل، خاصة وقد بلغتكم تجربة تاريخ الإسلام في ألف وأربعمئة سنة، وقد بلغتكم تجربة العالم البشري من بداية التاريخ ولحد الآن، كما في متناولكم تجربة الغرب، وبإمكانكم أن تتصفحوا أحداث العالم وتقفوا على تجاربه عبر الإنترنت. إن موقعنا ليس في أول التاريخ بل قد اقتربنا إلى نهاية التاريخ، فها هي تجربة البشر أمامنا تحدثنا عما وصل إليه العالم، وهي تجارب مليئة بالمعلومات، فلا يمكن لأحد أن يخدعكم بسهولة. هذه هي نقطة الانطلاق، وهي أن تعرف عالمك الذي تعيش فيه. وأهمّ خصائص هذا العالم هو أنه مشحون بالمعاناة وقد عزم على إزعاجك. فلا تسمح لأحد أن يلهيك بمعلومات هامشية لا تسمن ولا تغني من جوع، من قبيل مقدار المياه وعمق البحار وارتفاع الجبال وعدد النفوس. فلا تشغل وقتك في تعلّم المعلومات التي لا فائدة لها، فإن أحد أوصاف المتقين في قول أمير المؤمنين(ع) هي أنهم: «وَقَفوا اَسماعَهُم عَلَى العِلمِ النّافِعِ لَهُم»[نهج البلاغة/الخطبة١٩٣]. وأنا باعتقادي أن الإنسان ليس بحاجة إلى كثرة المعلومات، بل يحتاج إلى معلومات صائبة، بالإضافة إلى ترتيب المعلومات وتبويبها بشكل دقيق وأن يميّز بين الأصلية والفرعيّة منها.

لقد جاء الدين ليعلمك طريقة العناء، وجاء ليخفف مرارة الفقدان عليك. جاء الدين ليعلمك الكفّ عن الرغائب وجاء ليعلمك أسلوب تحمل الآلام. فهل أنت ممن يريد أن لا يتحمل شيئا من هذه الصعاب في هذه الدنيا لكونك متدينا؟! هذه هي نقطة عزيمتنا، فإن انطلقنا من هذه النقطة، سوف نصل إلى النتيجة بسرعة، وكذلك سوف نعمل بديننا بشكل أسهل، كما سوف يصان ديننا بشكل أضبط، وإن شاء الله لن نتراجع عن ديننا إن سلكناه بهذا الأسلوب، إذ نكون على معرفة بكل ما سوف نواجهه في هذا الدرب فلا نفاجأ بشيء.

## إن الدين برنامج للتضحية بالنفس والنفيس

يروي الإمام الصادق(ع): «أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ (ص) فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي جِئْتُكَ أُبَايِعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ص) أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَقْتُلَ أَبَاك. فَقَبَضَ الرَّجُلُ يَدَهُ فَانْصَرَفَ ثُمَّ عَادَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي جِئْتُ عَلَى أَنْ أُبَايِعَكَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَقَالَ لَهُ عَلَى أَنْ تَقْتُلَ أَبَاكَ قَالَ نَعَمْ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ إِنَّا وَ اللَّهِ لَا نَأْمُرُكُمْ بِقَتْلِ آبَائِكُمْ وَ لَكِنْ الْآنَ عَلِمْتُ مِنْكَ حَقِيقَةَ الْإِيمَان...»[المحاسن/ج١/ص٢٤٨]. ذات مرة قرأت هذه الرواية في إحدى المحاضرات، فأوشك أحد الشخصيات أن يصدر حكم إعدامي بسبب قراءتها، إذ كان يرى أن هذه الرواية تنفّر الناس من الدين. ولعله كان يتصوّر أنّ باقي محاضراتي جيّدة وإنما كانت هذه الرواية فلتة في محاضراتي، فلو كان يعرف أن كل محاضراتي من هذا القبيل، لما تعلّل في إصدار حكم الإعدام [قالها ممازحا]، لأنني عمّمت هذه الرواية على كل الناس، وأقول إن كل من أراد أن يسلك هذا الدرب لابدّ أن يتحمل العناء والكبد والشدائد والمحن. طبعا بعد ذلك أقول: فإن فررت من هذا الطريق خوفا من شدائده ومحنه، سوف تلاقي أمرّ من ذلك في الطرق الأخرى. هذا هو أسلوبنا في المحاضرات، إذ أردنا أن نكون صادقين مع الناس، وقد تعلمنا هذا الأسلوب من أمير المؤمنين(ع) حيث كان صادقا مع ابنه. لماذا أراد النبي(ص) أن يبايع الرجل على أن يقتل أباه مع أنه لن يأمره به أبدا؟! لأنّ الدين هو برنامج للتضحية بالنفس والنفيس. فإن التضحية بالنفس، ليست فضيلة إلى جانب باقي الفضائل، بل هي المحور والمخ. نحن إن شاء الله سوف نتطرق في الجلسات القادمة إلى نطاق أهواء النفس وأنواع تجلياتها بإذنه وحوله وقوته.

## الدين برنامج لمخالفة الأهواء والدنيا أيضا مبرمجة على أساس مخالفة الأهواء

إن نقطة انطلاقك هي أن تعرف السبب الذي خلقت من أجله. فقد خلقت للعناء والمحن وتحمل الأذى والألم. فالبهائم لا تتألم وكذلك الملائكة لا تتألم، أما أنت فقد حظيت برغائب متضاربة وهذا ما شرحناه في الليالي السابقة وقلنا إنك مجبور على ترك بعض الرغائب من أجل بعض أخر. ثم يأتي الدين ويقول لك أن دع رغباتك واسع لنيل رغباتك الخفيّة والعميقة. ولا شك في أن هذا العبور صعب، إذن الدين صعب. لقد قال أمير المؤمنين(ع): «وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهٍ وَ مَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَة»[نهج البلاغة/ خ١٧٦]. فهل قد أرحتُ بالك أم لا؟ هذه معلومة لابد أن نجعلها نصب أعيننا وهي أن الدين برنامج لمخالفة الأهواء.طبعا لا يخلو الدين من لذائذ وليست مرارته بقدر مرارة كلامي، ولكن الكلام المعسول الذي يصوّر أجواء درب الحق كلها أجواء جمال وراحة واستقرار وأزهار وبلابل وعصافير فهذا كلام فارغ لا صحّة له. بل ليس الدين برنامجا لمخالفة الأهواء فحسب، بل باعتبار أن أنسانيتك مرهونة بمخالفة الأهواء، فقد انطوت الدنيا أيضا على هذا البرنامج. فهي تفرض عليك المعاناة ومخالفة الأهواء بأشكال ثابتة ومتغيرة. من أشكالها الثابتة هو الشيخوخة. ومن أشكالها الثابتة الأخرى هو فقد الحبيب، كما قال أمير المؤمنين(ع): «الْهِجْرَانُ عُقُوبَةُ الْعِشْق»[بحار الأنوار/ ج٧٥/ ص١١]. لا أدري هل أقول هذه الحقائق بصراحة، أو أراعي مشاعركم وقلوبكم، ولكنها حقائق نعيشها في حياتنا الدنيوية، فلابد أن نطلع عليها، بل لابدّ أن ننطلق منها في حركتنا الدينية. وهي أن كل ما تعشقه في هذه الدنيا، فلابد لك من مفارقته يوما، وإن الله يفرق بينك وبين أحبائك في هذه الدنيا. كان لي صديق قبل سنين، ثم انقطعت عنه ولم أعرف أخباره. بعد فترة قال لي أحد الإخوة: «هل سمعت أن فلان قد توفيت زوجته؟» فسألته هل كان يعشقها كثيرا؟ قال: من أين عرفت ذلك؟ قلت: إن هذا العشق هو أحد أسباب الفقد والفراق في هذه الدنيا؛ إذ «الْهِجْرَانُ عُقُوبَةُ الْعِشْق»، هذه هي إحدى مرارات الحياة الدنيا وهي سنّة من سنن الله. فإذا أردت أن تكون حياتك الزوجية في غاية العشق والغرام، فقل من الذي تريد أن يموت أسرع؛ زوجتك أم أنت؟! لعلك تقول: شيخنا كلامك مرّ جدا. أقول: أخي كلامي جادّ ومستوحى من قواعد هذه الدنيا، فلا تخدعك أكاذيب الأفلام. بل هذا هو الواقع. طبعا لا أريد أن أقول أنه قانون شامل، لا استثناء له، ولكنه يمثل إحدى القواعد التي لابد أن تؤخذ بعين الاعتبار في معرفة هذه الدنيا.

أعـرف أسرة، كان أهلهـا حساسـين جـدا في اختيـار الـزوج لبنتهـم، إذ كانـوا يريـدون نسـيبا بمسـتوى تدينهـم وبمسـتوى مكنتهـم الاقتصاديـة العاليـة، وبمسـتوى إناقتهـم العاليـة، وأن يكـون جميـلا بمسـتوى جمالهـم، وأن يكـون مثقفـا جـدا يليـق بثقافتهـم العاليـة، وأن يكـون ألفـا وبـاء وجيـما ودالا وكـذا وكـذا. ولهـذا كانـوا يرفضـون الخطّابـة واحـدا بعـد الآخـر. بعـد فـترة، قالـوا: الحمـد للـه، لقـد جاءنـا خطيـب ينسـجم معنـا في كل شيء؛ في إناقتـه، في غنـاه وثروتـه، في جمالـه، في تدينـه وبكلمـة واحـدة «كامـل مواصفـات». يشـهد اللـه أني خفـت عليهـم. وسرعـان مـا أنجبـوا طفـلا وإذا بـه كان مشـلولا. هـذا هـو واقـع حياتنـا جميعـا. ولا يمكـن أن يكـون هـذا الـكلام كذبـا، بـل هـو عـين الواقـع. طبعـا هنـاك نمـاذج واضحـة جـدّا مـن هـذه الابتـلاءات فنستشـهد بهـا في أبحاثنـا، وإلا فالـكل محكومـون بهـذه السـنن. وإذا تمعّـن الإنسـان الفطـن في حياتـه يسـتطيع أن يكشـف هـذه القواعـد.

## المؤمن مبتلى في الدنيا بشكل خاص

هنـاك آيـة في القـرآن تقـول: (وَ لَـوْ لا أَنْ يَكُـونَ النَّـاسُ أُمَّـةً واحِـدَةً لَجَعَلْنـا لِمَـنْ يَكْفُـرُ بِالرَّحْمـنِ لِبُيُوتِهِـمْ سُـقُفاً مِـنْ فِضَّـةٍ وَ مَعـارِجَ عَلَيْهـا يَظْهَرُون)[الزخـرف/٣٣] يعنـي لـو لا مخافـة أن يكفـر النـاس جميعـا ولا يبقـى منهـم مؤمـن، لجعلنـا حيـاة الكافريـن حيـاة فخمـة جـدا. ولكـن خفّـف اللـه علينـا وغـيّر قانـون العـالم وجعـل الكبـد والمعانـاة لـكل النـاس دون أن يختـص بـه المؤمنـين دون الكافريـن. وفي هـذا المجـال هنـاك روايـة عـن الإمـام الصـادق(ع) يقـول: «لَـوْ لَا إِلْحَـاحُ هَـذِهِ الشِّـيعَةِ عَـلَى اللَّـهِ فِي طَلَـبِ الـرِّزْقِ لَنَقَلَهُـمْ مِـنَ الْحَالِ الَّتِي هُمْ فِيهَـا إِلَى مَا هُوَ أَضْيَقُ مِنْهَا»[الـكافي/ج٢/ص٢٦٤]. وقد روي «أَنَّ رَجُـلًا قَـالَ يَـا رَسُـولَ اللَّهِ إِنِّي أُحِبُّكَ فَقَالَ اسْـتَعِدَّ لِلْفَقْـرِ فَقَالَ إِنِّي أُحِبُّ اللَّـهَ فَقَالَ اسْـتَعِدَّ لِلْبَلَاءِ»[مجموعة ورام/ج١/ص٢٢٣] ويقـول أحـد الـرواة سـألت الإمـام الصـادق(ع): «أَ يُبْتَـلَى الْمُؤْمِـنُ بِالْجُـذَامِ وَ الْـبَرَصِ وَ أَشْـبَاهِ هَـذَا؟ قَـالَ:وَ هَـلْ كُتِـبَ الْبَـلَاءُ إِلَّا عَـلَى الْمُؤْمِنِ»[الـكافي/ج٢/ص٢٥٨] يبـدو أنّ هـؤلاء الـرواة كانوا يعانـون مـن نفـس مشـكلتنا، فلعلهـم لم ينظروا إلى الدنيـا برؤية صائبـة ولم يرونها كدار مخالـف لأهوائنا. إن مجمـل هـذه الروايـات تفـرض عـلى الإنسـان المؤمـن أن ينظّـم حياتـه عـلى أسـاس مخالفـة الهـوى.



واسـمحوا لي أن أنقـل لكـم هـذه الروايـة أيضـا عـن رسـول اللـه(ص): «إِنَّ الْعَبْـدَ الْمُؤْمِـنَ لَيَطْلُـبُ الْإِمَـارَةَ وَ التِّجَـارَةَ» يعنـي يطلـب شـأنا مـن شـؤون الدنيـا ويطمـح إليـه «حَتَّـى إِذَا أَشْرَفَ مِـنْ ذَلِـكَ عَـلَى مَـا كَانَ يَهْـوَى» يعنـي يبرمـج ويخطـط ويعمـل ويشـتغل حتـى إذا اقـترب إلى هدفـه «بَعَـثَ اللَّـهُ مَلَـكاً وَ قَـالَ لَـهُ عُـقْ عَبْـدِي وَ صُـدَّهُ عَـنْ أَمْـرٍ لَـوِ اسْـتَمْكَنَ مِنْـهُ أَدْخَلَـهُ النَّـارَ» إذ كان هـذا المؤمـن يخطـط لـشيء بـضرره «فَيُقْبِـلُ الْمَلَـكُ فَيَصُـدُّهُ بِلُطْـفِ اللَّـهِ» يـأتي الملـك ويخـرب شـغله واللطيـف أن هـذا التخريـب جـاء بلطـف اللـه. «فَيُصْبِـحُ وَ هُـوَ يَقُـولُ لَقَـدْ دُهِيـتُ وَ مَـنْ دَهَـانِي فَعَـلَ اللَّـهُ بِـهِ...» [التمحيـص/ص٥٦] فيبـدأ بالبحـث عـن المقـصّر.

## لا تلهِ نفسك بالبحث عن المقصّر

إحـدى مشـاكلنا الناشـئة مـن رؤيتنـا الخاطئـة عـن الحيـاة هـي أن بمجـرد أن واجهنـا مشـكلة في حياتنـا، نفتّـش عـن المقـصّر. نعـم في المسـائل الاجتماعيـة والقضايـا العامّـة المرتبطـة بكيـان الأمـة مثـلا، لابـدّ أن نبحـث عـن المقـصّر أو العـدو ومـن هنـا نرفـع شـعار «المـوت لأمريـكا» و لهـذا السـبب طـال مـا هتفنـا «المـوت لصـدّام». ولكـن حتـى في هـذه القضايـا الاجتماعيّـة لابـدّ أن ننظـر إلى مـا وراء هـذه الظواهـر، كـما قـال الإمـام الخمينـي(ره): كانـت الحـرب (يقصـد الحـرب المفروضـة الـذي شـنّها صـدام عـلى الجمهوريـة الإسـلامية) مـن الألطـاف الإلهيـة الخفيـة. إذ يعتـبر أوليـاء اللـه أن البـلاء مـن ألطـاف اللـه عـلى عبـده المؤمـن كـما قالـت الروايـة: «فَيَصُـدُّهُ بِلُطْـفِ اللَّـهِ». أمّـا العـدو فهـو مسـكين شـقيّ جنـى عـلى نفسـه قبـل أن يجنـي علينـا، فنحاربـه ونقتلـه، ولكـن لا ننـسَ الألطـاف الإلهيـة في خضـمّ هـذه البلايـا. طبعـا نحـن مازلنـا في مقدمـات البحـث ولم نتقدم فيه إلى الآن، فليس بوسـعنا أن نسـتنتج دروسـا كثـيرة مـن هـذه الأبحـاث ولكـن بقـدر هـذا الـشيء القليـل الـذي طرحنـاه في هـذه الليـالي، نسـتطيع أن نخـرج بنتيجتـين جميلتـين في هـذه الجلسـة. إحداهـما هـي أن لا تبحثـوا عـن المقـصّر والخاطـئ كثـيرا. فـإن المقصّريـن ليسـوا مقصّريـن كثـيرا. فقـد صنفتهـم الروايـات وليـس كل المقصريـن في درجـة واحـدة. فعـلى سـبيل المثـال قـلّ مـا يوجـد مديـر لا يظلمـه مـن تحتـه. فكـن عـلى ثقـة مـن هـذه القاعـدة ولا تغضـب وتقيـم الدنيـا ولا تقعدهـا بسـبب سـوء تـصرف موظفيـك وأغلاطهـم في العمـل. لا تـصرخ عليهـم فإنهـا مـن سـنن اللـه. فـإن اللـه هـو الـذي ينسـيهم في بعـض القضايـا ليمتحـن مـدى صـبرك وحلمـك.

لا أريد أن أخوفكم ولا تصفرّ وجوهكم من ذكر هذه القواعد ولكن اعلموا أنه تقريبا، لا يمكن أن تلطف بأحد ثم ترى اللطف والمحبّة منه نفسه. يقول الإمام الصادق(ع): «مَا أَفْلَتَ الْمُؤْمِنُ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْ ثَلَاثٍ وَ لَرُبَّمَا اجْتَمَعَتِ الثَّلَاثُ عَلَيْهِ إِمَّا بُغْضُ مَنْ يَكُونُ مَعَهُ فِي الدَّارِ يُغْلِقُ عَلَيْهِ بَابَهُ يُؤْذِيهِ أَوْ جَارٌ يُؤْذِيهِ أَوْ مَنْ فِي طَرِيقِهِ إِلَى حَوَائِجِهِ يُؤْذِيهِ وَ لَوْ أَنَّ مُؤْمِناً عَلَى قُلَّةِ جَبَلٍ لَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَيْهِ شَيْطَاناً يُؤْذِيهِ وَ يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ مِنْ إِيمَانِهِ أُنْساً لَا يَسْتَوْحِشُ مَعَهُ إِلَى أَحَدٍ».[الكافي/ج٢/ص٢٤٩] وقال عليه السلام: «أَرْبَعٌ لَا يَخْلُو مِنْهُنَّ الْمُؤْمِنُ أَوْ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ مُؤْمِنٌ يَحْسُدُهُ وَ هُوَ أَشَدُّهُنَّ عَلَيْهِ وَ مُنَافِقٌ يَقْفُو أَثَرَهُ أَوْ عَدُوٌّ يُجَاهِدُهُ أَوْ شَيْطَانٌ يُغْوِيهِ».[الكافي/ج٢/ص٢٥٠]. ترى بعض الناس قد استشاط غضبا وانتفخت أوداجه. فتسأله ما الخبر. يقول: ما كنت أتوقع أن فلانا يفتن بي حسدا. فلعلّ هذا الإنسان يريد أن نرميه بطلقة لنسرع به إلى الجنة، إذ يبدو أنه لا يطيق قواعد هذه الدنيا. هيا تسلحوا أيها الإخوة بسلاح الدعاء. اللهم! أزل من قلوبنا الحقد على من ظلمنا وآذانا. لا أدري كم أدركتم معنى هذا الدعاء. فلأترجمه بعبارات أخرى. إللهم! لا تجعلنا مدللين. اللهم لا تجعلنا منقنقين. اللهم لا تجعلنا من أهل الضجر والسأم والجزع والتحجج. فكلها هي عبارات أخرى لدعاء اللهم أزل من قلوبنا الحقد. وهناك ترجمة عرفانية لهذا الدعاء ولا بأس أن ندعو بها، إذ نحن في ليالي شهر رمضان، فمن الأولى أن نقلل من الكلام ونكثر من الدعاء. فنقول: اللهم! أنت عظيم فاجعلنا عظاما مثلك. اللهم! أنت كريم فاجعلنا كراما مثلك. اللهم! أنت أكبر من كل شيء وأكبر من أن توصف وهذا هو أهمّ ما توصف به وعليّ أن أكرره في صلاتي بعد أذكاري وحركاتي وسكناتي. فعند لقائي بك لابدّ أن يكون تناسب بيننا وبينك، فاجعلنا كبارا يا ربّنا. وأنقذنا من الطفولة والصغر.




## إن إدراك ضرورة المحن والعناء في هذا العالم يسهّل على الإنسان اختيار الدين

لأذكر لكم فائدة أخرى من هذا البحث والتي نستطيع أن نستخرجها الآن. اسمعوا هذه الرواية لتجدوا كم كان الحديث في الليالي السابقة دقيقا وصائبا. لقد شكرني بعض الإخوة في هذه الليالي السابقة، بطريقة وكأنهم لم يسمعوا بهذه المعارف من أحد أبدا. ولكني أريد أن أبيّن لكم أيها الإخوة أن هذا الكلام ليس من ذوقي وفنّي، بل هو ما تصارحنا به روايات أهل البيت(ع). قال الإمام موسى بن جعفر(ع) لهشام: «يَا هِشَامُ إِنَ الْعَاقِلَ نَظَرَ إِلَى الدُّنْيَا وَ إِلَى أَهْلِهَا فَعَلِمَ أَنَّهَا لَا تُنَالُ إِلَّا بِالْمَشَقَّةِ وَ نَظَرَ إِلَى الْآخِرَةِ فَعَلِمَ أَنَّهَا لَا تُنَالُ إِلَّا بِالْمَشَقَّةِ فَطَلَبَ بِالْمَشَقَّةِ أَبْقَاهُمَا»[الكافي/ج١/ص١٨]. أفهل يسمح الله لأحد أن تخلو حياته من الصعوبات؟! أرجو أن تدققوا في هذه الحقيقة كثيرا. إحدى الخيانات التي تمارسها الأفلام الغربية تجاه الناس، هي أن تظهر المجتمع الغربي أكثر سعادة من غيره، لنتصور أن سعادته في هذه الدنيا جاءت من ابتعاده عن الدين. أفهل يمكن أن يسعد الإنسان بالابتعاد عن الدين، وهل يمكن أن تخلو الحياة البعيدة عن الدين عن جهاد النفس والمشاكل والمعاناة؟! ذات يوم كنت في كندا وكان أحد الأصدقاء يعرّفني على القنوات التلفزيونية في كندا. ففي تلك الأثناء قال لي: إن المجتمع الغربي قد حلّ الكثير من هذه المشاكل والقيود التي تعتقدون بها أنتم في علاقة المرأة والرجل. قلت: كيف يمكن ذلك؟ فهل انتفت كل المشاكل بحرية علاقة الرجل والمرأة؟! قال: نعم بالتأكيد فلم تبق مشكلة في هذا المجال، أنتم قد عقدتم القضية بمجموعة من الأوامر والنواهي، أما هنا فالكل مرتاحون ولا مشكلة بعد في هذا المجال. أثناء ما كان يتكلم بهذا الكلام، رأيت في الفيلم فتاة صفعت وجه شاب. فسألته لماذا صفعت الفتاة وجه هذا الولد؟ أنا سألته عن القصة، وإلا فما رأيته كان فيلما وطال ما كذب الغربيون في أفلامهم وقصصهم وصوروا مجتمعهم في قمة السعادة والجمال. فنظر إلى الفيلم وقال: يبدو أن هذين صديقان، ولكن الفتاة قد رأت صديقها مع فتاة أخرى فصفعت وجهه. فقلت له: أما قلت لي الآن أن مشاكل علاقة الرجل والمرأة محلولة هنا؟! فقال: لا، لم تنحلّ إلى هذا المستوى. فرجع إلى نفسه سائلا لماذا قلتُ أن هذه القضايا محلولة في هذا البلد؟!

كان ينظر بـأم عينه المشـاكل والخلافـات والنزاعات والجرائم في المجتمع الغربي، ولكن مع ذلك يشـعر بأن المجتمـع قـد حـلّ الملـف الجنسـي والعلاقة بين الرجـل والمـرأة! فانظروا كم كانـت هذه الإلقاءات السـامّة والكاذبـة والخادعـة قويّـة. بعـد أن وعى الإنسـان فلسـفة هـذه الدنيا وهي الكبـد والعنـاء وأدرك ضرورة تحمله العناء، سـوف يسـهل عليه تحمل العناء ويختار الدين بسـهولة. وهذا ما سـوف يفرضه عليه عقله.

## إن لم تجاهد نفسك فسوف تجاهدك نفسك

قـال أمـير المؤمنـين(ع): «مَـنْ سَـامَحَ نَفْسَـهُ فِيـمَا تُحِـبُّ أَتْعَبَتْـهُ فِيـمَا يَكْرَه»[غـرر الحكـم/ص٦٣٧] فهـذا الـذي لبّـى رغبـات نفسـه وأعطاهـا مـا ترغـب، سـوف تنغّـص حياتَـه نفسُـه. هـذه النفـس التـي أعطيتهـا زمـام أمـرك وخدمتهـا وأطعتهـا في مـا أمـرت، يـأتي يـوم وإذا بهـا تـدوس في حلقومـك وتخنقـك. لا أدري هـل يمكـن أن أتطـرق لهـذا الموضـوع أم لا. وهـو أنـه في مـا إذا لم يجاهـد الإنسـان نفسـه في شـبابه، مـاذا يلاقـي مـن معانـاة ومسـكنة في كـبره! فهـذا مـا يصعـب عـلي أن أصرح به. إن نفسـه سـوف تتعبـه وتقتلـه. شـأنها شـأن الجسـم، فإنـك إن أرحـت جسـمك ولم تتعبـه، سـوف تصـاب بأمـراض ولابـد لـك حينئـذ أن تتحمـل عنـاء المـرض والنـوم في المستشـفى. إن لم تتريـض ولم تتعـب جسـمك، فعندئـذ لا تشـعر بالراحـة إلا إذا جلسـت عـلى قنفـة فخمـة وراقيـة جـدا، أمـا إذا أتعبـت جسـمك بالرياضـة، بعـد ذلـك حتـى لـو جلسـت عـلى صخـرة صلبـة تشـعر بالراحـة والانتعـاش. الرياضـة تتعـب الجسـم ولكنهـا تريحـه في الواقـع. وكذلـك إن تتعـب نفسـك وتجاهدهـا ففـي الواقـع تريحهـا. هـذه هـي النتائـج الفوريـة لهـذه الأبحـاث. ولكـن أمامنـا طريـق طويـل، فلـم نصـل في أبحاثنـا إلى اللـه وعبـادة اللـه بعـد.

## إن إدراك هذه الحقائق تجعل الإنسان شاكرا لله

واحـدة أخـرى مـن فوائـد هـذا البحـث ـ وهـي مـن الفوائـد والنتائـج الفرعيـة طبعـا ـ هـي أنـك إذا صدّقـت بهـذه الحقيقـة وعرفـت أن الدنيـا محـل لإزعاجـك وقـد صمّمـت أحداثهـا ضـد نفسـك وأهوائهـا، وحتـى إن فلـتّ مـن هـذه الأحـداث واسـتطعت أن ترتـب حياتـك كـما تحـب وتهـوى يبعـث اللـه إليـك ملـكا ليخـرّب مخططاتـك، وأنـا قـرأت لـك الروايـة بنصّهـا حتـى لا تتصـور أني أبالغ عـلى المنبر،

فـإن عرفـت الحيـاة الدنيـا وقواعدهـا وسـننها جيـدا، تصبـح شـاكرا للـه، وسـوف تخاطـب اللـه عندئـذ وتقـول لـه: إلهـي مـا أرحمـك، إذ كان المفـترض أن تزعجنـا وتؤلمنـا في هـذه الدنيـا وتبلونـا بـشيء مـن الخـوف والجـوع ونقـص مـن الأمـوال والأنفـس والثمـرات، ولكنـك قـد رحمتنـا ولطفـت بنـا ولم تنـزل علينـا المصائـب والنـوازل كثـيرا. فإنـك إن شـعرت بهـذا الشـعور وناجيـت ربـك بمثـل هـذه الكلـمات، ففـي الواقـع قـد عرفـت معنـى الشـكر. لعلـك تسـمع عبـارة «شـكرا للـه» كثـيرا مـن النـاس، ولكـن اللـه يقـول: (وَ قَليـلٌ مِـنْ عِبـادِيَ الشَّكُور)[السـبأ/١٣]. اسـمحوا لي أن أشرح لكـم معنـى الشـكر جيـدا. فـلا تسـمحوا لأنفسـكم أن تكونـوا بسـطاء وتشـكروا اللـه ببسـاطة وبـدون تعمـق. مـا معنـى شـكرا للـه؟ ولمـاذا تقـول: إلهـي شـكرا لـك؟ هـل لأنـه أنقـذك مـن مرضـك؟ طيـب، من الـذي أمرضـك أساسـا؟ اذهب وعاتـب ربـك وقـل لـه لمـاذا أزعجتنـي وأنزلـت عـليّ المصائـب؟ هـل هديتنـي إلى طبيـب جيّـد فـداواني؟ فلـماذا أمرضتنـي أساسـا؟ وهـل قـد هديتنـي إلى قـاض جيـد ليحكـم بينـي وبـين خصمـي؟ لماذا سـمحت أن يتنـازع النـاس بينهـم أساسـا؟! أتـدرك مـاذا أقـول أخـي العزيـز؟! فإنـك إن لم تـدرك فلسـفة الحيـاة وهـي العنـاء وإن لم تـع فلسـفة وجـودك وهـو الكبـد، عنـد ذلـك كلـما أعطـاك اللـه ورزقـك مـن نعـم، لا تـزال تشـعر بأنـك تطلـب اللـه. إذ تقـول: هـو الـذي خلقنـي فـكان لابـدّ لـه أن ينعـم عـلي وإلا لمـتّ مـن الجـوع! عنـد ذلـك كلـما يقـال لـك اشـكر ربـك تقـول: لمـاذا أشـكره؟ لمـاذا أفقـرني؟ ولمـاذا أمرضني؟ ولمـاذا أوقعنـي في مشـاكل؟ إن لم تـدرك فلسـفة حياتـك وهويتـك لا تسـتطيع أن تشـكر اللـه أبـدا. فـإن أراحـك ونفّـس عليـك في خضـمّ محـن الدنيـا وآلامهـا، تعتبرها لا شيء، ثـم ينصرف ذهنك عنها إلى مشـاكل حياتـك وآلامـك ومعاناتـك. فهـل يبقـى لـك حينئـذ شيء باسـم الأخـلاق؟ وهـل يمكـن أن يتحـدث معـك أحـد عـن اللـه وشـكر اللـه؟! وهـل سـوف تعبـد اللـه وهـذه رؤيتـك عـن الدنيـا وأحداثهـا؟ وهـل سـوف تفهـم لقـاء اللـه حتـى تشـتاق إليـه؟ وأساسـا هـل يبقـى لـك إمـكان لإدراك المعـارف المعنويـة؟ لابـدّ للإنسـان أساسـا أن يعيـش حالـة الشـكر بـكل وجـوده. قـال لي بعـض الإخـوة: إنـك قـد صعّبـت الحياة في أبحاثـك هـذه، ولكـن نحـن لا نجـد هـذه المعانـاة في حياتنا، فأقول لـه: إذن اشـكر الله على هـذه النعمة. وإذا سـامحني أقـول لـه كلمـة جارحـة وهـي: «لم يجـد اللـه فيـك القابليـة عـلى تحمـل البـلاء والعنـاء فخفّـفَ عليـك، وإلا فلـو كنـت إنسـانا راقيـا ممتـازا لمـا سـمح اللـه لـك أن تمـضي حياتـك بسـلامات».

وقد سبق أن قد قرأت عليكم في خصائص عباد الله الصالحين حيث يصفهم الله في حديث المعراج قائلا: «يَمُوتُ النَّاسُ مَرَّةً وَ يَمُوتُ أَحَدُهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً مِنْ مُجَاهَدَةِ أَنْفُسِهِمْ وَ مُخَالَفَةِ هَوَاهُم»[بحار الأنوار/ج٧٤/ص٢٤]. فإن عرفت معنى الحياة الدنيا ودورها في فرض المعاناة على الإنسان، عند ذلك تشعر كم قد لطف بك الله وتفضّل عليك. هل رأيت الإمام الحسين(ع) في دعاء عرفة حيث لا يستطيع أن يترك شكر الله؟ يبكي ويشكر ويصب الدموع ويشكر حتى أنه في آخر لحظات عمره وفي حفرة المذبح كان يعبّر عن شكره ورضاه قائلا «رضا بقضائك».

## وصف حال مناجاة غير الشاكرين

لعلك تقول لي شيخنا فلنقيم جلسة دعاء ومناجاة. جيد جدا، ولكن نقيم الجلسة لمن؟ في البداية اذهب وابحث عن أناس شاكرين، وابحث عن من يشعر بالخجل من الله والذي لا يستطيع أن يمتلك نفسه من البكاء شكرا لله. وإلا فما الفائدة من المناجاة إن لم تكن بهذا الدافع ولم يصحبها هذا الشعور؟ إن بعض مناجاتنا أشبه شيء بتسليم طلباتنا لله سبحانه. فلسان حالنا عند الدعاء والمناجاة يقول: ربنا! يبدو أن حدث خطأ في تعاملك معنا، إذ لم تنظر إلينا في فلان قضية، وتركتنا وحدنا في فلان موقف، وفرضت علينا بعض الصعوبات في فلان حادث، ونغّصت عيشنا في ذلك اليوم. فكيف نتعامل معك يا إلهنا وماذا نقول لك؟ وإلى أين نفرّ منك؟ فقد كسرت قلوبنا وأنزلت دموعنا، فانظر كيف قد أبكيتنا! فحلّ مشكلتنا بعد ما بكينا أمامك وإلا فلن نأتيك بعد. فمثل هذا الكلام لا قيمة له، إذ ليس بمناجاة بل عتاب كما جاء في بعض أدعية المعصومين « فَإِنْ أَبْطَأَ عَنِّي عَتَبْتُ بِجَهْلِي عَلَيْكَ وَ لَعَلَّ الَّذِي أَبْطَأَ عَنِّي هُوَ خَيْرٌ لِي لِعِلْمِكَ بِعَاقِبَةِ الْأُمُور»[دعاء الافتتاح] وما أكثر هؤلاء الذين إن خلوا بربّهم لا يناجونه بل يعاتبونه، فلا تنظر إلى ظاهرهم إذ لا حول لهم على الله ولا تصل يدهم إلى الله، وإلا فقلوبهم قد ملئت عتابا. من الشاكر؟ هو الذي جاء إلى الدنيا ليغرق في بلاياها ومحنها، وسلّم إلى هذه السنّة ووطن نفسه على تحمل الآلام والمصائب، ثم ينظر إلى حياته وإلى النعم التي أنعمها الله عليه وإلى ما نفّس الله عليه بالنعم ورفع المحن وتخفيف المصائب، فيشكر الله ويحمده.

## ثلاثة أحزان سلبية يصاب بها الإنسان، لابد أن يجتنب عنها

عندما ينزل الله عليك نعمة من نعمه، يحب أن تتمتع وتهنأ بها، إذ أنت تحتاجها و هي من رزقك. يحب الله أن ترتاح في حياتك وتتمتع بنعمك. ويعزّ على الله أن ينزل علينا الصعاب والبلايا بلا مهلة واستراحة وتنفيس. (فإنَّ مَع العُسرِ يُسراً * إنَّ مع العُسر يُسراً) [الانشراح/٥، ٦] فمع كل محنة وعسر، يأتيك بيسر، فعندما ينعم الله عليك بنعمة لا تحزن على ماضيك وما فات، ولا تقلق على المستقبل، بل كن سعيدا بما أنعم الله عليك. اترك الماضي، فكان لابدّ أن تأتيك بلاياه وقد مرت وذهبت مصائبه بحمد الله. وكذلك سوف تأتيك بلايا المستقبل قطعا مهما قلقت منها فاخضع لهذا القانون ولا تقلق ولا تشغل فكرك بما جرى وما سيجري بل اشعر بالسعادة واغتبط بما رزقك الله واشكره. فهل من الصواب أن تحزن في أيام رفاهك ونعمتك؟! الإنسان يحزن بثلاثة أنواع من الحزن: الأول: يحزن على أحزانه الماضية والفائتة. أريد هنا أن أدعو بدعاء ولكن أجدكم غير متسلحين إذ لا ترفعون إيديكم. فقد روي عن نبينا(ص): «إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين»[نهج الفصاحة/ص٢٩٤]. طبعا لا أريد أن أجبركم على رفع يديكم، ولكني محتاج إلى دعائكم وأرى أن عدد المؤمنين الحاضرين هنا في هذا المسجد أكثر من الأربعين، فإذا رفعوا أيديهم يستجاب الدعاء إن شاء الله، وسوف أحصل أنا المسكين شيئا من دعائكم. اللهم لا تجعلنا ممن يحزن على مشاكله وبلاياه. وبودّي أن أكرر دعاءنا السابق لأهميته. اللهم لا تجعلنا ممن يحقد على من ظلمه وآذاه. الثاني: يحزن على أحزانه المستقبليّة والقادمة. أيها الإنسان المسكين المخدوع بإبليس! لقد رزقك الله نعما فقد حان وقت ارتياحك والشعور بالسعادة الآن ولكنّك تبدّل الشعور بالراحة إلى القلق من المستقبل. إللهم أخرج من قلوبنا الحزن والقلق على المستقبل. الثالث: هذا الإنسان المسكين إما يحزن على ما فات، وإما يحزن على ما سيأتي، وإما يحزن على الحاضر. يعني يحصل على نعمة من الله، ولكن يقايس بينه وبين الغير وهذا ما يسمّى بالحسد. وهذا النوع من الحزن أمرّ وأتعس من النوعين السابقين.

خذ حصّتك وتنعّم بها ولا تقارن بينك وبين غيرك. فكن برزقك وقسمك «راضيا قانعا وفي جميع الأحوال متواضعا». فلو كان الله أراد أن يكلمنا لقال: أنا لم أفرض عليك هذه الأحزان الثلاثة. أنا قلت إني سأبليك بمصائب ومحن ولكن لا بهذه الآلام التعيسة والسخيفة، فلماذا أنت تصعّب على نفسك الحياة أكثر من صعوبتها الحقيقية؟! أنا قلت لأبلوك بمختلف البلايا والبأساء والضراء ولكن كل هذه المعاناة لا تخلو من الحلاوة والجمال، فلماذا تسلب جمالها وتزيدها مرارة؟ أنا قد حرقت قنفات بيتك فقط، فلماذا تصبّ البنزين على بيتك وتحرق البيت برمته؟! أنا قلت: سأفرض عليك بعض العسر، ولكن سأجعل مع كل عسر يسرا، فلماذا تخرب اليسر والنعم التي أنعمتها عليك؟ فكلما امتحنتك بمحنة وبلاء استقبله بصبر جميل، وكلما أنعمت عليك نعمة فاشعر بالسعادة. ثم اشكرني على النعم التي رزقتها بحيث تنسى الآلام والمحن وتغفل عنها.

## كيف نكون كذلك؟

إللهم نحن نتكلم ونتحدث بهذه المعارف، فاجعلنا هكذا واجعل حياتنا هكذا. ماذا نفعل وما هو الطريق، إذ لا يصبح الإنسان هكذا بالكلام وحسب. لابدّ أن نعاشر الأخيار والأبرار ونعاشر الصالحين ونعاشر أهل البيت(ع). يجب أن نكثر من الذهاب إلى جلسات ذكر مصائب أهل البيت(ع) وننادي الحسين كثيرا وننادي عليا كثيرا. إن وجود هذه العترة الطاهرة نور وله تأثير قوي جدا يترك أثره علينا من مسافة ألف وأربعمئة سنة. وأنتم بحمد الله تحظون بالقابلية والاستعداد الجيد لتعاشروا أهل البيت وتأنسوا بصحبتهم.

## السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٧)

عليرضا بناهيان




الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ

المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فى مدينة طهران

الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٧)

**إليك ملخص الجلسة السابعة من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

## إن كثيرا مما يصعب عليهم الدين، لم يقتنعوا بالدين عن عمق

أحيانا لا ينبغي أن نكتفي باقتناعنا ولا سيما إن كانت القناعة سطحية. فلابدّ أن نبني كياننا الفكري من جديد، إذ قد تكون ثغرات في هذا النظام ولعلّنا قد اقتنعنا ببعض العقائد عبر أدلة غير كافية وغير صحيحة، وقد يكون هناك خلل في مقدمات عقائدنا وقد خفي عن أنظارنا، أو لعلّنا رتبنا مقدمات عقائدنا واقتنعنا بها بغير دقّة. فإن لم يطو الإنسان مراحل اقتناعه واعتقاده بالدين بشكل دقيق ومحكم، سيواجه مشكلة في محلّ ما. وقد تظهر هذه المشكلة في الاستخفاف بالصلاة وفي التساهل في السير والسلوك إلى الله وفي التقصير في الإطاعة وغيرها.

إنّ هؤلاء الذين يزعمون أنّهم قد آمنوا بكل شيء واقتنعوا بكلّ شيء ولا مشكلة فيهم سوى أن يصعب عليهم العمل ببعض أجزاء الدين ولا مهجة لهم في بعض الأحيان أو أنهم يفقدون تلك القابليّة العالية للتقوى أو ليس لهم توفيق أولياء الله، فهولاء الذين يتحدثون بمثل هذا الكلام وهكذا ينظرون إلى قصورهم وتقصيرهم في الدين، لا يقولوا بأننا نعتقد بكل شيء ولا يسطّروا محفوظاتهم في العقائد الدينيّة، إذ أنا لا أعتقد بأنهم يعتقدون بكل شيء وليس هناك خلل في عقائدهم وقناعاتهم. بالتأكيد أنهم مؤمنون ولا أقول أنهم غير مؤمنين! ولكن لي نقاش في اقتناعهم، فإن الكثير من الناس لم يقتنعوا بتعاليم الدين عن عمق. فقد قبلوا بها واعتقدوا بها كالطالب الذي يحترم أستاذه، ولكن بدلا من أن يستدل له الأستاذ على مدّعاه، يرفع له صوته ويؤكد في لحن قوله، فيقتنع الطالب ويرضى بالجواب الضعيف الذي أعطاه أستاذه. فهذا ليس بطريق صائب ولابدّ أن نقتنع عن عمق. باعتقادي أن كثيرا ممن يصعب عليهم الالتزام بالدين، لم يقتنعوا به عن عمق، بل قد قبلوا ببعض التعاليم وبمجمل الدين بشكل سطحي. فهم لا يستطيعون أن يرفضوا وجود الله سبحانه ولا يقدرون على إنكار نبي الله(ص) وليس بإمكانهم أن يكفروا بيوم القيامة والجنة والنار، فآمنوا بكل هذه العقائد وهم مؤمنون.

ولكن لا تزال أسئلة باقية في أعماق قلوبهم عن بعض الأسباب والغايات والأهداف. إن بعضهم لا يسألون عما يختلج في قلوبهم احتراما لله، فيشعرون بالإساءة إن طرحوا استفسارا عن أصل الدين، ويقولون مع نفسهم: ليس من الأدب أن نسأل هذه الأسئلة، إذ أن الله يعلم الصواب جيدا، ولابد أن هذا الدين لصالحنا ولهذا أوجبه علينا، فمن الأولى أن لا نتدخل في شؤونه ونلتزم بدينه بلا سؤال ونقاش! إن هذا الكلام كلام صحيح ولكنك لا تستطيع أن تلتزم بالدين بهذا الأسلوب، إذ أحيانا تفرّ من أحكام الله وأحيانا تصعب عليك هذه الأحكام، فليس لك بدّ سوى أن تقتنع بالدين عن عمق. فلا داعي لأن تكتم سؤالك من أجل أن تحترم الله، بل اطرح سؤالك حتى تقتنع بالقضية بكل وجودك. طبعا أنا أؤمن أنّ بعض الأسئلة غلط من أساسها، وإن بعض الأسئلة إن لم تكن غلط فهي تحكي عن مرض في قلب الإنسان، كما يقول القرآن: (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَه * يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَة)[القيامة/٥ـ٦]، ولكن السؤال الجيد يشفي قلب الإنسان وينقذه فلا ينبغي أن نتركه. إن السؤال الجيد والنظرة إلى مختلف القضايا من زاوية صحيحة وتحليل القضايا بشكل صحيح، كلها من مقتضيات حياة الإنسان.

## إن منطلقنا في هذه الأبحاث هو مشاهدة الواقع في الدنيا وفي حياة الإنسان

من أين انطلقنا في هذه الأبحاث أيها الإخوة؟ إنّنا لم ننطلق من الإيمان. اسمحوا لي أيها الإخوة أن أشرح لكم الأسلوب والمنهج الذي اتخذناه في هذه الأبحاث. نحن لم نبدأ من الإيمان بالله سبحانه في هذه الأبحاث، فمن أين بدأنا؟ بدأنا من دراسة الواقع، فحاولوا أن تشاهدوا الواقع بشكل صحيح. وهذا هو الأسلوب الذي اتخذه أمير المؤمنين(ع) في الكتاب الواحد والثلاثين من نهج البلاغة الذي كتبه إلى ولده الإمام الحسن(ع)، وهذا هو الأسلوب الذي تستطيعون أن تشاهدونه في القرآن بأنحاء مختلفة. نحن قد انطلقنا من دراسة الواقع، ولا من ذكر الواجبات والمحرمات وأحكام الدين، ولا من الأمور الغيبية التي على رأسها هو غيب الغيوب رب العالمين. فلم نبدأ حديثنا من هذه المواضيع، بل بدأناه بدراسة الواقع. وسوف نصل إن شاء الله إلى الإيمان.




## لماذا بدأنا من الواقع؟

لماذا بدأنا من الواقع؟ أريد أن أجعلكم على بصيرة من مسار البحث كما بودّي أن أطلعكم على خلفية هذا الفيلم وهذه السيناريو التي بدأنا بكتابتها معا في هذه الليالي. إن ما نرمي إليه في هذه الأبحاث هو أن نتعطّش إلى الإيمان بالله قبل أن نصل إليه في بحثنا، ونشعر بالحاجة إلى أحكام الله قبل أن نواجهها، ونريد أن نشعر بالألم والحاجة إلى الطبيب قبل أن يخاطبنا الأنبياء. فإذا جاءني طبيب وسألني عن صحتي وأنا لم أشعر بأي ألم في جسمي، لعلي أستهزء بالطبيب وأجيبه بتكبر واستعلاء إذ لا أشعر بالحاجة إليه، وهذا ما حدث تجاه الأنبياء على مرّ التاريخ (مَا يَأْتِيهِم مِن رَسُولٍ إلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُن)[يس/٣٠]. فلابدّ للإنسان أن ينقدح في قلبه السؤال ويشعر بالعطش، فإذا دلّوه على عين الدين الصافية، عند ذلك يعرف قدرها ويلتذّ ويرتوي بها، كما يصبح قلبه عند ذلك عينا جارية بالحكمة والمعارف الحقّة. أما إن أعطيت الدين من لا يشعر بالعطش والحاجة والفقر. يقول مستنكفا: لماذا يجب علي أن ألتزم بهذه القيود؟! أفهل يمكن أن تجيب مثل هذا الإنسان عن هذا السؤال؟! إن هذا السؤال ليس بلا جواب ويمكن أن يجيب عنه الإنسان ولكن باعتباره لا يصدر من قلب سليم، فحتى لو أعطيته الجواب الصحيح لا ينفعه. إن الإنسان لجوج لا ينصاع للأوامر والنواهي بسهولة، وليس علاجه سوى أن يدرك الواقع بعمق. فإن قلت له: صلّ، يقل: لماذا يجب أن أصلي! ولعلّه يتفلسف ويقول: هل يحتاج الله إلى صلاتي؟ إلى غيرها من الأسئلة... وكلما تحاول على إقناعه لا تقدر على ذلك. لأنك قد أخطأت في اختيار التكتيك وابتدأت معه بذكر الحكم، فأقفل قلبه عليك ولم يفتحه مهما أعطيته من أدلة وبراهين. فحاول أن يشعر بألم وحزن، ليأتيك ويقول لك: ماذا أفعل بهذا الألم الذي أشعر به في قلبي؟ عند ذلك قدّم له الصلاة كدواء للداء الذي يشعر به ويعاني منه. فيأخذ الصلاة متلهفا لأنها جاءت دواء لألم شعر به في قلبه وماء صافيا يزيل به عطشه. إن هذا الأسلوب والمنهج يقول: عرّف الناس في بداية الأمر على واقعهم وواقع حياتهم وعرفهم على مرارة هذا الواقع. فإن شاهدوا هذه المرارة وشعروا بها جيدا يبحثوا عن الحلاوة. وهنا تسنح الفرصة لتحلّي حياتهم بحلاوة الدين. هذا هو الأسلوب المعقول والطبيعي لتبليغ الدين.أنا لا أقول إن باقي الأساليب غلط ولا ينبغي أن يتخذها أحد، ولكن بودي أن تروا هذا الأسلوب وتقفوا عنده. طبعا إذا أردنا أن نتحدث عن هذا المنهج بشكل عام وندافع عنه ونتحدث عن أبعاده نحتاج إلى عشر محاضرات مستقلة، ليس مجالها الآن.

## النقطة المقابلة لهذا المنهج هو أسلوب الشيطان

ما هي النقطة المقابلة لهذا المنهج؟ النقطة المقابلة لهذا المنهج، هو أسلوب الشيطان، إذ أول ما يقوم به الشيطان هو أن يزيّن لك الدنيا ويحليها في مذاقك. فيتحدث معك عن الدنيا ولذاتها وحلاوتها وجمالها بالنحو الذي تشعر أن قد سبقك غيرك كثيرا في التمتع بهذه الدنيا والالتذاذ بها. وبطبيعة الحال إن أصبح انطباع الإنسان عن هذه الدنيا هو أن يستطيع أن يرتع فيها ويتمتع ويأكل ويشرب ويلعب مهما شاء، لا يستطيع عندئذ أن يقيّد نفسه بالدين. وإن قلت له: إن الدين لا يسمح لك بهذا النوع من اللذة، لا يقبل، وقد يتهجم عليك بشدّة. هذا هو أسلوب الشيطان إذ قال الله تعالى عن إبليس: (لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ)[الحجر/٣٩] أما نحن فقد عملنا ضدّ الشيطان تماما، إذ قلنا إن الدنيا خربة وهي محل بلاء وعناء وتعب وألم. فقد تعلمنا هذا الأسلوب من أمير المؤمنين(ع) إذ عمل عكس الشيطان وأسقط الدنيا من عيننا.

## مقارنة بين الأسلوب الصحيح وأسلوب الشيطان

عندما تعتبرون الدنيا مرّة، تبحثون عن الحلا، ولكن إن اعتبرتم الدنيا حلوة، سوف تجدون الدين مرّا. هذه معادلة واضحة أرجو أن تنتبهوا إليها. نحن بدأنا في أبحاثنا من مشاهدة الواقع ورأيناه مرّا. وكذلك إبليس يبدأ معنا من الدنيا ولكنه يكذب علينا ويزيّن الدنيا ويحليها في عيننا. فإذا استطاع أن يخدعك ويصور الدنيا حلوة، عند ذلك تجد الدين مرّا. بيد أنك إن وجدت الدنيا مرّة سوف تجد الدين حلوا، وشتان بين هذه الرؤيتين. ما هو دور الغزو الثقافي؟ دوره هو تزيين الدنيا. وما هو الفيلم الذي يفسّد الإنسان؟ هو ذاك الفيلم الذي يصوّر الدنيا أحلى من واقعها، وهو ذاك الفيلم الذي ينظر إلى مشاكل الدنيا ومرارتها كمشكلة طارئة استثنائية في الحياة، فيعالجون المشكلة في القصة وتنتهي آلامهم ومشاكلهم تماما وينتهي الفيلم بعاشوا عيشة سعيدة. ثم المشاهد المسكين ينتظر عشرات السنين حتى يصل في حياته إلى «عاشوا عيشة سعيدة» ولكنه مهما يحاول لايصل إلى شيء. فلماذا نخدع الناس بهذه الأفلام؟ لم تكن نقطة عزيمتنا الإيمان، ولم نبدأ بالدين، بل قد انطلقنا من الدنيا ومن الإنسان، لا من الله سبحانه. وهذا هو الطريق الصحيح. ثم قد بدأنا بمرارة الدنيا لا بحلاوتها. ولم نأت نسوّد الدنيا ونشوّهها ليحلو الدين، كلا، بل هذا هو واقع الدنيا والإنسان يشاهد هذا الواقع إن لم يكن أعمى العين.

نعم! هناك من يحاول أن يغض الطرف عن مرارة الدنيا، فهذه مشكلتهم، ولكن الواقع هو أن الدنيا مليئة بالمرارة والمحن. (وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ)[يس/٦٨] إن الله ينسب هذا الفعل إلى نفسه ويقول نحن نفعل ذلك. وكذلك قال: (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ في كَبَدٍ)[البلد/٤]. هذا هو فعل الله وهذا هو البرنامج الإلهي، إذ أراد أن يروّضك ويقوي عضلاتك في هذه الدنيا.

## مرور على ما سبق

مما يؤيد هذا الأسلوب هو الروايات التي تدعو لمعرفة النفس، من قبيل ما روي عن أمير المؤمنين(ع) حيث قال: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»[غرر الحكم/ص٥٨٨]. و قد كانت بعض أبحاثنا الماضية مرتبطة بمعرفة النفس. فقلنا: إن الإنسان ينطوي على رغبات مختلفة، فعندما يريد أن يختار شيئا من رغباته، لابدّ أن يذبح بعضها من أجل بعض أخر، ومن هنا يبدأ جهاد النفس. وقلنا: إن الرغبات الأقل قيمة وثمنا ظاهرة واضحة، والرغبات القيّمة خفيّة وكامنة في عمق روح الإنسان. فلابدّ لك أن تعفّ وتغض الطرف عن رغائبك السطحية لتصل إلى رغائبك العميقة. إن جهاد النفس جزء لا ينفك عن حياة الإنسان. فقد خلقت من أجل جهاد النفس وإلا لكنت حيوانا أو كنت ملكا. لابدّ لك أيها الإنسان أن تنتج قيمة مضافة، يعني أن تنتج الحسن لا مجرد أن تكون حَسَنا. فليس من الفنّ أن تكون حَسَنا، إذ هذا هو شأن الملائكة، بل لابدّ أن تصير حسنا. ولابدّ أن يكون هناك مانع في طريق صلاحك، والمانع هو أن تكون تكره بعض الصالحات وتحبّ بعض السيئات. إذن خُلقت حتى تصير صالحا لا تكون صالحا كالملائكة. لقد خلقت إنسانا وأصبحت إنسانا من أجل أن تحزّ رأس نفسك ومن اجل التضحية ومن أجل محاربة نفسك ومن أجل سحق رغائبك وأهوائك. ويعينك الله في حركتك هذه، إذ قد صمّم الدنيا على أن لا تجري رياحها بما تشتهيه سفينتك. فأنت تخالف هواك من جانب والله يخالفها من جانب آخر. فإن أردت أن تستقيل عن مهمّتك وتلبّي رغبات نفسك، سوف يتكفل الله بدلا عنك بمخالفة هواك فتزداد حياتك مرارة وصعوبة؛ (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا)[طه/١٢٤].

هـذه هـي خصيصـة الإنسـان وقـد خلـق في مثـل هـذه الأجـواء ونحـن لم نتحـدث عـن الديـن بعـد، بـل إن خلقـة الإنسـان تفـرض عليـه هـذا العنـاء في الحيـاة الدنيـا. فـإن حاولـت قليـلا وبعـت فنّـا تسـتطيع أن تثبـت هـذه الحقائـق لنفسـك عـبر التجربـة الميدانيـة أو بطريقـة فلسـفية أو مـن الناحيـة الفطريـة.

## لابدّ للآباء والأمهات أن يلقنوا أولادهم حقيقة مرارة الدنيا

كان ينبغـي لأمّنـا أن تصارحنـا منـذ طفولتنـا بهـذه الحقائـق حتـى نعيهـا ونوقـن بهـا. مثـلا تقـول: أي بنـيّ! ويـا حبيبـي وعزيـزي وحيـاتي! سـوف تكـبر وتتنـازع مـع بعـض ويحصـل لـك سـوء تفاهـم وسـوء هاضمـة وسـوء فهـم وقـد يـسيء الظـنّ بـك أحـد فسـوف يحصـل لـك كل هـذا. فـإن انزعجنـا مـن كلامهـا وقلنـا لهـا: لا نريـد أن تحـدث لنـا هـذه المشـاكل! تقـول: لا عزيـزي، فقـد خلقـك اللـه وأعطـاك القـدرة لتخـوض بهـا صراعـات ونزاعـات مـع نفسـك وأهوائـك ومشـاكلك. هكـذا تعاملـوا مـع أولادكـم، فـإن رجـع ولـدك مـن المدرسـة باكيـا بسـبب أن ضربـه أحـد الأولاد، فـلا تغضـب كثـيرا بـل ابتسـم وقـل لـه: هـذه هـي المشـكلة الأولى التـي واجهتهـا في المدرسـة، فسـوف تكـبر وتـرى مشـاكل أكـبر. لابـدّ للطفـل أن يواجـه مشـاكل في حياتـه، ويـا حبـذا لـو تدربـوه عـلى تحمـل المشـاكل والمعانـاة منـذ أن يدخـل في السـابعة مـن عمـره. فعـلى سـبيل المثـال قولـوا لـه: إن عشـاءنا هـذه الليلـة خبـز يابـس! وفي مـرة أخـرى قولـوا لـه: في هـذه الليلـة عليـك أن تغسـل جواريبـك بنفسـك، بالرغـم مـن وجـود الغسّـالة. فبهـذا الأسـلوب يعنـي الشـدة المطعّمـة بالراحـة والمحبـة والحنـان والعطـف ينضـج هـذا الولـد وتقـوى البنـت وسـوف لا يضجـر الأولاد مـن كل شيء ولأي نفـص ومشـكلة في حياتهـم.

## نظرة من جديد إلى قواعد حياة الإنسان

أقـترح للإخـوة الناشـطين في هـذه الجلسـة أن يأخـذوا منّـي روايـات أمـير المؤمنـين(ع) التـي جمعتهـا في هـذا الحاسـوب، حيـث تتحـدث عـن الدنيـا ومحنهـا وشـدائدها، ويستنسـخونها ثـم ينصبونهـا في مدخـل المسـجد، لتقرأوهـا وتخافـوا جيّـدا ولا تتصـوروا أنّ عـدد الروايـات بهـذا القـدر التـي قرأتهـا عليكـم، بـل هـي أكـثر مـن ذلـك بكثـير. هـذه هـي الدينـا. فادرسـوها جيـدا واعرفـوا في أي مـكان تعيشـون.



نحـن بدأنـا في هـذه الأبحـاث مـن الواقـع لنصـل إلى نقطـة منقـذة باسـم الإيمـان وباسـم اللـه سـبحانه وباسـم الديـن. إلى هنـا كنـا بصـدد تعريـف منهجنـا وأسـلوبنا في البحـث. وقـد خرجنـا بهـذه النتيجـة وهـي أن لابـدّ لنـا في بـادئ الأمـر أن نشـاهد الحقائـق المُـرّة في حيـاة الإنسـان ووجـود الإنسـان. إن هـذه الحقائـق تخاطـب الإنسـان وتقـول لـه: أيهـا الإنسـان! إنـك ومـن أجـل أن تسـتمرّ في الحيـاة مجبـور عـلى جهـاد نفسـك، ولا سـبيل لأي إنسـان أن يصـل إلى كل رغباتـه وأهوائـه. فهـو مضطـرّ إلى أن يضحـي ببعـض أهوائـه ليسـتمر في حياتـه. فكلـما كان اختيـارك أفضـل وتضحيتـك أصـوب، سـتحظى بمزيـد مـن الحيويـة والروحيـة العاليـة. أرجـو أن نصـير هكـذا ونحمـل هـذه الرؤيـة إلى آخـر شـهر رمضـان؛ يعنـي عندمـا نصبـح نفتـش عـما نضحـي بـه وعندمـا نعـدّ برنامجنـا اليومـي، ننظـر إلى مـا يجـب أن نضحـي بـه والأهـواء التـي لابـدّ أن نتركهـا في ذلـك اليـوم. ونسـأل اللـه أن يعيننـا عـلى تـرك مـا حددنـاه مـن أهـواء. هكـذا يجـب أن ننظـر إلى الحيـاة. فـإن كانـت هـذه رؤيتكـم وعشـتم بهـذا الأسـلوب، سـوف ينظـر اللـه إليكـم بعـين الرحمـة، وسـوف تجـدون حـلاوة رحمتـه ولطفـه. هـذا هـو شـأنك وحالـك أيهـا الإنسـان، فـإنّ إنسـانيتك مرهونـة بجهـاد نفسـك، فـإن لم تجاهـد نفسـك بالشـكل المطلـوب، سـوف تجاهدهـا فيـما لا يعـود لـك فيـه نفـع ولا أجـر ولا حاصـل سـوى الـضرر والخـسران. كـما أن دنيـاك أيضا لا تنسـجم مـع رغباتـك وأهوائـك. اعلمـوا أيهـا الإخـوة فإننـا نكسـب مـن اللـه في أوائـل عمرنـا، ثـم نرجعهـا إلى اللـه في المرحلـة التاليـة مـن عمرنـا، فـما يعطيـه اللـه لنـا في مقتبـل العمـر، يعـود ليسـتوفيه منّـا في الجـزء الآخـر. فـكل مـا منحـك اللـه إيـاه، يسـلبه منـك. فإنـه يذيقـك لذائـذ الدنيـا ثـم يحرمـك منهـا حسـب القواعـد الكونيـة التـي أسسـها اللـه بنفسـه. يقـول لي بعـض الإخـوة: لمـاذا تتكلـم بهـذا الأسـلوب المـرّ؟ أقـول لهـم: لأن لا يجـوز أن نكـذب عـلى بعـض. إن طبيعـة الإنسـان هـي أن تسـقط أسـنانه في الشـيخوخة، فلـم يعـد يقـدر عـلى أكل الكثـير مـن الطعـام. ثـم سـوف يضعـف جسـمك وتعجـز عـن القيـام بكثـير مـن الأعـمال. فأنـت ذاهـب إلى الشـيخوخة شـئت أم أبيـت. فهـل هـذا الـكلام كـذب؟ وهـل نريـد أن ننظـر إلى العـالم كـما ينظـر البهائـم حتـى نغـض الطـرف عـن هـذه الحقائـق الواضحـة؟

هناك رواية عن رسول الله(ص) تقول: «يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَ تَشِبُ مِنْهُ اثْنَتَانِ الْحِرْصُ وَ الْأَمَل»[تحف العقول/ص٥٦]، فما يشيب ويهرم هو الجسم وحسب، أما نفسك فتبقى في شبابها، ولكن عجز الجسم عن خدمتها وتلبية رغائبها. فإنك في أيام الكبر لا تزال تشتهي وترغب ولكن لا تستطيع على نيل ما تشتهيه. فماذا تريد أن تصنع في زمن هرمك وبحبّ من تريد أن تعيش تلك الأيام؟ فهل تريد أن تعيش في تلك الأيام خائبا حزينا مغموما ثم تدفن كل مشاعرك وتبتسم رغما على حزنك وقلبك الكئيب؟! وهل تريد أن تعيش حياة بلا حب وعشق وفارغة من الهيجان والحيوية؟ مع أن نفسك سوف تبقى شابة وسوف تطمع بكل هذا أكيدا. إذن فلنشاهد الواقع فإن منغصات العيش كثيرة فأرجو أن تحصوها. كان لنا في أيام المراهقة درس في الأخلاق، وكان الدرس يشبه ورشة عمل، فكنا نجلس في حلقة ونتحدث معا عن مسائل أخلاقية، ولعلّ نصفهم قد استشهدوا في جبهة الدفاع المقدس. كانت تنعقد جلساتنا كل مساء الخميس في مسجد صاحب الزمان في تقاطع عباسي، وأغلب الشهداء الذين استشهد بقصصهم وذكرياتهم دائما، هم شهداء تلك الجلسة. وكانت في زاوية المسجد غرفة يسكنها شيخ كبير جدا. لم يكن هذا الرجل الكبير خادم المسجد ولكنه كان ساكنا في تلك الغرفة منذ سنين. كان عندما يخرج من غرفته ويعبر من غرفتنا، نسمع صوت حذائه الذي كان ينجرّ على الأرض من شدة عجزه وشيخوخته. فأتذكر أن قلت لأصدقائي في تلك الجلسة: فلننظر إلى مستقبلنا. وأتذكر أن قال بعض الأصدقاء في تلك الجلسة لقد سقط التلّهي بالشهوات من أعيننا، فكانوا قد نظروا نظرة إمعان وتأمل إلى مستقبلهم وتصوروا عجزهم وضعفهم عن المشي. فكان هذا الرجل الكبير مغنما لنا إذ كل ما كان يخرج من غرفته ويمرّ من غرفتنا، ننصت لصوت مشيه، ونحدث أنفسنا أن انظري وشاهدي فسوف تنتهي أيام شبابك ولذتك وهذا هو مستقبلك.

## خير شبابكم من تشبه بالشيوخ

لقد روي عن النبي الأعظم(ص) حيث قال:«خَيْرُ شَبَابِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِالشُّيُوخِ، وَ شَرُّ شُيُوخِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِالشَّبَاب»[نزهة الناظر وتنبيه الخاطر/ص٣٢]. لا تقرأوا هذه الرواية على المدلّلين في هذه الدنيا، فإنهم يستهزؤون بها ويقولون: هل تريد أن نصبح شيوخا ونعجز عن كل شيء؟! فلا يستحق هؤلاء أن يكلمهم الإنسان، إذ لا أثر للفكر والوعي والفهم في سلوكهم، فلا يعرفون أن الإنسان إذا استطاع أن ينظر إلى فترة هرمه ومشيبه في أيام شبابه، عند ذلك سوف يترك اللعب والتفاهة في أيام الشباب، ويعيش عيشة تحافظ على شبابه إلى فترة مشيبه وشيخوخته. إنهم لا يعرفون ذلك ولا يمكن أن تكلمهم بمثل هذا الكلام. وفي المقابل «شر الكهول من تشبه بالشباب» فكان لابدّ لك أيها الشيخ الكبير أن ترى أيام عجزك ومشيبك منذ أيام شبابك وتوقن بهذه المرارة لتدع اللهو واللعب والتفاهة من أيام الشباب، ولكنك لم تدع حياة اللهو واللعب حتى بعد مضيّ عمرك وتنكّسك في الخلق.

## هل التغافل عن مرارة الحياة هو الأسلوب الصحيح؟

كيف تحلو هذه المرارات؟ طيّب، هنا قد دخلنا في المرحلة الثانية من الموضوع. عندما ينظر الإنسان إلى المنغصات الكامنة في وجوده وإلى مرارة مصيره ودنياه، عند ذلك يكاد أن لا يطيق هذه الدنيا. طبعا لا يخلو النظر إلى مرارة الحياة من فائدة، فمثل هذا الإنسان سوف يتحمل الصعاب والمحن أسهل من غيره، ولكن سوف تفقد الحياة روحها ونورها ونشاطها وحيويتها في مثل هذه الأجواء. وهنا لابدّ أن نتحدث مع الإنسان وننقذه عن الطرق التي قد يسلكها في سبيل التخفيف من مرارة حياته. فنقول له: لا تغفل عن هذه المرارات ولا تزعم أنك تندق إن لم تتغافل عنها. ولا تنس الموت أيها الإنسان. فلعلك تقول: إن أجعل الموت نصب عيني دائما، يصفرّ وجهي وأفقد أملي وأكن كالميت بين الأحياء، ولكنك مخطئ في حساباتك. فليكن بعلمك أيها الإنسان أن المفرّ من هذه المرارات ليس بالتغافل عنها. إن الغفلة عن المرارات تهدم كيانك وتقضي عليك. فلابدّ أن تبني رؤيتك عن الحياة على أساس هذه المحن والمشاكل، وهذا ما يدل عليه الكتاب الحادي والثلاثون من نهج البلاغة الذي خاطب به ابنه الإمام الحسن(ع)، حيث افتتح كلامه فيه بذكر مصائب الدنيا ومراراتها.

## ما هو الطريق الأفضل في التعامل مع محن الدنيا؟

ماذا يحدث إن لم تغفل عن مرارات الدنيا؟ إن روحك تصبو إلى ما هو حلو وتطلب اللذة، وتهشّ إلى التحرّر، وكذلك إنك تحظى بروح تحب العشق والغرام. فهي لا تطيق ظروف الدنيا ومعاناتها، ولكن دع يضيق صدرك من هذه الظروف التي تعيشها ومن هذه الدنيا التي حبست فيها. لتصل شيئا فشيئا إلى نقطة ومرحلة بودي أن أجسدها لكم قليلا في هذه الليلة. وسوف استعرض لكم في الليالي القادمة خط السير من نقطة الانطلاق إلى نقطة الهدف بشكل كامل. أخي العزيز! لا تغفل عن مرارات الدنيا، إذ ليس طريق مواجهة هذه المرارات هو التغافل عنها بل الطريق هو ذكرها على الدوام. إذا أردت أن تتغلب على هذه المرارات فاسعَ لتحصل على عشق بحيث ترغب أن تعاني وتذوق مرارات الحياة في سبيل من عشقته وأحبته وتلتذ بالمعاناة التي تعيشها في سبيله. لابدّ لك أن تصل إلى هذا المستوى وليس لك بدّ آخر وإلا فتُشقي نفسَك. إنك لا تستطيع أن تفرّ من المحن، فلا تنكرها وإلا تصبح أحمقا. ولا تستطيع أن تزيل المحن من حياتك، فإذا أردت أن تتعامل مع محنك بأحسن وجه، فابحث عن عشق سام وعال في حياتك لترغب في تحمل كل هذه المعاناة في سبيل حبيبك. وشتان ما بين من يرغب في تحمل المعاناة في سبيل حبّه، وبين من اقتنع بضرورة المعاناة فقال: لا بأس بمجيئ بعض المحن والمعاناة! متى يزدهر الإنسان؟ عندما يبلغ درجة حبّ المعاناة وتحمل الآلام في سبيل حبيبه، لا أن يصبر على المحن في سبيل الحبيب وحسب. لقد خلق الإنسان لهذه الحياة، وقد خلقكم الله وركّب روحكم وخلايا وجودكم ومشاعركم وكل الكائنات على أساس هذا النمط من الحياة. والإنسان الحقيقي هو من يرغب أن يعاني ويذوق المحن في سبيل الله. ولهذا عندما رأى إبراهيم أن لا يستطيع ذبح ابنه في سبيل ربّه، حزن وضاق صدره. ينبغي لك في هذه المرحلة أن ترغب في تلقّي المصائب والمظالم في سبيل الله وأن تعاني من الجوع في سبيله وأن تحزن في سبيله. ولا بأس أن تسأم الجوع وتشتهي الطعام فتناجي ربك وتسأله أن يرزقك طعاما لتشبع به من جوع، ولكن بعد أن شبعت أياما متتالية، سرعان ما يضيق صدرك ويحنّ فؤادك إلى أيام الجوع. إلى هنا يصل الإنسان. أمّا كيف يصل الإنسان إلى هذه المرحلة، فهذا ما يحتاج إلى بحث طويل، فأرجو أن لا يستعجل الإخوة.

ما هو الطريق الأفضل الذي أودعه الله في فطرة الإنسان وحياته لمواجهة المشاكل والآلام؟ إن الطريق الأفضل لا هو الإنكار ولا هو الفرار، بل هو أن يرغب الإنسان في تحمل الآلام في سبيل الله. إن استطاع الإنسان أن يعشق الله، عند ذلك يحب المعاناة في سبيل الله بمختلف أنواعها، كالصوم وقلة الأكل وقلة النوم وقلة الكلام وقلة الراحة واستماع استهزاء الآخرين وغيرها. هذا شعور خاص لا أدري كيف أشرحه وأوضحه، ولكن من لم يجد في نفسه هذا الحب وهذا الشعور فهو لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه ولم يعرف العلاقة بينه وبين ربه ولم يعرف شيئا قط.

## حوار افتراضي بين الله وبين عبده العاشق

إنه حبّ نابع من أعماق قلب الإنسان وقد لا يقدر صاحبه على تعبير ما يجري في قلبه. لقد صحت فطرة هذا الإنسان فلا تناقشه ولا تسأله عن دليل، إذ إنه قد عشق الله وقد عشق المعاناة في سبيل الله. وهل تعلمون ما سوف يكون مصير هذا الإنسان؟ سوف يحتضنه الله ويقول له: «وأنا أحبك أيضا وأرزقك المحن والبلايا كما أحبت. لقد اخترتك لنفسي، وقدّرت لك البأساء والضرّاء، وأنت تعاني من أجلي، فما تريد عبدي بعد أن أصبحت حياتك كما تحبّ؟ أنت الآن تعاني من بعض المشاكل والآلام في حياتك، وهذا ما رغبت فيه أنت وأحبته أنت فعانِ إذن وتجرع البلاء. وأنا في المقابل أقدر لك المحن والبلايا على الدوام ولم أقصّر في ذلك. وأنت تتقرّب إليّ يوما بعد يوم بصبرك الجميل على هذه المحن والمشاكل، إذن ليس لك مشكلة بعد وعش سعيدا إلى آخر عمرك». ولكن بعد كل هذا لا يزال العبد حزينا خائفا. فإن سأله الله عن السبب، أجاب وقال: إلهي لا طاقة لي بحر نارك فماذا أفعل إن أدخلتني النار؟ فلا يزال هذا العبد يبكي ويبكي خوفا من نار جهنّم التي سعّرها جبّار السماوات والأرض. وهذا الخوف والبكاء أيضا من هواياته فدعه يبكي.




أنـا لا أفهـم حقيقـة هـذا النـوع مـن الحـب والغـرام، فهـل تفهمونـه أنتـم؟! الـشيء الوحيـد الـذي أدركـه مـن هـذا العشـق أنـه يختلـف عـن العشـق الدنيـوي الـذي ناجـم مـن الأنانيـة وحـبّ الـذات، بيـد هـذا الإنسـان يحـب أن يعـاني ويتجـرع البـلاء في سـبيل حبيبـه. فمهـما تحمـل مـن عنـاء وبأسـاء وضراء لا يشـعر بأنـه قـد وفّى حـق حبيبـه، فيبـكي خوفـا مـن نـار جهنّـم! فكيـف تفـسرون بـكاء أمـير المؤمنـين(ع) الشـديد مـن جهنّـم؟! لقـد روي عـن أمـير المؤمنـين(ع) أنـه قـال: «الْقَلْـبُ الْمُحِـبُّ لِلَّـهِ يُحِـبُّ كَثِـيراً النَّصَـبَ لِلَّـهِ وَ الْقَلْـبُ اللَّاهِـي عَـنِ اللَّـهِ يُحِـبُّ الرَّاحَـةَ فَـلَا تَظُـنَّ يَـا ابْـنَ آدَمَ أَنَّـكَ تُـدْرِكُ رِفْعَـةَ الْـبِرِّ بِغَـيْرِ مَشَـقَّة»[مجموعة ورام/ج٢/ص٨٧].

## إن الله هو صاحب القرار في تعيين نوعية المعاناة التي نعيشها من أجله

بعـد أن عشـق الإنسـان ربّـه ورغـب في تحمـل البـلاء مـن أجلـه، لم يعـطَ حـق اختيـار البـلاء بـل اللـه هـو صاحـب القـرار في تعيـن نوعيـة المعانـاة التـي لابـدّ أن يعيشـها مـن أجلـه. ولا شـك في أن هـذا القانـون عـامّ يشـمل جميـع النـاس ولا العشـاق فقـط. أيّهـا السـادة! هـل تريـدون أن تتصدقـوا؟ أجيبـوني بنعـم. إن كنتـم تريـدون أن تتصدقـوا فاسـمحوا لي أن آتي بيوتكـم وأختـار بنفـسي البضاعـة لتتصدقـوا بهـا، فهـل توافقـون عـلى ذلـك؟! مـن المؤكّـد أنّكـم لا توافقـون عـلى ذلـك إذ تريـدون أن تتصدقـوا بمـا تشـاءون لا بمـا يختـاره غيركـم. ولكـن اللـه سـبحانه يمتحنكـم ويقـدر لكـم المشـاكل كيـف مـا يشـاء، وهـو يعـرف جيـدا كيـف يبتليكـم ويفـرض عليكـم المحـن والمشـاكل، إنـه يعـرف ثغـرات حياتكـم ويعـرف نقـاط ضعفكـم، وأحيانـا يأخـذ إسـماعيلكم أضحيـةً. طبعـا إن اللـه أرحـم الراحمـين وهـو يراعـي قابليتنـا وإيماننـا، فـلا يخـف منكـم أحـد، إذ نحـن غـير مؤهلـين لمثـل هـذه الامتحانـات الصعبـة، فـلا تقلقـوا عـلى مسـتقبلكم ومـا سـوف يفعلـه اللـه بكـم. وقـد سـبق أن قـرأت عليكـم تلـك الروايـة التـي تقـول: «لَـوْ لَا إِلْحَـاحُ هَـذِهِ الشِّـيعَةِ عَـلَى اللَّـهِ فِي طَلَـبِ الـرِّزْقِ لَنَقَلَهُـمْ مِـنَ الْحَـالِ الَّتِـي هُـمْ فِيهَـا إِلَى مَـا هُـوَ أَضْيَـقُ مِنْهَا»[الـكافي/ج٢/ص٢٦٤] إن اللـه قـد سـمح لشـخص واحـد أن يتجـرع البـلاء إلى آخـره، وهـو الحسـين(ع)، ولم يعـط هـذه الفرصـة لأحـد آخـر أبـدا. لم يسـمح لإبراهيـم الخليـل(ع) أن يتجـرع البـلاء بشـكل مبـاشر ولم يسـمح لشـخص آخر أبـدا ولكنه قد سـمح للحسـين(ع).

فأنت الذي تعشق الحسين(ع) وبودك أن تفدي بروحك من أجل الحسين(ع) هل تعلم لماذا أخذ الحسين(ع) من قلبك هذا المأخذ؟ وهل تعرف سبب حبك الشديد هذا للحسين(ع)؟ لأن فطرتك وذاتك تتلهف للحسين(ع) إذ أن الحسين قدوة إنسانيتك وقد جسد الإنسانية بأروع صورها، وهي ليست إلا حب تجرع البلاء من أجل الله، وأنت مفطور على هذا الحبّ، فلابدّ أن تحبّ الحسين(ع).

## كيف نصل إلى هذا المقام؟

هناك طريقان:

الطريق الأول هو هذا الكلام الذي تحدثنا به في جلساتنا الماضية. اعترف بمرارة الدنيا لتقدر على التجافي عنها ولئلا تصرف كل همك بإصلاحها. طبعا لا بأس أن يقوم الإنسان بإصلاح دنياه بمقتضى تكليفه، ولكن لا تصرف وجودك في هذه الدنيا البالية. دعها فإنها لا تصلح بشكل كامل. ارفع همتك عن مستوى هذه الدنيا وطهّر قلبك عن التعلق بها وصدّق بمرارتها ولا تصادق من أهلها أحدا ولا تأنس بأحد من أهلها، دعها ولا تفتش عن راحتك وقرارك فيها. هذا هو الطريق الأوّل. أما الطريق الثاني فهو عقد القلب بالله سبحانه، فدرّب نفسك شيئا فشيئا على عشق الله. وقد جعل الله سبحانه المعصومين الأربعة عشر تسهيلا لحبّه. فإن صعب عليك حبّ الله وعشقه، فاعشق الحسين(ع) لتصل عن طريق عشقه إلى عشق الله. واللطم على الصدور في هذا المسار يمثل سلوكا عرفانيا رائعا. فهو شعار ورمز لمن أحبّ أن يتحمل البلاء في سبيل الحبيب. إني آسف عليكم جدا إذ لم تدركوا أيام الجبهة والدفاع المقدّس. فلأنقل لكم بعض المشاهد التي عشتها هناك بصفة إنسان شاهد وحسب. كنا نعيش ساعات وأياما تحت قصف القنابل والرصاص، ومن كثرة الشظايا والقنابل والرصاص كنّا نشعر بأنا تحت المطر وكان مطرا من نور. فعندما تنتهي تلك الأيام ونشعر بالأمان ينقبض قلبنا ونشعر بأنه قد اسودّ لقلة البلاء. وقد سمعتم كثيرا أن الشباب المجاهدين عندما كانوا يرجعون إلى مدنهم كان يضيق صدرهم. إذ أن فطرة الإنسان تتلهف للبلاء والشدّة في سبيل الحبيب والمعشوق.

## ما هو الأسلوب الأفضل في التعامل مع نعم الله؟

إن هـذا الإنسـان الـذي يلتـذّ في البـلاء، إذا أنعـم اللـه عليـه وخفف عنـه البلاء يمتلـئ نورا ويصـل إلى أوج اللـذة وينغمـر في حالـة الشـكر للـه. أتذكـر أحد المجاهديـن في أيام الجبهة كان لا يسـتطيع أن يأكل شـيئا بعـد انتهـاء الحملـة ورجـوع القـوات إلى الـوراء. فسـألته عـن السـبب، فقـال: «إني كنـت أحـصي ديـوني للـه تحـت قصـف القنابـل في المعركـة وكنـت أشـعر بالخجـل والديـن للـه، فكيـف بي الآن وأنـا في حالـة الأمـان الـذي أشـعر فيـه بتصاعـد ديـوني للـه سـبحانه؟ وقـال: مـا زال صـدري ضائقـا مـن كثرة ديـوني لله فهـل أكثّرهـا؟» كان بـودّه أن يضحـي مـن أجـل اللـه ويتقطـع قطعـة قطعـة في سـبيل اللـه، لا أن يـأكل ويتنعّـم ويتمتّـع. فقلـت لـه: أما تسـمّي باسـم اللـه قبـل الطعـام؟ قـال: بـلى. فقلـت: إذن كلّ الطعام إذ لا يتشـدّد اللـه بهـذه الدرجـة، واللـه يحـب أن يتمتـع عبـده بنعمـه. بعـد ذلـك كان يجلـس عـلى مائـدة الطعـام ويناجـي ربـه قليـلا ويبـكي قليـلا ثـم يـأكل جيـدا. فـكان يـأكل إرضـاء لربّـه كالولـد الـذي يـأكل مـا طبخـت لـه أمـه لتفـرح أمّـه. إن مثـل هـؤلاء يسـتطيعون أن يأكلـوا مـن أجـل اللـه فقـط، أما الباقـي فيأكلـون مثـل البهائـم. لا يسـتطيع أحـد أن يـأكل مـن أجـل اللـه، بـل الـكل يأكلـون تلبيـة لنفسـهم. وإنمّـا الإنسـان الـذي يتحبـب إلى اللـه في خضـمّ البـلاء، هـو الـذي يعـرف كيـف يتمتـع بنعـم اللـه.

## صلى الله عليك يا أبا عبد الله

إن عشّـاق اللـه يـودّون أن يتلقّـوا البـلاء في سـبيل اللـه، ولكـنّ اللـه لم يسـمح لأحـد أن يتجـرع كأس البـلاء إلى آخـره إلا الحسـين(ع)، فقـد أعطـاه الحريـة الكاملـة لتحمـل البـلاء وكانـت تـأتي البلايـا عـلى الحسـين(ع) واحـدا بعـد الآخـر في يـوم عاشـوراء. هنـاك قاعـدة تقـول: كلـما ازداد الإنسـان نـورا ومقامـا وقربـا مـن اللـه، ازداد حظـا مـن هـذا النـوع مـن البـلاء. فبـما أن الحسـين(ع) كان يـزداد نـورا ومقامـا كلـما كان يقـترب مـن ظهـور عاشـوراء وعـصر عاشـوراء كان يـزداد بـلاؤه وتشـتدّ مصائبـه.

لقد استشهد أصحاب الحسين(ع) جميعا وبقي وحيدا، فأخذ يودّع أهله وعياله في الخيام وينزل إلى الميدان. في هذه اللحظات إذا كان ينزل بلاء على الحسين(ع) يفترض أن يكون أصعب من جميع المصائب التي تلقّاها من الصبح لحدّ ذاك الوقت. أنتم أيها الشباب قد لا تستطيعون أن تفهموا شدّة هذا البلاء باعتباركم لم تصبحوا آباءً، ولكن الآباء ولا سيما أولئك الذين لهم بنات صغار، وخاصة إذا كانت بنتهم في التاسعة أو العاشرة من عمرها يدركون شدّة هذه المصيبة نوعا ما. بعد أن ودّع الحسين(ع) النساء جميعا وأراد أن ينطلق إلى الميدان جاءته بنته سكينة وقالت له: «ردّنا إلى حرم جدّنا» إن هذه الكلمة بوحدها تكاد أن تقطع فؤاد الأب الغيور الذي لا سبيل له إلا أن يترك بناته بين قوم سفلة مجرمين.

## ألا لعنة الله على القوم الظالمين



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٨)

علي‌رضا بناهيان




**الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١۴٣۴هـ**

**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فی مدينة طهران**

**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٨)**

**إليك ملخص الجلسة الثامنة من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

## مرور على ما سبق/نحن بصدد كشف برنامج لحياة وعبادة أفضل

نحن بصدد كشف برنامج لحياة وعبادة أفضل. ولابدّ لهذا البرنامج أن يكون كفوء كما لابدّ أن يكون عمليّا وأن يكون مؤثرا ومفيدا في نفس الوقت، وبالإضافة إلى ذلك ينبغي أن يتصف بشمولية وأن يكون شاملا لجميع الناس، لا المؤمنين فقط دون غيرهم. فإن كان البرنامج برنامجا عمليا صحيحا لتحقيق حياة وعبادة أفضل، لابدّ أن يكون مشتركا بين الصالحين وغير الصالحين من الناس. ونحن نصبو إلى كشف برنامج جادّ وعميق وصائب ليحسّن حياتنا لا عبادتنا فقط، فإنّ تحسين الحياة مقدمة لتحسين العبادة.

## ما هي مواصفات البرنامج الجيد

ما هي مواصفات البرنامج الجيد؟ من مواصفاته هي أن يكون ذا محور واحد. فإن البرنامج التي يجعل الإنسان أمام مئة محور وعمل لا يؤدي إلى نتيجة؛ من قبيل ما لو كان البرنامج عبارة عن مجموعة من الأعمال والوصايا المتناثرة في ضرورة الصبر ووجوب الصدق وحسن التواضع وكراهية البخل وقبح الحسد وحرمة الحرص وأهمية العبادة وضرورة صلة الرحم وحرمة أكل الحرام إلى غيرها من الحسنات والسيئات. فإن هذا ليس ببرنامج، بل مجموعة من الأوامر والنواهي غير المنتظمة وغير المبرمجة. بيد أن هذه الوصايا لها نظام وهيكلية لابد من كشفها وإعطائها للناس، لكي تكون حياتهم على أساس برنامج منتظم. من مواصفاته الأخرى هي أن يكون مستوحى من القرآن والروايات، وأن يكون منسجما مع أحاديث أهل البيت(ع)، فلا يمكن أن نبدع برنامجا من جيبنا. و من جانب آخر يجب أن يكون متناسبا مع وجود الإنسان، وحقائق حياة الإنسان. فلا يمكن أن يكون البرنامج بلا علاقة مع ما تحدثنا عنه في تعريف الإنسان وهويته وماهيته.

## لقد خلق الإنسان من أجل جهاد داخلي روحي، أي مجاهدة الأميال والرغائب

على رأس الخصائص التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في تعريف الإنسان هي: «أن الإنسان قد خلق بأميال ونزعات مختلفة ومتضاربة، وبمقتضى هذه النزعات المختلفة غالبا ما يقف أمام طريقين أو أكثر في مراحل حياته، ولهذا قد منح الإنسان حقّ الاختيار وأصبحت اختياراته الصائبة ذات قيمة». وأما باقي خصائص الإنسان من قبيل قدرته على تحصيل العلم فهي قد منحت له لكي تمكنه من الاختيار الصائب. فعندما يقف الإنسان في مقام اختيار إحدى رغباته من بين مختلف الرغائب، لابدّ له من أن يضحّي ببعض هذه الرغبات في سبيل بعض أخر. ومن هنا يبدأ موضوع جهاد النفس. ولهذا ندّعي أنّ عنصر «جهاد النفس» يمثل أحد عناصر تعريف الإنسان. يعني أن الإنسان هو كائن خلق من أجل جهاد داخلي وروحي، أي مجاهدة رغائبه. وقد قامت هذه المعركة بسبب وجود نزعات وأميال مختلفة في داخل الإنسان، ولو لا هذا الاختلاف والتعارض لكان الإنسان مَلَكا أو حيوانا.

## لقد أودع الله في قلب الإنسان نوعين من الرغائب: ١. الرغائب السطحية والرخيصة، ولكنها جليّة ٢. الرغائب العميقة والقيّمة ولكنها خفيّة

وفي سبيل أن يتحقق جهاد الإنسان لأهوائه بشكل صحيح، قد أودع الله في قلب الإنسان نوعين من الرغائب: إحداها هي الرغائب العميقة والقيمة ولكنها خفيّة، والأخرى هي الرغائب السطحيّة والرخيصة ولكنها جليّة. إن هذين النوعين من الرغائب ليست سواء، بل إن الرغائب الجيدة والقيّمة أقوى من الرغائب الرخيصة أو التي لا قيمة لها، ولكن بسبب خفائها لابدّ للإنسان أن يعبر من رغباته السطحية والرخيصة ويضحي بها في سبيل الوصول إلى الرغائب العميقة والقيّمة. فلو كانت الرغائب الجيّدة والعميقة ظاهرة في داخل الإنسان، لكان الناس جميعهم قد اختاروا هذا النوع من الرغائب لقوتها في قلب الإنسان، ولما حصل جهاد النفس قط. ولهذا فقد أخفى الله هذه الرغائب الشديدة في أعماق قلب الإنسان، وأظهر الرغائب الضعيفة لكي تتوفر أرضية جهاد النفس.

في السنين السبع الأولى من عمر الإنسان تتبلور الرغبات السطحيّة، وتلك المرحلة هي وقت تجربة هذه الرغائب، فقد أوصانا الإسلام أن نجعل الطفل أميرا في البيت وندعه وشأنه يفعل ما يشاء، لتتبلور رغباته السطحية، فلابدّ أن يجرّب هذه الرغبات ويذوق طعمها قدر المستطاع ليعرف الطعم الحلو ويذوق الراحة ويأنس بالمحبة والحنان. كما تتبلور في وجوده الأنانية ويظهر في السنة الثالثة من عمره الحسد أيضا. ثم بعد سنتين يحاول أن يقلّد الكبار ويلبس ملابسهم لتكون علامة على بوادر حبّ العظمة وحبّ الكِبَر وحب المقام.

## يزعم البعض أن رغباتهم الرخيصة والسطحيّة أشدّ من غيرها وإن مخالفتها صعب جدا

إن هذه الرغبات التي يتعرف عليها الطفل في السنين السبع الأولى من حياته، ليست برغبات سامية بل هي رغائب سطحية يميل إليها الإنسان كما يميل إليها الحيوان وجميع الحيوانات يدركون هذه الرغبات ويتحركون على أساسها وليس لهم شأن سواها ولا يفهمون شيئا وراءها. إن هذه الرغائب السطحية تظهر نفسها كرغائب شديدة، ولكنها ليست بشديدة. فإن هذه الرغائب السطحية التي تجربها وتعيشها لا تقدر على إمتاعك كثيرا إذ أنها سطحيّة ولم تمتدّ بجذورها إلى أعماق قلبك. يزعم البعض أن رغباتهم الرخيصة والسطحية أشدّ من غيرها في وجودهم وإن مخالفة هذه الرغائب عمل عسير جدا. بينما إن يبدأوا بجهاد هذه الرغائب، سوف يلتذون بهذا الجهاد شيئا فشيئا وسوف لا يعيرون قيمة لهذه الرغبات السيئة والسطحية. لقد خفي تحت محيط وجود الإنسان سلسلة جبال مرتفعة جدا ولكنها غير ظاهرة، فهناك محلّ استقرار رغباتك الثقيلة جدا ولا سبيل لكشفها إلا بالغوص والغور في أعماق هذا المحيط. ما هو الطريق للوصول إلى الرغبات الأعمق؟ هل الطريق هو أن يعمد الإنسان إلى عشق الله في أول خطوة؟! كلا. الخطوة الأولى هي أن تذبح رغباتك السطحية. فحاول أحيانا أن لا تأكل الطعام المحبذ لك، بل كل خبزا مع لبن. فابدأ بمنازعة نفسك ومخالفتها في رغباتها السطحيّة. تمرّن على جهاد النفس حتى تموت سبعين مرة في اليوم من شدة الجهاد. ولا تنطق بكل ما رماه هواك إلى لسانك، فكف عن الكلام بكثير مما يحلو لك التحدّث به، حتى إن كان ظاهر الكلام جيدا أو كان بصيغة نصح الآخرين أو إرشادهم، إذ أحيانا نلبّي شهوتنا في الكلام عبر ما يسمى بالكلام اللطيف والنصائح النافعة.

## إن أهل جهاد النفس يجدون لذة في حياتهم لا يجدها أهل الفسق والفجور

إن مخالفة النفس أمر صعب في الظاهر، إذ تريد أن تخالف رغبة ونزعة ظاهرة، ولأنّها ظاهرة تشعر بأنّها رغبة شديدة، وهذا ما يجعلك تعتبر مخالفة هذه الأهواء أمرا عسيرا. ولكن هذه المخالفة في الواقع هي من أجل الوصول إلى الرغائب الخفيّة التي هي أعمق وأمتع وألصق بالفؤاد. ولهذا عندما نبدأ في هذا الجهاد ونخطو بعض الخطوات إلى الإمام ونذوق شيئا من رغائبنا العميقة، عند ذلك ندرك أن هذه المخالفة ليست بصعبة أبدا. إن ماهيّة العسر والألم هو أن يكون الشيء مخالفا لهوانا وإنّ ماهيّة اللذة والسرور هو أن يكون الشيء موافقا لهوانا. إذن فعندما يقوم أحد بمخالفة أهوائه السيئة ويصحّي رغباته الجيّدة ويلبّي نزعاته العميقة والقيّمة، يشعر بلذّة لم يذقها أهل الفسق والعصيان في حياتهم قط. إن عبادة الله يمثّل نزعة عميقة وممتعة جدا في وجود الإنسان. وإنه أقوى وأمتع بكثير من الميل إلى الشهوات، ولكنه أخفى من حبّ الشهوات. فمن هذا المنطلق إن من يلبي رغبته في عبادة الله ويرضي ربّه، يتمتع بلذة لن يجدها من يقوم بإرضاء هوى نفسه أبدا. فعلى سبيل المثال، من الذي يشعر بلذّة أقوى؛ هذا الذي يسبّ ويشتم إرضاء لهواه، أم الذي يسيطر على لسانه إرضاء لربّه؟ فلا شك في أن لا قياس باللذة التي يجدها الثاني تجاه لذّة الأوّل. وأيّهما أشدّ لذة؛ من يقابل السوء بالسوء والانتقام إرضاء لهوى نفسه، أم من يعفو عن الناس إرضاء لربّه؟

## كل من تزداد لذته بعلاقته بالله، يزداد بالمقابل أجرا من الله

واللطيف هو أن الذي يحظى بمزيد من اللذة وأقواها بسبب إرضاء الله في حياته، يُفترَض أن يزداد دَيْنا لله بسبب زيادة اللذة التي عاشها في حياته، ولكنّ الله يزيده أجرا ويرفع درجاته في الجنان. إنّ من لطف الله وكرمه هو أن كلما ازداد الإنسان انتفاعا من الله، يزداد نصيبه من الله في الجنة. يعني كل من عاش لذة أشد وأقوى في ظلّ علاقته مع الله في هذه الدنيا، يزداد أجرا منه سبحانه وتعالى. غيّر رؤيتك عن الله، فإن الله لم يرد منك أن تضحّي برغباتك ولذاتك في سبيله، بل أراد أن تضحي بلذاتك السطحية والقليلة في سبيل لذاتك العميقة والشديدة! عندما تطبخ أمّ لولدها طعاما، كلّما التذّ الولد بطعام والدته وأكل من الطعام أكثر، تزداد الأمّ فرحا. ولا شكّ في أن الله الذي خلق الأمّهات، هو أرحم بعباده منهنّ جميعا.

## الإنسان الذي يجاهد نفسه لم ينجز شيئا

لا ينبغي للإنسان الذي يجاهد نفسه، أن يعتبر نفسه قد أنجز شيئا خارقا وقام بعمل شاقّ، إذ أن اللذة التي يجدها في خضمّ جهاد نفسه، لن يجدها الفسقة وشرابو الخمر أبدا. فهو لم يكن يطلب اللهَ شيئا بهذا الجهاد، بل يزداد دَينا له، إذ قد لبّى رغبات قلبه العميقة وحظى بمزيد من اللّذة، وقد نال ما يميل إليه ويرغب فيه واقعا، وبعد كل هذا سيثيبه الله بالجنة لكونه قد لبّى رغباته الحقيقية! وهذا من لطف الله، فلا ينبغي أن نتوهم بأننا قد أنجزنا شيئا كبيرا.

## إن الذين يجاهدون أنفسهم يلتذون في حياتهم أكثر من أهل الفسوق والفجور/ إن مخالفة النفس إرضاء للنفس في الواقع

إن أهل الفسق والفجور لا يعيشون لذة أولئك الذين يقومون بتلبية رغباتهم العميقة والفطرية والخفية ولا يشعرون بسرورهم، إذ أن مخالفة النفس هي إرضاء للنفس في الواقع، وهي عبارة عن العبور من أميال النفس السطحية لتلبية الرغائب العميقة والجيّدة في النفس. سألني أحد الإخوة وقال: «ألا يتعقّد الإنسان نفسيّا فيما إذا جاهد نفسه ليل نهار وحرمها عن لذّاتها؟». قلت له: بالتأكيد! فإن أدمن الإنسان على مخالفة نفسه وهواه يتعقّد نفسيا ويبتلى بمرض في أعصابه وتضعف قواه وقد يحقد على الناس ويصاب بستين مرض آخر! ولكن إنّ مخالفة النفس، ليست مخالفة جميع أبعاد النفس، بل إنما هي مخالفة الجانب السطحي والرخيص منها، وفي نفس الوقت الذي تجاهد فيه هذا البعد من النفس، تلبّي رغبة رائعة وعميقة جدا في نفسك. يقول الرسول الأكرم(ص): «النَّظَرُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ فَمَنْ تَرَكَهَا خَوْفاً مِنَ اللَّهِ أَعْطَاهُ إِيمَاناً يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ»[جامع الأخبار/ص١٤٥]. وقال (ص): «النظر إلى محاسن النّساء سهم من سهام إبليس فمن تركه أذاقه الله طعم عبادة تسرّه»[مستدرك الوسائل/ج١٤/ص٢٧١]. فإن غضّ أحد النظر وترك اللذة ولم يجد تلك اللذة العميقة وطعم العبادة فليعلم أن لم يكن غضّه البصر في سبيل الله وإلا لوجد هذه اللذة.




## في سبيل كشف رغائبنا العميقة والكامنة ولا سيما رغبتنا في عبادة الله، لابدّ لنا أن نضحي بأهوائنا ورغائبنا السطحية

في سبيل أن نكشف رغبتنا العميقة والكامنة المتمثلة بحب عبادة الله، لابد أن نجاهد رغائبنا السطحية والتافهة وأن نضحّي بها في سبيل الرغائب العميقة، أي لابدّ أن نقف أمام شهواتنا وأهوائنا. وعليه فلابد أن نخاطب ربنا في سجّادة الصلاة ونقول له: «إلهي! أنا الآن أسير بيد رغباتي السطحيّة ولا أدرك لذة عبادتك، ولكني سمعت أن هناك حقائق وراء هذه الظواهر فصدقت نبيّك، وأنا الآن أصلّي بين يديك بلا أن أشعر بلذة الصلاة...» أساسا إن الصلاة تمثّل جهادا للنفس، إذ ليس فيها جاذبيّة في بداية الأمر، وعادة ما نحاول أن نصلّي ونتمّ الصلاة تأدية للواجب وحسب، ولكن من أجل أن نرغم أنف نفسنا ونحارب أهواءنا، ينبغي أن نصلي باطمئنان وهدوء وبدون استعجال. فكلما أردت أن تستعجل في صلاتك وتكملها بسرعة، أبطئ في صلاتك وكرّر أذكارك لتلوي عنق نفسك وتقعدها في مكانها. أتذكر في زمن كنّا نصلي خلف آية الله الشيخ الأراكي(رضوان الله عليه) حيث كان يصلّي في مسجد صغير جدا في جوار ضريح السيدة المعصومة(ع)، ولكن كانت صلاته طويلة جدّا ولا تقاس بصلاة الشيخ بهجت من حيث طولها. فكانت صلاته ترغم أنف النفس. فمن كان يريد أن يلوي عنق نفسه، كان يصلي خلفه. فإذا وجدتم إماما يصلي صلاة طويلة، اقصدوه بعض الأيام وصلّوا خلفه لتخالفوا بتلك الصلاة نفوسكم وترغموا أنفها.

## أحيانا يصبح جهاد النفس في سبيل النفس

ليكن بعلمك أخي أن بعض الناس يجاهدون أنفسهم من أجل النفس، فلا تخرّب جهادك. من قبيل من يمسك نفسه عن السبّ والشتم حفاظا على سمعته، أو من يترك حب الغضب تلبية لحبّ المقام في نفسه. فعلامة هذا الإنسان هي أنه مهما تأدب وحسّن أخلاقه وجاهد نفسه، لا يرغب في الصلاة، إذ لم يكن جهاد نفسه في سبيل الله.

## إن جهاد النفس هو مراعاة النفس في الواقع، ومخالفة اللذّات هو نيل اللذات في الواقع، ولكن لذة عميقة وغزيرة

عندما يتجه الإنسان نحو الحسنات ورغباته العميقة، ويجاهد أهواءه السطحية في هذا المسار، سيذوق لذة هذا الجهاد بلا ريب، وإن الله يذيقنا هذه اللذة بسرعة. أساسا إن جهاد النفس هو مراعاة النفس في الواقع، ومخالفة اللذات هو نيل اللذات في الواقع، ولكن لذة عميقة وغزيرة لا سطحية وقليلة. ولهذا إن بعض الناس يحرصون على العبادة، فتراهم يجلسون في المسجد منتظرين وقت الصلاة، فهم يجاهدون أنفسهم ويعيشون لذة حقيقية في حياتهم.

## إن حقيقة حياة الإنسان هي اختيار خير الرغائب مما هي أدنى عن طريق «العقل»/ العقل قوة لاختيار خير الرغائب

إذن هكذا يمكن أن نعرّف حياة الإنسان: «اختيار الرغائب الأفضل من الرغائب الأدنى»، ويتم هذا الاختيار عبر قوة في وجود الإنسان باسم العقل. لمّا خلق الله العقل أعطاه زمام الإنسان إذ به يُعبَد. «الْعَقْلُ مَا عُبِدَ بِهِ الرَّحْمَنُ وَ اكْتُسِبَ بِهِ الْجِنَان»[هدايه الأمة/ج١/ص٤]. يختلف العقل عن العلم، ولهذا عندما يسيء الإنسان في اختيار رغائبه ويختار الخيار الأدنى يقال له: أنت عديم العقل، وعندما يصيب الاختيار ويختار الخيار الأفضل يقال له: أنت إنسان عاقل. لقد خلق الإنسان ليختار من مجموع الخيارات، ولولا ذلك لما استطاع أن ينتج قيمة مضافة. ولابدّ للاختيار أن يكون من بين نوعين من الرغائب؛ رغبة أشدّ ولكنها كامنة، ورغبة أضعف ولكنها ظاهرة. وإن الرغائب الضعيفة والظاهرة يعني هذه الأهواء والشهوات هي التي تحجز الإنسان عن كشف رغباته العميقة والكامنة. لذلك ينبغي للإنسان أنّ يدمن على محاربة أهوائه النفسانية ورغائبه السطحية والواضحة ويضحّي بها ليصل إلى رغباته العميقة والفطريّة. وإنّما يستطيع الإنسان أن ينجز هذا الإنجاز بالعقل. العقل هو الذي يحذرنا من الاغترار بالرغبات الظاهرية، وهو الذي يشجعنا على الاهتمام بالرغبات العميقة فإنها أكثر لذة. ويقول لنا: دع هذه النزعات السطحية لتكشف رغباتك العميقة.

## لماذا لا يتضرع المذنبون إلى الله؟

لماذا لا يتضرع المذنبون إلى الله؟ لأنهم يخافون من الله بشدّة، ويتصورون أن الله بصدد الانتقام منهم. إنهم قد تنكروا لله وظنوا أن الله قد تنكر لهم أيضا. ما هو انطباعكم عن الله وأنتم تتوبون إليه من ذنوبكم وتخافون منه؟ لماذا يضيق صدركم وتتوبون من ذنوبكم؟ هل تعتذرون إلى الله لأنكم لم تمتثلوا كلامه والآن تخافون أن يعاقبكم عقابا عسيرا؟ وهل أنكم تتوبون إليه مخافة سوطه؟ وهل تنظرون إلى الله كخصم قوي لا يمكن منافسته؟ في حين أن الله قد أراد أن تلتذوا أكثر في حياتكم، وأراد أن تفعّلوا رغباتكم الفطرية، ولهذا ولأنكم قد أضررتم بأنفسكم وحرمتم أنفسكم من مزيد اللذة، لم يرض منكم وغضب عليكم، فإنه لم يرض منا لشدّة حبه لنا. والآن فهو لا يريد أن يضربكم بل يريد أن ترجعوا إليه. يقول الإمام الباقر(ع): «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ أَضَلَّ رَاحِلَتَهُ وَ زَادَهُ فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ فَوَجَدَهَا فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ حِينَ وَجَدَهَا». [الكافي/ج٢/ص٤٣٥] فلابدّ أن نرجع ونعيد بناءنا المعرفي بالله وبالإنسان والحياة من جديد. إلهنا سبحانك أن تكون محتاجا إلينا فلماذا تفرح بهذه الشدة عند توبتنا؟! إلهنا أنت الذي قال في وصفك الإمام السجاد(ع): «الحمد لله الذي تحبب إلي وهو غني عني» فلماذا تفرح بتوبتنا إلى هذا الحد؟ إنه أراد أن نزداد لذة في الدنيا لنزداد قابلية للتنعم في يوم القيامة وعند لقاء الله. إنه أراد بهذه الأحكام أن نتعطش إلى اختيار الخيار الأفضل ولتكون الدنيا مقدمة للتمتع والالتذاذ بلقاء الله بعد الموت وفي يوم القيامة وفي جنات الخلد. فكان البرنامج الإلهي لنا هو أن ننتعش بذكر الله وجمال الله في الدنيا، ثم يدعونا إليه، لنتمتع باللذة الكاملة عند لقائه.

## صلى الله عليك يا أبا عبد الله

إن جهاد النفس يتخذ منحى آخر في مراحله المتقدمة، فكلما كان يشتدّ الأمر بالحسين(ع) ويقدم الأضحية واحدا بعد الآخر كان يشرق لونه وتهدأ جوارحه وتسكن نفسه، فيقف الإنسان حائرا أمام قلب الحسين(ع) عاجزا عن فهمه ووصفه. أنا أريد أن أخاطب الحسين(ع) وأقول له: يا أبا عبد الله! عندما ودّعت علي الأكبر، أما قدّمته أضحية لله سبحانه؟ ونحن نعلم كم أنت تحب أن تقدم ضحايا في سبيل الله. فما هذا البكاء عليه أمام الأعداء حتى أوشكت بالموت حين وضعت خدك على خده؟! اسمحوا لي أن أجيب بكلمة واحدة. ألا تحترق أكبادكم إذا جاء أحد ومزّق أمامكم صورة النبي الأكرم(ص)؟! كان علي الأكبر أشبه الناس خلقا وخلقا ومنطقا برسول الله(ص)، وإذا به رآه مقطعا بسيوف القوم...

## ألا لعنة الله على القوم الظالمين



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني،  (المحاضرة ٩)

عليرضا بناهيان




**الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١۴٣۴هـ**
**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فى مدينة طهران**
**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني،  (المحاضرة ٩)**

**إليك ملخص الجلسة التاسعة من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

**بودّي في هذه الجلسة أن ألخّص مجمل ما ذكرناه في الجلسات السابقة وأستعرض ما خرجنا به من نتائج، لكي يطّلع عليه الإخوة الذين لم يرافقونا من الأول، وكذلك يحصل الإخوة الذين تابعونا من بداية الأبحاث على صورة واضحة عن مجمل ما طرحناه في الليالي الماضية. لابدّ لنا في هذا البحث أن نطوي ثلاثة مراحل، ونحن لم نطوِ عبر الجلسات الماضية إلا المرحلة الأولى منه.**

### ١.نحن بحاجة إلى برنامج واحد للحياة والعبادة

نحن ومن أجل أن نحظى بحياة وعبادة أفضل، بحاجة إلى برنامج جيّد. وأساسا نعتقد أن البرنامج الذي يحسّن حياتنا من شأنه أن يحسّن عبادتنا أيضا. وبالعكس، إن البرنامج الذي يحسّن عبادتنا يحسّن حياتنا أيضا. لابدّ أن يكون هذا البرنامج نافعا لجميع الناس بلا فرق بين المتديّن وغيره، فإذا لم يكن الإنسان متدينا، ينبغي لهذا البرنامج أن يعينه على تحسين حياته، وإن كان متديّنا يعينه على عبادته. ولهذا فمثل هذا البرنامج يهيّئ الأرضيّة لتحاور المتديّنين مع غير المتدينين، كما أن كثيرا من رواياتنا قد اتخذت هذا الخطاب في أسلوبها، يعني أنها قد أشارت إلى أساليب وآداب في الحياة بغض النظر عن الدّين والإيمان، حتى إذا لم يرد أحد أن يعمل بمفادها بدافع ديني، يعمل بها بدافع تطوير حياته.

### ٢.يجب أن يكون البرنامج متناسبا مع «تركيبة وجود الإنسان» و«ظروف الحياة الطبيعية»

يجب أن يكون البرنامج متناسبا مع «تركيبة وجود الإنسان» و «ظروف الحياة الطبيعية». فلا ينبغي أن يكون البرنامج خياليّا وبلا علاقة مع هويتنا الإنسانيّة وتركيبتنا الوجودية. وبالإضافة إلى ذلك لابدّ لهذا البرنامج أن يكون منسجما مع خصائص حياة الإنسان والسنن التي تتحكم في عالم الوجود.

فعلى سبيل المثال إحدى خصائص الحياة الدنيا هي أنها كلّما تعطي الإنسان شيئا تسترجعه منه، فإن أعطته الشباب أو الصحّة لا تبقيه على حاله بل تعود إليه وتسلبه ما منحته في الماضي. هذه من طباع الدنيا. وكذلك الدنيا لا تخلو من مشاكل ومنغّصات، فلابدّ أن يؤذيك أحد في حياتك، إما زوجك وإمّا جارك وإما أن تلتقي بعابر مارّ يؤذيك. إن درب الحياة الدنيا لا يخلو من الأشواك ولا فائدة لعقد آمال القلب وأمانيه بعيش خالٍ من المشاكل والمنغّصات. إذن لابدّ أن يكون البرنامج على أساس هذه الميزة في الحياة الدنيا. مع الأسف إن أكثر مناهجنا الدينية المدوّنة قد تم تنظيمها بغض النظر عن خصائص الحياة. وأساسا أحد المواضيع التي نعاني من الضعف فيها هو معرفة الحياة. بينما هناك قسم كبير من آيات القرآن قد تصدت لتبيين خصائص الحياة.

### ٣.أهم رأسمال الإنسان قلبه، أي موطن أمياله/إن أميال الإنسان تمثل الطاقة المحركة لنشاطه

أهم رأسمال الإنسان قلبه الذي هو موطن أمياله ونزعاته. ففي الواقع إن أميالنا ونزعاتنا تمثل أهم رأسمالنا. فإن نزعاتنا هي التي تربط علاقتنا بالحياة وتدفعنا بالطاقة للحركة والنشاط، ففي الواقع إن أميال الإنسان تمثّل الطاقة المحرّكة في وجوده. إن سلطان روح الإنسان قلبه والقلب هو مقرّ الأوامر والإيعازات وهو الذي يأمر الإنسان بالتحرك والنشاط في سبيل سدّ احتياجاته.

### ٤.من أهم خصائص الإنسان هو تعارض نزعاته/هناك تضارب في ذات الإنسان

من أهمّ خصائص قلب الإنسان أي مقرّ نزعاته هي أنه ينطوي على أميال ورغائب متضاربة، وليس للإنسان بدّ سوى أن يختار بعض هذه الأميال ويكفّ عن بعض أخر، وبطبيعة الحال سوف يواجه متاعب ومصاعب ومحن في هذا المسار. نحن لم نولد برغبة واحدة بل قد ولدنا برغبات مختلفة ومتنوّعة، فإن اتجهنا لأيّ من هذه الرغبات سوف نقعد عن الأخرى. فمن هذا المنطلق هناك نزاع وتضارب دائم في ذات الإنسان بين مختلف نزعاته المتعارضة. ينطوي الإنسان على أهواء مختلفة وإن بعضها متضادة ومتعارضة مع بعض وهناك عداء في ما بينهم. ولهذا فإن في ذات الإنسان تضاربا ونزاعا وعليه فدائما هناك ضحايا في ذات الإنسان، إذ لا سبيل له سوى أن يضحّي ببعض رغباته في سبيل بعض أخر.

إن هـذا التضـارب يبعـث في ذات الإنسـان حـيرة لا منـاص منهـا، إذ هـو يحـبّ جميـع «رغباتـه»، ولكـن ليـس بوسـعه أن ينـال جميعهـا، فيضطـر إلى أن يختـار بعضـا منهـا دون الباقـي. ثـم إن عمليّـة الاختيـار تحتـاج إلى تضحيـة، وهـي بمعنـى العبـور مـن إحـدى الرغبـات في سـبيل الوصـول إلى رغبـة أخـرى، إذ لا مجـال للحصـول عـلى جميـع الرغائـب معـا. إذن لا يخلـو ذات الإنسـان مـن الحـلاوة والمـرارة معـا.

## ٥. هناك نوعان من الرغبات في وجود الإنسان: ١. الرغبات السطحيّة والظاهرة وهي بالفعل و٢. الرغبات العميقة والخفيّة وهي بالقوّة

هنـاك رغبتـان عامّتـان في وجـود الإنسـان؛ ١ـ الرغبـات السـطحية والظاهـرة وهـي بالفعـل ٢ـ الرغبـات العميقـة والخفيـة وهـي بالقـوّة. وعـادة مـا تسـمى الفئـة الأولى بالرغبـات الغريزيـة وتسـمّى الثانيـة بالرغبـات الفطريّـة. وإن النـزاع القائـم في وجـود الإنسـان هـو بـين هذيـن النوعـين مـن الرغبـات. وإن تبـدو الرغبـات السـطحية أشـدّ وأقـوى في بـادئ الأمـر ولكـن النزعـات والأميـال العميقـة هـي الأقـوى. إن اللـذة التـي يعيشـها الإنسـان بعـد مـا يلبّـي رغباتـه العميقـة والكامنـة كثـيرة جـدا ولا تقـاس باللـذة القليلـة والمحـدودة الحاصلـة بعـد تلبيـة الرغبـات السـطحية.

## ٦.يبدأ الإنسان بتجربة الرغبات السطحية ولكن لا يقف عندها

يبـدأ الإنسـان بتجربـة الرغبـات السـطحية ولكنـه لا يشـبع بهـا، فـلا يشـعر إنسـان بالرضـا بعـد تمتعـه بالرغبـات السـطحية بـل لا يـزال حائـرا ويبحـث عـن لـذة مـن نمـط آخـر تشـبع روحـه. في الواقـع لا يقنـع إنسـان بتلبيـة رغباتـه السـطحية ومهـما تمـادى في التمتـع بهـذه الرغبـات يـزداد إصرارا وولعـا بتجربـة المزيـد مـن اللـذة إذ لم تسـتقر روحـه ولم يشـعر بالرضـا. وذلـك لأنـه لم يلتفـت إلى رغباتـه الحقيقيـة والعميقـة التـي لا تقنـع النفـس إلا بهـا.

## ٧.إن غاية الرغبات العميقة والفطريّة في الإنسان هي طلب الله والشوق إلى لقائه

إن غاية الرغبات العميقة والفطريّة في الإنسان هي طلب الله وعشق التقرب منه والشوق إلى لقائه. إنّ العشق المحوري الكامن في قلب الإنسان هو حب الله ولم يكن الإنسان بطالب شيئا كحب الله، ولكنه حبّ محجوب في القلب وغالبا ما تخفيه الرغبات السطحية وتمنع الإنسان من كشفها ونيلها. إن محور الإيمان ليس «وجود الله» إذ أن الإيمان بوجود الله مقدمة الإيمان، بل محور الإيمان هو «حب لقاء الله».

## ٨.«الطريق الوحيد» هو غضّ الطرف عن الرغبات الظاهرية، للوصول إلى الرغبات العميقة

«الطريق الوحيد» للحصول على حياة طيّبة وعبادة جيّدة هو أن نغض الطرف عن رغباتنا الظاهرية وما هي بالفعل لنصل إلى الرغبات العميقة والتي هي بالقوة. لابدّ أن نضحّي برغباتنا السطحيّة وهذه النقطة هي مبدأ انطلاقنا في جهاد النفس. وإن مفعول جميع المفاهيم الدينية كالإيمان والتقوى والقيامة ونار جهنّم والجنّة هي أن تأخذ بأيدينا في هذا الطريق. وكذلك لابدّ أن نفهم أثر أولياء الله وحبهم في هذا الإطار، وبالتأكيد إن دور أبي عبد الله الحسين(ع) في هذا المسار دور خاصّ.

## إن حب الحسين(ع) هو النزعة الفطرية والخفية الوحيدة التي يمكن كشفها بسهولة

إن الإمام الحسين(ع) يمثل أروع فرصة للإنسان لكشف فطرته. إن حب الحسين(ع) هو تلك النزعة الفطرية والخفية الوحيدة التي يقدر الإنسان على كشفها في قلبه بسهولة، وحتى بإمكان الناس العاديّين الذين لم يطووا مدارج التقوى أن يجدوا هذا الحب في قلبهم. من أجل كشف حب الله، لابد أن تستأصل حب الدنيا من قلبك تماما، ولكن لا يشترط ذلك في حبّ الحسين(ع)، إذ يمكن للقلب المحب للدنيا أن يحبّ الحسين(ع) ويذوق حلاوة حبّه بسهولة. فإذا أراد الإنسان أن يعيش تجربة حبّ الله ويعرف جنس هذا الحبّ، بإمكانه أن يعرف ذلك عبر الشعور بلذة حب الحسين(ع).

## ٩.من أهم قدرات الإنسان هو قدرته على تحديد الأولويات بين مختلف أمياله، أي «التعقل»

بعد ما عرفنا هذه الحقيقة وعدم إمكان تلبية جميع الرغبات معا، وأن لابدّ من اختيار بعضها دون الأخرى، فلابدّ أن نرى بأيّ وسيلة يجب أن نقوم بهذا الاختيار. من أهمّ قدرات الإنسان هو قدرته على تحديد الأولويّات وهو ما يسمّى بالتعقّل. إذن يمكن أن نقول: أهمّ «رأسمال» الإنسان هو أمياله ونزعاته و أهم «قدرة» في وجود الإنسان هي العقل. العقل يفتينا بأن العشق الخالد واللذة الباقية أفضل بلا ريب. وهناك حرب قائمة بين العقل وهوى النفس، إذ أن العقل يختار النزعات الأفضل والأعمق والأبقى أما هوى النفس فيميل إلى النزعات الأقل قيمة والأكثر سطحية وظهورا. وعلى أساس ما روي عن رسول الله(ص)، كلّما يفضّل الإنسان رأي هوى نفسه على عقله، ينقص من إمكانيات عقله شيء لا يرجع أبدا؛ «مَن قارَفَ ذَنباً فارَقَهُ عَقلٌ لا يَرجِعُ إلَيهِ أبداً» [ميزان الحكمة/ الحديث٦٧٥١].

## ١٠.إن في الاهتمام بالأميال السطحيّة مشكلتين: ١.لن يطمئن قلب الإنسان مهما نال منها ٢.لن يقدر على نيل جميعها أبدا

إذا تمحّض الإنسان في تلبية نزعاته الغريزيّة والظاهريّة سيواجه مشكلتين: ١ـ لن يطمئن قلب الإنسان مهما نال منها ٢ـ لن يقدر على تلبية جميع هذه الأميال السطحية. وبعبارة أخرى سواء ألبّى رغباته أم لم يلبّها فهو يشعر بالخيبة.

## ١١.إن تلبية الرغبات العميقة تواجه مشكلتين: ١.لا يمكن تجربتها في بادئ الأمر ٢.لابدّ وفي سبيل نيلها من غض البصر عن اللذات السطحيّة

ماذا يواجه الإنسان في ما إذا عمد إلى تلبية رغباته العميقة؟ إن تلبية الرغبات العميقة أيضا لا تخلو من مشكلتين: الأولى هي أن لا يمكن تجربتها في بادئ الأمر؛ يعني عادة ما لا يذوق الإنسان طعم نزعاته الفطريّة العميقة في البداية، إلا القليل أو بعض النزعات العميقة الخاصة من قبيل حب الحسين(ع).

المشكلة الثانية التي تواجهنا هي أنّ نيل هذه الرغبات يقتضي غضّ النظر عن بعض اللذائذ والأميال السطحيّة والتضحية بها. ولهذا فأوّل ما يبدأ الإنسان بالعبور عن هذه النزعات السطحيّة يواجه صعوبة، خاصة وأنه لم يذق طعم النزعات العميقة بعد، وقد تخلّى عن أهوائه الغريزيّة. فعليه أن يصبر في هذه المرحلة لينال غايته بالتدريج. ولكن ما يمنع الإنسان من التوفيق هو خوفه من «الحرمان من تلك، والفشل في هذه»، فلابدّ من الغلبة على هذا الخوف الكاذب، فقد بُعِث الأنبياء جميعا ليطمئنونا على أن هناك حقائق وبشارات، فاسعوا لها سعيها.

## ١٢. إن مخالفة الأميال السطحية بحاجة إلى «برنامج» والدين هو المرجع لإعطاء البرنامج/ لماذا لا يمكن جهاد النفس بلا برنامج؟

إن مخالفة الأميال السطحيّة بحاجة إلى برنامج والدين يمنح الإنسان هذا البرنامج الجهادي. إن مجمل البرنامج الديني بشكل عام وفلسفة جميع الأحكام الدينية وحتى العبادات هو جهاد النفس. لماذا لا يمكن جهاد النفس بلا برنامج؟ إذ أن جهاد النفس ومخالفة الأهواء لا يعني رمي جميع النزعات الظاهرية والقضاء عليها! بل لا ينبغي ذبح هذه النزعات واستئصالها كما يجب تلبية بعضها أحيانا. فعلى سبيل المثال إن جعنا يجب أن نأكل، وإن بلغنا ورغبنا في الزواج علينا أن نتزوّج. فلو كان القرار أن نقضي على نزعاتنا السطحيّة والظاهرية جملة واحدة وأن نضحّي بجميع احتياجاتنا الابتدائية كالمرتاضين، لما كنا بحاجة إلى برنامج. وأساسا من صعوبات هذا البرنامج وتعقيداته هو أن لابدّ من تلبية بعض هذه الرغبات السطحيّة.

## ١٣. من أهم خصائص حياة الإنسان هو العناء لا اللذة

إن من أهمّ خصائص حياة الإنسان هو العناء لا اللذّة. يعني أن الأصل والأساس في حياتنا هو العسر والعناء؛ (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فی كَبَد)[البلد/٤] وبالتأكيد إن هذا العناء لا يخلو من راحة ويسر؛ (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرا)[الإنشراح/٦] ولكن الأساس هو العسر. لم تكن الدنيا مهيأة لتجربة حياة ملؤها اللذة والهناء والراحة وأن لا مشكلة في هذا البين إلا أن نمرّ من احتياجاتنا السطحيّة مرور الكرام وثم نحصل على حياة ممتعة في هذه الدنيا، كلا! إذ قد عجنت ذات حياة الدنيا بالعسر والحرمان.

يمكن تقسيم آلام الدنيا إلى قسمين؛ ثابتة ومتغيّرة. إن بعض الآلام ثابتة للجميع ولا مناص منها تقريبا. فعلى سبيل المثال قد فرضت طبيعة هذا العالم ألم المخاض على جميع النساء وهذا واقع لا مفرّ منه.

## يحاول الكثير من الناس أن يفرّوا بأوهامهم عن هذا الواقع وهو «أننا مضطرون إلى تحمل العسر والعناء»

مع الأسف إن كثيرا من الناس غير مستعدين لاستماع وقبول حقيقة أن حياة الإنسان لا تخلو من العسر والعناء، كما لم يقتنع الكثير من الناس بحقيقة «أننا مضطرون إلى تحمل العسر والعناء». بما أننا لا نرغب في تحمل العسر والعناء، نؤمّل أنفسنا أن لا عسر إن شاء الله في حياتنا، في حين أنّ هذا الأمل وهمٌ محض. وقد بلغ امتداد هذه الأوهام إلى حدّ أننا أصبحنا لا نجرأ على ذكر قائمة الآلام والمحن الثابتة والمتغيرة في هذه الدنيا خوفا من طلّاب الراحة والدعة. إذن أصبح تعريف حياة الإنسان هو «العسر والجهاد» إذ قد انطوت ذات حياة الدنيا على العسر ولابدّ في هذا الخضمّ من مخالفة أهواء النفس وأميالها، فهذان عنصران متلازمان في تعريف الحياة.

## إن الآمال والأمانيّ النفسيّة تعمي الإنسان عن مشاهدة عسر الحياة ومشاهدة «الموت»

يخدع كثير من الناس أنفسهم ويكذبون على أنفسهم ولا يريدون أن يشاهدوا حقائق الحياة. وكما قال أمير المؤمنين(ع): « الْأَمَانِيّ تُعْمِي عُيُونَ الْبَصَائِرِ»[غررالحكم/الحديث١٤١٧]. أحد أهم محاور مرارة الدنيا هو الموت. إن الالتفات إلى قضية الموت تفهّم الإنسان أن الحياة مرّة واقعا ولا تسمح لحلاوة الدنيا أن تأخذ مأخذها من قلب الإنسان. ولكن الأميال النفسانية والآمال الطويلة تعمي الإنسان عن مشاهدة عسر الحياة ومشاهدة الموت. لقد قال أمير المؤمنين(ع): «الْأَمَلُ حِجَابُ الْأَجَل»[عيون الحكم/ص٤٣] وكذلك قال(ع): «الْأَمَلُ سُلْطَانُ الشَّيَاطِينِ عَلَى قُلُوبِ الْغَافِلِين»[غررالحكم/الحديث١٨٥٣] وقد قال رسول الله(ص): «إنّ آدمَ قَبْلَ أن يُصيبَ الذَّنْبَ كانَ أجلُهُ بينَ عَيْنَيْهِ و أملُهُ خَلْفَهُ، فلمّا أصابَ الذَّنْبَ جَعَلَ اللهُ أملَهُ بينَ عَيْنَيْهِ وأجلَهُ خَلْفَهُ، فلا يَزالُ يُؤَمِّلُ حتّى يَمُوتَ»[ميزان الحكمة/الحديث٧٥٦]

## ١٤. مجمل حياة الإنسان عبارة عن: عسر + جهاد/ فلابد أن: ١. نعترف بمرارة الدنيا ٢. نضيف إلى مرارتها مرارة جهاد النفس

إن الأجل يمثل أحد أهم عناصر مرارة الدنيا، وهو ينغّص كل حلاوة الدنيا ولذائذها، فسلّم لهذه الحقيقة ولا تحاول مصارعتها. هذه هي حقيقة الدنيا فلا تخدع نفسك. ليس بإمكانك أن تخدع الدنيا فاعبر منها فإنك إن خضت في الدنيا وآمالها، تصطدم بأشواكها وسوف لا تجني منها إلا الخيبة والحسرة. فالحل هو أن تعبر من الدنيا فهيا تمتّع بهذا الطريق. الخطوة الأولى للالتذاذ والتمتع في الحياة الدنيا هو أن تعترف بأن الدنيا مرّة. بعد ذلك وبعد الاعتراف بمعاناة الحياة، لابدّ أن تخوض في معمعة أخرى وتوطن نفسك على مرارتها وهي ساحة جهاد النفس، فإن فعلت ذلك سوف تذوق حلاوة الحياة في هذه الدنيا قبل الآخرة. بهذا الأسلوب سوف تأتي الدنيا في قبضتك ويتسنّى لك أن تركب جَمَلها وتمسك بزمامها، لا أن تستحوذ عليك آمال الدنيا وأمانيها. إن تركنا الدنيا وأسقطناها من عيننا لما فيها من مرارات ومعاناة وجاهدنا أنفسنا، سوف يصل بنا الأمر إلى أن تأتينا الدنيا بنفسها وتعطينا زمام أمرها. فحصيلة الكلام هو هذا التعريف الموجز للحياة الدنيا، فهي عبارة عن: عسر وجهاد؛ العسر الذي تفرضه علينا الدنيا والجهاد الذي لابدّ لكل امرئ أن يمارسه مع أهوائه ونزعاته السطحيّة.

**والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته**



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١٠)

عليرضا بناهيان




الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ
المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فى مدينة طهران
الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١٠)

**إليك ملخص الجلسة العاشرة من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

لقد حاولنا في الجلسات الماضية أن نصل إلى برنامج لرشدنا وارتقائنا على أساس «واقع وجود الإنسان» يعني كيفية وجود الإنسان والغرض من خلقته، وكذلك على أساس «واقع الحياة الدنيا» وكيفية تصميمها. وقلنا إن المحور الرئيس في حركة وجود الإنسان هو «مخالفة أهواء النفس». فلابدّ للإنسان أن يتدرب على التضحية من البداية. لقد انطوى وجود الإنسان على رغبات مختلفة لا يمكن أن ينالها جميعا. وكذلك دنيانا هذه قد ملئت بالآلام والمحن وكثيرا ما تنغص حياة الإنسان. وحتى عندما تعطي الإنسان شيئا وتلبي رغبته في مورد ما، فإنما ذلك مقدمة لسلب ذاك الشيء وإذاقة مرارة الحرمان للإنسان. لم تصمّم الدنيا بهذا الشكل، بسبب زيادة قيمة المرارة على الحلا. ومن جانب آخر لا يلتذّ الله سبحانه بمعاناتنا، بل إن هذه المحن والمعاناة قد فرضت من أجل إنتاج القيمة المضافة وإحداث التغيير. إذ لابدّ ومن أجل إنتاج القيمة المضافة وإحداث التغيير أن ندع بعض ما نهواه ونشتهيه، وإلا فإن اتجهنا إلى ما نرغب، فلا أحدثنا تغييرا ولا أنتجنا قيمة مضافة.

## لماذا يجب التأكيد على العناء في هذا الدرب؟

إذا أردنا أن نزداد ثمنا وتكون حركتنا ذا قيمة وثمن على خلاف النباتات والحيوانات والملائكة، لابدّ أن تجذبنا رغبة إلى ما هو عكس اتجاه الله من جانب، وتجذبنا رغبة أخرى إلى الله من جانب آخر. كلما نخالف أهواءنا السطحية، فقد خطونا خطوة قيّمة إلى الله سبحانه. وبما أن هذه المخالفة سوف تحدث دائما في حياتنا، ولابدّ أن تحدث فإذن نحن في معاناة مستمرة في هذه الحياة الدنيا وفي حركتنا إلى الله سبحانه.

لماذا يجب أن نؤكد على العناء في هذا الدرب؟ لأن الإنسان ولشدّة حبّه للراحة والدعة واللذة، يزعم أنه سوف يصل إليها في هذه الدنيا، فيؤدي به هذا التوهّم إلى غير صواب. فمن أجل أن لا يقع الإنسان في هذا الفخّ، لابدّ أن يدخل عنصر العناء والألم في تفكيره ومنظومته الفكريّة. فلا يجب أن نتحدث عن فوائد الالتفات إلى موضوع العناء والتسليم للعناء وقبوله وحسب، بل لابد أن نأخذ بعين الاعتبار أضرار إهمال هذا الموضوع أيضا.

## ما هي أخطار عدم توطين النفس على المعاناة؟ ١. القعود عن درب الحق الحافل بالمعاناة في المراحل النهائية

إن لم يحلّ أحد لنفسه قضية المعاناة في الدنيا، ولم ينطلق في حركته من موضوع العناء ولم يصحبه في الطريق، فإنه حتى وإن كان إنسانا صالحا، يحتمل أن يكون صلاحه ظاهريا وحتى قد يصبح إنسانا خطرا. إن بعض المتدينين قد تحملوا العناء في ديانتهم وفي أداء طقوسهم الدينية، ولكنهم لم يوطّنوا أنفسهم على أصل العناء في الحياة الدنيا، فأصبحوا يتربّصون الأيّام ليحصلوا على الراحة في الدنيا ولو عن طريق الدين. لماذا وقف الخوارج أمام أمير المؤمنين(ع) مع أنهم كانوا قد قضوا حياتهم في تحمل عناء الزهد والعبادة؟! لأنهم لم يوطنوا أنفسهم على قبول أصل العناء، فما إن فرضت عليهم محنة جديدة من قبل أمير المؤمنين(ع)، لم يطيقوها وشهروا السلاح على أمير المؤمنين(ع). فإن لم يوطّن الإنسان نفسه على تحمل الصعاب والمعاناة في الدنيا بشكل عام، قد يعجز عن مواصلة الطريق في المراحل المتقدّمة. وكذلك نجد للمعاناة موقعا خاصّا في حياة النبيّ إبراهيم(ع)، فإنه قد عانا ما عانا من المحن والآلام حتى نال مقام النبوّة، وحتى بعد نبوّته لم يسلم من المحن والآلام. ثم تحمّل العناء والألم سنين حتى رزقه الله ولدا، ثم عانا في تربية ولده وبناء الكعبة مع ولده. ثم بعد كل هذا العناء الطويل، أمره الله أن يقدم ولده قربانا! فيا ترى إلى أين يصل الإنسان في تحمل العناء؟! فمن لم يوطّن نفسه على تحمل «أصل العناء» في الدنيا، يعيى عن المواصلة ويقعد عن الطريق في أواخر المطاف.

## لابدّ أن نعلم أن العناء مستمر معنا إلى آخر العمر

لماذا كل هذا التأكيد في الروايات على حسن العاقبة؟ إذ بقدر ما يعاني الإنسان من أجل الدين والعبادة يزداد خطر سقوطه. من اتقى ونهى نفسه عمرا طويلا، فإن لم يكن قد حلّ قضية المعاناة لنفسه، فهو في معرض الخطر أكثر من غيره، إذ يصبح مدّعيا ويشعر بأنه دائن وطالب بما قدمه من عناء، فإذا أراد الله أن يضيف إلى معاناته محنة أخرى، لم يعد يطيق ويعيى عن مواصلة الطريق. وما أكثر الذين قعدوا عن الطريق وارتدوا عن درب المعاناة في سبيل الله. إن بعض الناس وبعد مدة من المعاناة في سبيل الله يسأم من العناء. فمن هذا المنطلق، أحد أسباب ضرورة الاهتمام بموضوع المعاناة، هو أن لا تملّ من المعاناة لطولها واستمرارها، فإنك إن لم توطّن نفسك على استمرار المعاناة في الدنيا قد تعجز عن المداومة وترجع عن الطريق. لقد قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَ مِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)[الأحزاب/٢٣]. فتدلّ هذه الآية على أن منتظري الشهادة هم في مرتبة الشهداء، إذ قد استقاموا على نهج الشهداء إلى آخر حياتهم. فالمهمّ هو الاستقامة حتى الموت، إذ أن القيمة التي قد أعطاها الله لفئة من المؤمنين ليست بسبب استشهادهم، بل بسبب بقائهم على العهد؛ فمنهم من قضى نحبه أي استشهد ومنهم من ينتظر. لماذا أفرز الله هؤلاء المؤمنين عن غيرهم في هذه الآية؟ لأن ليس كل المؤمنين مستقيمين على طريقهم وليس كلهم يطيقون معاناة هذا الدرب حتى نهايته. حتى أن كثيرا من المجاهدين في صدر الإسلام قد انحرفوا عن الطريق بعد طول جهادهم بين يدي رسول الله(ص)، إذ قد يسأم الإنسان المعاناة في سبيل الله بعد مدة، ولعله يشعر بالطلب من الله. فيقول: «إلى متى نعاني من المحن والمشاكل؟ فهل عملنا قبيحا إذ اتقينا الله وسلكنا سبيل دينه وجاهدنا في سبيله؟ ثم بعد كل ذلك لابدّ أن نعاني مرة أخرى؟!»

بعد أن عانا الإنسان من محنة، لابدّ أن يجرّب محنة على مستوى أعلى. إن عالم المعاناة والمحن في هذه الدنيا يشبه مراحل العلاج الطبيعي، إذ أن العلاج الطبيعي لا يؤلم كثيرا في بادئ الأمر، وتظهر آلامه الشديدة في المراحل النهائية. وهكذا سبيل الدين، إذ لا يعاني الإنسان كثيرا في أوائل الطريق. إذا أراد الله سبحانه أن يحصي المسلّمين لقضائه لا ينظر إلى الناس ليرى من المسلّم، بل يمتحن الناس على الدوام ويبتليهم بأنواع الشدائد والمحن ليرى هل قد سلّموا واقعا أم لا؟ حتى أن الإمام الحسين(ع) في آخر لحظات حياته وفي حفرة المذبح ناجى ربه وعبر أنه ما زال مسلّما: «إلهي... تسليما لأمرك»، ويا ترى هل بقيت مصيبة لم ينزلها الله على الإمام الحسين(ع)؟

## ما هي أخطار عدم توطين النفس على المعاناة؟ ٢. عدم القفز من الموانع والمرور من جنبها طلبا للراحة

الدليل الثاني على ضرورة توطين النفس على المعاناة، هو أنه إن لم يوطن الإنسان نفسه على تحمل المعاناة، عند ذلك بدلا من أن يقفز من الموانع، يمرّ من جنبها بلا مغامرة ومن وحي طلب الرّاحة. إن بعض المسلمين قد عاشوا تحت ظل الإسلام عمرا طويلا ولكنّهم عملوا بالإسلام بدهاء وشيطنة، إذ كلما اقتضى دينهم شيئا من المحنة والمعاناة، التفّوا حولها ومرّوا منها كراما. يعني أنهم قد انتقوا من الدين ما طاب لهم ولم يصطدم براحتهم، أما إن أراد الله منهم أن يجاهدوا أنفسهم ليعانوا في هذا الدرب، تركوا ما أراد الله ومرّوا منه. فإننا إن نمرّ من جانب الموانع بلا معاناة بدلا من أن نقفز عليها، لكي نريح أنفسنا من عناء جهاد النفس، فقد أعدمنا فرص رشدنا في الواقع.

## إن بعض الناس يلتزم بالدين ما لم يطالبه بمخاطرة أو مغامرة

إن بعض الناس غير مستعدين على المخاطرة والمغامرة في الدين، ولهذا فإنهم لا يتخذون موقفا يلامون أو يهانون به، وبعبارة أخرى إنهم مواظبون على أن لا يواجهون مشكلة أو مصيبة في ديانتهم. طبعا لابد أن نعلم أن الله يبتلي الناس ويمتحنهم بحسب قابليتهم. وعلى أي حال إذا كان الإنسان قد وطن نفسه على تحمل العناء في الحياة الدنيا لن يتورط بهذا النمط من التديّن.

كان محمـد بـن مسـلم إنسـانا محترمـا وثريّـا. ذات يـوم قـال الإمـام الباقـر لـه: تواضـع، فقبـل هـذا الرجـل نصيحـة الإمـام. لعلـه بـدأ يفكـر ويبحـث عـن ثغـرات دينـه التـي جعلـت الإمـام يشـير عليـه بالتواضـع. ولعلّـه خـرج بنتيجـة أنـه مـا زال لم يقلـع الكـبر مـن قلبـه، وأن لابـدّ مـن وجـود مانـع وإلا لـكان المفـترض أن تصلـح صلاتـه كلّ الـشيء. رجـع إلى الكوفـة وأخـذ سـلة مـن تمـر وميزانـا وجلـس عـلى بـاب المسـجد وبـدأ يبيـع التمـر بصـوت عـال. فجـاءه قومـه وأبنـاء عشـيرته وقالـوا لـه: لقـد أخزيتنـا وشـوّهت سـمعتنا، فـما هـذا العمـل؟... عـن أبـى النَّـصرِ: «سَـألتُ عبـدَ اللـهِ بـنَ محمّـدِ بـنِ خالـدٍ عَـن محمّـدِ بـنِ مُسـلمٍ فقـالَ : كانَ رجُـلاً شَريفـا مُـوسِرا ، فقـالَ لَـهُ أبـو جعفـرٍ عليـه السـلام : تَواضَـعْ يـا مُحمّـدُ، فلَـمّا انـصَرَفَ إلَى الكوفَـةِ أخَـذَ قَـوصَرَةً مِـن تَمـرٍ مَـع المِيـزانِ ، و جَلَـسَ عـلى بـابِ مَسـجِدِ الجامِـعِ و صـارَ يُنـادى علَيـهِ، فأتـاهُ قَومُـهُ فقالـوا لَـهُ : فَضَحتَنـا! فقـالَ : إنّ مَـولاى أمَرَنـى بأمـرٍ فلَـن أُخالِفَـهُ ، و لَـن أبـرَحَ حتّـى أفـرَغَ مِـن بَيـعِ مـا فـى هـذهِ القَـوصَرةِ . فقـالَ لَـهُ قَومُـهُ : إذا أبَيـتَ إلاّ أن تَشـتَغِلَ بِبَيـعٍ و شِراءٍ فاقعُـدْ فـى الطَّحّانِيـنَ ، فهَيّـأَ رَحـىً و جَمَـلاً و جَعـلَ يَطحَـنُ» [الاختصـاص/٥١].

## إن ديانة الإنسان الفارّ من المعاناة ديانة بلا فائدة

إنّـك إن لم تحـل قضيـة المعانـاة لنفسـك، قـد تكـون متديّنـا ولكـن يفـرغ دينـك مـن مضمونـه وأثـره في ترقيتـك. فيـا تـرى مـا كنـا نفعـل لـو كنـا في مقـام محمـد بـن مسـلم وكنّـا قـد واجهنـا الإمـام بهـذه النصيحـة؟ لعلنـا كنـا نقـول: نعـم، لابـدّ مـن التواضـع. وحسـبنا مـن التواضـع هـو هـذه الابتسـامة التـي نوزعهـا عـلى النـاس. وهـذا يعنـي المـرور مـن جانـب المانـع وعـدم القفـز منـه. طبعـا وبالتأكيـد ليـس طريـق التواضـع هـو ممارسـة الأعـمال الرديئـة دائمـا ولا أريـد أن أنصحكـم بممارسـة هـذه الأعـمال، إذ يختلـف دواء النـاس باختـلاف دائهـم فـكلٌ بحسـبه. ولكـن حاولـوا أن لا تفـروا مـن المحـن والابتـلاءات التـي يقدرهـا اللـه لكـم ولا تلتفـوا حـول ابتلاءاتكـم. إن اللـه يمتحـن مختلـف النـاس بمختلـف الابتـلاءات والمصائـب فلابـدّ أن توطّـن نفسـك عـلى البـلاء والعنـاء. وكذلـك لابـد أن توطّـن نفسـك عـلى معانـاة سـحق الهـوى والشـهوات. رضـوان اللـه عـلى الشـهيد شـمران إذ كان قـد وعـى حقيقـة المعانـاة بـكل وجـوده ورحـب صـدره لأنـواع البـلاء. لقـد جـاء في كتاباتـه:

«أنا أعتقد أن الله العظيم يثيب الإنسان بقدر المعاناة التي عاشها في سبيله، وأن قيمة كل إنسان بقدر ما تجرعه من ألم وعناء في هذا السبيل وأرى أن أولياء الله قد ابتلوا بالبلاء والألم والمحنة في حياتهم أكثر من أي أحد». ثم كتب هذا الشهيد العظيم مخاطبا ربه: «إلهي أشكرك إذ عرفتني على الفقر لكي أعيش ألم الجائعين وأشعر بمحنة المحتاجين. إلهي أشكرك إذ قد صببت عليّ أمطار التهم والشتم والافتراءات لكي أغرق في عواصف الظلم والجهل والتهمة الموحشة، وينمحي صوتي المنادي بالحق أمام زئير طوفان الأعداء وعواصفهم، فيحتضنني الألم والبلاء ويفتح عليّ نوافذ فطرتي حتى أشعر بمعاناة عليّ(ع) بأعماق روحي».

## أحد الآلام التي يفرضها الله عل الناس هو الموت

أحد الآلام التي فرضها الله علينا هو الموت. فيا ترى لماذا قد أحاط الله الموت بهالة من الشدّة والوحشة والدهشة بحيث يهدم ذكره جميع اللذات؟! لأنه أراد أن تعيش مع ذكر الموت في حياتك كلّها ولا تنساه. لقد قدّم الله تعالى الموت على الحياة وقال: (الَّذي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَياة) [الملك/٢] فكأن الله قد خلق الموت قبل خلق الحياة، وكأنه قد قدّر للناس الموت قبل أن يقدّر لهم الحياة. إن ذكر الموت يمثّل أحد أهم الأساليب التربويّة في الإسلام كما قال رسول الله(ص): «كفَى بِالمَوتِ واعِظاً»[الكافي/ج٢/ص٢٧٥] فلا تنسوا الموت وتجرعوا مرارة ذكره، فإن كثيرا من الروايات قد دعتنا إلى هذا الأسلوب التربوي وهو هدم اللذات عبر ذكر الموت وتجرع مرارة ذكره. فهل قد رأيت من يلاقي حتفه أمامك؟ وكم قد شيعت من إخوانك وأنزلت جسدهم في القبر؟ ويا ترى لماذا كل هذا التأكيد على ذكر الموت في رواياتنا؟ وكم له من تأثير إيجابي على النفوس؟ ولماذا جاء هذا التأثير؟ استمعوا هذه الرواية الرائعة المروية عن الإمام الصادق(ع) وتأملوا فيها. قال(ع): «ذِكْرُ الْمَوْتِ يُمِيتُ الشَّهَوَاتِ فِی النَّفْسِ وَ يَقْطَعُ مَنَابِتَ الْغَفْلَةِ وَ يُقَوِّی الْقَلْبَ بِمَوَاعِدِ اللَّهِ تَعَالَى وَ يُرِقُّ الطَّبْعَ وَ يَكْسِرُ أَعْلَامَ الْهَوَى وَ يُطْفِئُ نَارَ الْحِرْصِ وَ يُحَقِّرُ الدُّنْيَا وَ هُوَ مَعْنَى مَا قَالَ النَّبِيُّ ص فِكْرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ وَ ذَلِكَ عِنْدَ مَا تَحُلُّ أَطْنَابَ خِيَامِ الدُّنْيَا وَ تَشُدُّهَا بِالْآخِرَةِ وَ لَا يَسْكُنُ نُزُولُ الرَّحْمَةِ عِنْدَ ذِكْرِ الْمَوْتِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَ مَنْ لَا يَعْتَبِرُ بِالْمَوْتِ وَ قِلَّةِ حِيلَتِهِ وَ كَثْرَةِ عَجْزِهِ وَ طُولِ مُقَامِهِ فِی الْقَبْرِ وَ تَحَيُّرِهِ فِی الْقِيَامَةِ فَلَا خَيْرَ فِيهِ»[مصباح الشّريعة/١٧١].

## من آثار ذكر الموت رقة الطبع/نصيحة للفنّانين

إن الفنانين معروفين برقّة الطبع، وقد أعطت هذه الرواية وصفة لرقة الطبع وهي ذكر الموت. فإذا أراد فنان أن يزداد طبعه رقّة عليه أن يكثر من ذكر الموت ويقضي بعض وقته في المقابر! هذه نصيحة صادقة وصريحة جدّا للفنانين. كان المجاهدون في الجبهة يذكرون الموت كثيرا، حتى كانوا يحفرون قبرا لهم في الصحراء ويتعبدون فيه في جوف الليل، كانوا يسجدون فيه وينامون فيه ويبكون فيه. ثم كانوا يرجعون من قبرهم وكأنهم وردة من شدة لطافتهم ورقّتهم. فإذا سالتني: من أين حصل على هذه الرقة واللطافة، أقول: قد أخذها من ذلك القبر الذي بات فيه يبكي إلى الصباح. إن كنت ترى أحدهم لرأيته رؤوفا بالجميع ومتفائل بالخير وله جميع الصفات والحسنات التي تبحث عنها أنت. لقد حظى بجميع تلك الخصال الرائعة حتى بلغ درجة تصدير الصفات والتأثير على غيره. وقد نال كل ذلك بذكر الموت وتجسيم الموت. فانظر إلى أثر ذكر الموت التربوي على النفوس وهو أحد مصاديق الألم والعناء في هذه الدنيا. فإن أردت أن تطوّر نفسك بمعزل عن هذا المنهج تضيع في متاهات.

**والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته**



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١١)


علي‌رضا بناهيان





**الزمان: شهر رمضان المبارک عام ١٤٣٤هـ**
**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فی مدينة طهران**
**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١١)**

**إليك ملخص الجلسة الحادية عشر من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

## لا أصالة للعناء ولكنه ضروري لجهاد النفس وإنتاج القيمة المضافة

إن طريق حركتنا الرئيس على أساس خصائص الإنسان والحياة، هو جهاد النفس. فإنّكم عندما تسيرون في درب الدين والكمال والأعمال الصالحة، طريقكم الرئيس هو مخالفة الأهواء بطبيعة حال الحياة وبمقتضى خصائص الإنسان. إن مخالفة الأهواء والرغبات سواء أكانت عبر الأوامر والتكليف أم كانت عبر الفرض والتقدير فهي ما نسميه بالعناء. وهو ما لا تخلو حياتنا منه وإن لم تخل من النّعم واليسر أيضا. إن طريقنا هو طريق جهاد النفس ولا أصالة للعناء، ولكنّه أمر لابدّ منه في عمليّة جهاد النفس. لا يخفى أن العناء الذي يحصل عبر جهاد النفس من خلال البرنامج الإلهي يختلف عن كثير من المعاناة الأخرى، وبودّي أن أسلّط الضوء في هذه الجلسة على هذا الموضوع. لا أصالة للعناء، ولكنّنا قد خلقنا من أجل إنتاج القيمة المضافة وهذا ما يحتاج إلى جهاد النفس، وجهاد النفس لا ينفك عن العناء.

## عادة ما يصطدم الإنسان بمشاكله دون نعمه، فلابد أن يحدّد موقفه تجاه العناء

من بين التكاليف الإلهية قد ينسجم هوانا مع بعض الأوامر والنواهي ولكن الأساس في الأوامر والأعمال الصالحة التي لها دور رئيس في رشدنا هي تلك الأعمال التي لا تنسجم مع هوانا. كما أن العامل الحاسم في تعيين مقامنا من الله سبحانه وتعالى هو الصبر والرضا في المعاناة التي نعيشها في حياتنا، وليس ساعات الراحة واللذة في حياتنا. طبعا لا شك في أن المسرات واللذات طبيعية ولا تخلو منها الحياة ويجب أداء شكرها في المقابل، ولكن أساس العمل الصالح هو المعاناة في سبيل الله. لماذا؟ من جانب يقول الإمام الصادق(ع): «جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ يَنْفَعُهَا وَ بُغْضِ مَنْ أَضَرَّ بِهَا»[الكافي/ج٨/ص١٥٢]. ومن جانب آخر، من طبائع الإنسان هي أنه ينسى مئات النعم، ولكنه يجعل الألم الصغير وقصير الأمد نصب عينيه.

وعليه فإذا منّ الله على الإنسان بمئات النعم ووسائل اليسر، ويبتلى معها بعلّة واحدة، يلتفت عن كل نعمه ومسراته إلى تلك العلّة الواحدة. ولهذا فإن خلي الإنسان مع ربّه ليصارحه عن ما في قلبه، قد يضع كل نعمه ودواعي يسره إلى جانب ويعاتب الله لعلة واحدة أو مصيبة واحدة أصابه بها في حياته! بعبارة أخرى، عادة ما يصطدم الإنسان بمصائبه ويلتفت إليها دون النّعم، ولهذا ومن أجل أن يقدر على السير في هذا الدرب بنجاح، لابدّ في بداية الأمر أن يحدّد موقفه تجاه العناء. فإن كانت نفسك تبحث عن مفرّ من العناء في هذه الدنيا، فهذا وهم باطل وإنك مخطئ في حساباتك. فلابدّ أن نخاطب نفسنا الفارة من العناء ونقول لها بصراحة: إن الحياة غير منفكة عن المعاناة، وإن السّلوك نحو الله سبحانه وتعالى هو صعود وتسلّق عبر طريق مرتفع صعب، وليس بطريق معبد منحدر.

## لا نفرّ من الدين بغية الفرار من معاناة التكليف والتقدير فلا فائدة منه

إن طريقنا الرئيس هو جهاد النفس، وأهم قضية تواجهنا في مسار هذا الجهاد هو العناء. فلابدّ أن نحدد موقفنا تجاه العناء ونقبل بوجود أصل العناء ونوطن أنفسنا على مواجهة مختلف المعاناة ولا نفرّ من الدين بغية الفرار من المعاناة إذ لا فائدة منه. ولابد أن نعلم أن جميع الناس يعانون من مشاكل. فإن وجدنا أحدا يبتسم ولم تبد على ملامحه غبار المصائب فليس ذلك لقلّة معاناته، بل بسبب أنه أكثر صبرا ولعله يسعى لحفظ الظاهر أو أنه إنسان عاقل وفاهم. على أي حال لابدّ لنا أن نحدّد موقفنا تجاه العناء. لا ينبغي أن ننسى الآلام والمعاناة بل يجب أن نشاهدها بعين مفتوحة، وإلا تخرب عمليّة جهاد النفس ونتهرّب عن المعاناة التكليفية والتقديرية. ثم إن هذا التهرّب لا يرتبط في أكثر الأحيان بقلّة الإيمان. فعندما يواجه الإنسان بعض الناس ممن لم يلتزم بالدين جيدا، قد يقول له: «كن مؤمنا» في حين أنه مؤمن بالفعل ولكنه ليس من أهل تحمّل العناء. إنه مؤمن ولكن قد أخبروه بخبر كاذب فتوّهم أن يوجد مجال في هذه الدنيا لا عناء فيه وهناك طريق مفرّ منه.

## إن لم نتعامل مع العناء بالشكل الصحيح، تزدد معاناتنا في الحياة

إن لم نتعامل مع العناء بشكل صحيح، تزدد معاناتنا في الحياة. وقد أشارت روايات كثيرة إلى هذه الحقيقة. روي عن أمير المؤمنين(ع) أنه قال: الجَزَعُ أتْعَبُ مِن الصَّبرِ[غرر الحكم/٥٦٢٠] وقال(ع): «الجَزَعُ عندَ المُصيبَةِ يَزيدُها، و الصّبرُ عليها يُبيدُها»[غررالحكم/٢٠٤٣] وقال(ع) في رواية أخرى: «لا تَجْزَعوا مِن قليلِ ما أكْرَهَكُم، فيُوقِعَكُم ذلكَ فى كثيرٍ مِمّا تَكْرَهونَ»[غررالحكم/٥٦٣٨] وكذلك روي عن الإمام الكاظم(ع) أنه قال: «المُصيبَةُ للصّابرِ واحدَةٌ ، و للجازعِ اثْنَتانِ»[تحف العقول/٤١٤].

## إن لم نتعامل مع العناء بشكل صحيح، لم نشكر النعم

إن لم نتعامل مع العناء بشكل صحيح، تتبلور مشكلة أخرى وهي أننا سوف لا نشكر النعم. إن الله سبحانه يعلم أننا أناس نسلّط الضوء على مصيبة واحدة وننشغل بها عن مشاهدة آلاف النعم، ولكنه مع ذلك يستنكر علينا هذا السلوك أن لماذا لا تلتفتون إلى النّعم! (أَ لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً)[اللقمان/٢٠] ولكن لا يقدر أحد على مشاهدة النعم جيدا إلا أن يكون قد وطّن نفسه على المعاناة في الحياة الدنيا، فمثل هذا يقدر على مشاهدة النعم. وإلا فما إن نبّهت أحدا على نعمة من أنعم الله، يلتفت عنها إلى إحدى مصائبه، فتعمى عينه عن مشاهدة أنعم الله. فمثل هذا الإنسان عاجز عن مشاهدة نعمة الله ورأفته ورحمته وكرمه. أخي العزيز! أكرّر مرة أخرى أن العناء الذي نتحدث عنه لا أصالة له ولكنه أمر لابدّ منه لإنتاج القيمة المضافة التي لا تتمّ إلا عبر جهاد النفس، وجهاد النفس مصحوب بالعناء غير منفكّ عنه. فاقبل هذه الحقيقة لتصبح الدنيا جنة لك. فإنك إن رأيت إلى المعاناة كقاعدة لابدّ منها في هذه الحياة عندئذ تقف حائرا من جمال الدنيا ومغتبطا من كثرة الفرص التي يعطيها الله لعباده ومدى رأفته وكثرة نعمائه.

إنك ما لم توطّن نفسك على المعاناة وما لم تحل لنفسك قضية العناء وما لم تعجن هذه المسألة لنفسك لن ترى أنعم الله سبحانه. فانظر كم قد أراحك الله في الدنيا من آلامها وأعطاك الفرص فيها. صحيح أن العسر من قواعد هذه الدنيا ولكن بتأكيد مؤكّد يقول الله لكم: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسرِ يُسراً * إِنَّ مَعَ الْعُسرِ يسراً)[الانشراح/٥ـ٦]. تمرّنوا أيها الإخوة على مشاهدة النعم الإلهية وعلى رؤية الفرص والمُهَل وعلى مشاهدة رأفة الله وتنازله عن فرض كثير من المحن. إنه إله عظيم وهو الذي يكشف عنا السوء والبلاء على رغم قواعد هذه الدنيا، فكأنه يرقّ قلبه علينا فلا يسمح للبلايا والمصائب أن تنهال علينا بتمامها.

## متى يمتلئ قلبنا بمشاعر الشكر لله؟

لعلكم تقولون: لقد أرعبتنا في الليالي الماضية بحديثك عن المعاناة، وإذا بك الآن تقول: إن الله لا يرضى بفرض كثير من العناء علينا! فأقول لكم: إن تعجنوا قضية العناء في قلوبكم جيدا، سوف تمتلئ أدعيتكم ومناجاتكم بشعور الشكر لله. وسوف لا ترون سوى لطف الله عليكم ورأفته بكم. فإن تنظروا إلى هذه الأبحاث جيّدا، تجدوا أنها تفتح علينا خير أبواب الجنان. إنّ فهم الشكر منوط بفهم قاعدة العناء والمحن في هذه الدنيا وأن القرار هو أن نُبتلى بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، ثم نجد أن حياتنا لم تكن بهذه الصعوبة والعناء، وقد منّ الله علينا بأنعم جمّة وأنه قد صحب العسر بكثير من اليسر. وهذه المشاهدة تملأ قلوبنا شعورا بالشكر والامتنان لله عز وجل.

## لقد خفف الله علينا المعاناة «التقديرية» و«التكليفية»

إن مقتضى قاعدة الدنيا هي أن نصاب فيها بآلام ومحن كثيرة، ولكن الله قد خفف علينا المعاناة في كلا النوعين منها: ١ـ في ما يرتبط بعالم التكوين والتقدير، قال الله سبحانه وتعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسرِ يُسراً) فقد صحب الله العسر المقدَّر لنا باليسر.

٢ـ وكذلك في التكاليف أيضا لا يريد الله أن يشقّ علينا بل أراد أن يخفّف علينا عناء التكليف. ولهذا بعد ما يأمرنا بتكليف صيام شهر رمضان، يُعفي من كان مريضا أو على سفر ثم يقول: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكمُ الْيُسرَ وَ لا يُرِيدُ بِكمُ الْعُسرَ)[البقرة/١٨٥] يعني يريد الله أن يتساهل معكم، لا أن يشقّ عليكم ومن هذا المنطلق قد أعفا المسافر عن الصيام. فقد عبّر الله عن سبب الإعفاء كقاعدة عامّة، ولم يكن في مقام التوجيه أو استغلال الفرصة للدعاية! فإن لم يرَ أحد هذا اللطف والإحسان من قبل الله، فذلك بسبب أنه لم يحلّ قضية العناء لنفسه ولم يوطّن نفسه على تحمل العناء. وفي مقام آخر، بعد ما يأمر الله بالوضوء قبل الصلاة، يخفف على من تعذر أو صعب عليه الوضوء فيقول: (وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلى سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعيداً طَيِّبا)[المائدة/٦] بعد ذلك يعلل هذا التساهل ويقول: (ما يُريدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لكِنْ يُريدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [المائدة/٦]

## إن ضجرتُ من المعاناة ولم أشكر النعم فإنني أعبد هواي ولا أعبد الله

من لم يكن من متحملي الصعاب والمعاناة، فإنه في الواقع إنسان أنانيّ، ولم يعبد الله بعد. لابدّ أن يبتلينا الله بمختلف المصائب ويفرض علينا المعاناة لتزول نزعة «الأنا» من قلوبنا ويحل محلها «الله». ما هي رؤيتنا عن عبادة الله؟ وأي شعور هي؟ لا يمكن أن يكون الإنسان موحّدا ومشركا في نفس الوقت، بحيث يعبد الله ويعبد نفسه. لابدّ أن تموت «أنا» الإنسان لتحلّ محلها عبادة الله. وإنّ هذا الشرك الذي نتحدث عنه هو الشرك الخفي الذي لا يرى بسهولة كما روي عن رسول الله(ص): «الشِّرْكُ فِي أُمَّتِي أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاء»[عوالي اللئالئ/ج٢/ص٧٤]. فإن ضجرتُ من المعاناة ولم أشكر النعم فإنني أعبد هواي ولا أعبد الله.

## إن لم تكن أنانيّا ووطنت نفسك على العناء، سوف ترى رحمة الله ورأفته خلف المحن التي فرضها عليك

إن لم تكن قد وطّنت نفسك على المعاناة، لا ترى رحمة الله ورأفته، وكذلك لا ترى إمهالاته ونعمه. هل قد رأيتم دموع عين الأمّ عندما يحقن الطبيب طفلها؟ صحيح أن الطفل يتألم بالإبرة ولكنها نافعة له. ومع أن الأم تعلم مدى ضرورة هذه الإبرة لعلاج طفلها ولكنها لا تتحمل صراخ الطفل وتبكي لبكاء طفلها. فإن لم ير الطفل سوى وجعه ولم ير دموع أمه، قد لا يشعر بحنان أمّه وحتى قد يتهجّم عليها إذ قد ألقته بيد الطبيب. فإن لم تكن أنانيّا ترى رأفة الله وشفقته الخاصة خلف المحن التي فرضها عليك. كذلك ترى رحمة الله في ذروة جوعك وعطشك أثناء الصيّام. فما روي أنه: «لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدِی مِنْ رِيحِ الْمِسْکِ»[من لا يحضره الفقيه/ج٢/ص٧٦] فهو في الواقع يحكي عن رأفة الله وشفقته. فإن استطعت أن تنظر إلى عين الله المشفقة أثناء معاناة صومك، عند ذلك تودّ لو كان شهر رمضان في الصيف كلّ عام.

## إن طريق «إدراك رأفة الله» هو أن تعرف أنك قد جئت إلى الدنيا للعناء، ولكن الله قد خفف عليك

إسألوا الله في ليالي شهر رمضان أن تصبحوا شاكرين. إن الله رؤوف رحيم، أما طريق إدراك رحمة الله، هو نفس الطريق الذي ذكرناه في مجال إدراك الصعاب والمعاناة. وهو أن يعرف الإنسان بأنه قد جاء إلى الدنيا لتحمل العناء ولكن الله قد خفّف عليه. يقول الله سبحانه وتعالى: (لقد خلقنا الإنسان في كبد) فاسأله وقل: «أين هذا الكبد يا رب؟! وأين هذا العناء الشديد الذي تحدثت عنه؟! إذ قد أحطت حياتنا بالنعم والخيرات.» وإنك لا تستطيع أن تخاطب ربك بهذه الكلمات إلا بعد أن عجنت قضية العناء لنفسك.

## كيف نكسب الأجر في المحن والصعاب؟

بإمكاننا أن نكسب الأجر بأدنى عناء نتحمله في هذه الدنيا. فعلى سبيل المثال نحن نحب الكد والسعي في سبيل الله، ولكننا نتعب ونحتاج إلى النوم، وهذا ما يؤلم الإنسان ولهذا يعوّض الله عنه. فمن هذا المنطلق من ينظر إلى النوم كمانع بينه وبين العمل في سبيل الله ويتألم منه يؤجر ويثاب. وقد ذكرت روايات عديدة أن الحمى والمرض كفارة الذنوب. فعلى سبيل المثال يقول الإمام الصادق(ع): «حُمَّى لَيْلَةٍ كَفَّارَةٌ لِمَا قَبْلَهَا وَ لِمَا بَعْدَهَا»[ثواب الأعمال/ص١٩٣] وقال رسول الله(ص): «السُّقْمُ يَمْحُو الذُّنُوبَ»[مستدرک الوسائل/ج٢/ص٦٥]. انظروا إلى رأفة الله إذ كم يعطينا من الثواب بأدنى ألم ومرض. إنه رؤوف رحيم فإن قدر لنا بعض المعاناة في هذه الدنيا، يعوض عنها بمختلف الأساليب. وأحيانا يقدر الله بلاء لينزل على عبده، ولكنه يبحث عن ذريعة لصرف البلاء عنه. ولهذا ما إن تدعو الله أو تعمل عملا صالحا يصرف عنك البلاء. كما روي عن الإمام الصادق(ع): «مَنْ قَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ سَبْعِينَ مَرَّةً صَرَفَ عَنْهُ سَبْعِينَ نَوْعاً مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ»[الكافي/ج٢/ص٥٢١] وروي عن رسول الله(ص) أنه قال: «مَنْ صَامَ سِتَّةَ أَيَّامٍ مِنْ شَعْبَانَ صُرِفَ عَنْهُ سَبْعُونَ لَوْناً مِنَ الْبَلَاءِ»[أمالي الصدوق/ص٢٣]

## إن محن الدنيا كالمعاناة في الحلم، فلا تبال بها كثيرا

إن الابتلاءات والمعاناة التي نقاسيها في هذه الدنيا عابرة وسرعان ما تنتهي. فإياكم أن تضجروا منها فإنها تمرّ كلحظة العين. إن هذه المعاناة التي تعيشونها في حياتكم هي أشبه شيء بالمحن التي ترونها في الحلم. فإن شاهدتم في منامكم حلما مرعبا، بمجرد أن تستيقظوا من منامكم، تبتسمون وتتنفسون الصعداء، إذ كل تلك المحن كانت حلما. وكذلك عندما تفارقون الدنيا سوف تقولون: «لقد مرت عليّ محن الدنيا وآلامها كالحلم، ولكن كم كنت أحملها على محمل الجدّ». لقد روي عن أمير المؤمنين(ع) حيث قال: «النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا»[عيون الحكم والمواعظ/ص٦٦]

## اخضع للعناء لكي لا تراه/ اخضع للعناء لكي ترى الرخاء

اخضع للعناء لكي لا تراه. اخضع للعناء لكي ترى الرخاء والسراء. إن جمال خلق الإنسان مرهون بمعاناته، فاخضع لهذه القاعدة واقبل بأنك قد خلقت للعناء، عند ذلك سوف ترى أن المحن والابتلاءات تزول من أمام عينك بالرغم من وجودها. فإن تبدّل زاوية رؤيتك سوف تقول: «كانت حياتي كلّها هناء وسعادة، فلماذا لم أكن راضيا عنها!» فاخضع لقاعدة العناء لكي لا تعميك المصائب. وارضَ بالبلايا واستعدّ لها.

### انظر إلى من هو أشدّ حالا منك

إن أحد أساليب التعامل مع المعاناة هو أن تنظر إلى من هو أشدّ معاناة منك، وترى ظروفه الصعبة. ثم خاطب ربك وقل: «إلهي اغفر لي أنانيّتي». فإن من يعبد أهواءه ليس بإنسان متعادل وكثيرا ما يفرط في سلوكه. (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ)[الجاثية/٢٣] من يتبع أهواءه يصبح إنانيا وينجر إلى الإفراط. فعندما يمنع الله سبحانه النبيَّ عن اتباع من يتبع هواه يشير إلى إفراطه؛ (وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَ اتَّبَعَ هَواهُ وَ كانَ أَمْرُهُ فُرُطاً)[الكهف/٢٨] ما معنى عبادة الله؟ وما هو الشعور الذي تصحبه عبادة الله؟ وما معنى كلمة «أعبدك»؟ إن معنى عبارة «أعبدك» أقوى وأشدّ من معنى عبارات من قبيل «أفديك بنفسي» أو «أحبك» أو «أعشقك». هل تعلمون من الذي يعبد الله؟ كان النبي الأعظم(ص) يعبد الله إذ لم يكن يرى نفسه. أما من يرى نفسه ويهوى نفسه فإنه يعبد نفسه دون الله. فتمرّن أخي العزيز لتصل إلى درجة عبادة الله وتمتّع بعد ذلك بأحلى وأمتع لذات العالم. وسرّ ذلك والخطوة الأولى في حلّ هذه المسألة هو الخضوع للعناء. فإن أردت أن تشعر بالعبادة إقلع «الأنا» من قلبك.

## إن خضعت للعناء، تقلّ، وإن هربت منها تتفاقم

إن خضعت للعناء، تقلّ معاناتك. وإن هربت منها تتفاقم آلامك. فإنك إن ترضَ بالمعاناة، يغيّر الله قوانينه ومقدراته، ويرسل مخففات المحن إليك من كل حدب وصوب. ويرسل جميع ملائكته إليك ليعتذروا منك. فارض بالعناء واخضع للمصائب لتقلّ وتخفّ، كما إن فعلت ذلك سوف تزداد شكرا. وهل تعلم إلى أين تصل في رضاك؟ إلى أن تستقل معاناتك جميعا، فتخاطب الله وتقول له يا إلهي! أنا راض عن كل ما قدرته لي فلا تحزن لمعاناتي فإني راض عن حياتي ومغتبط بها. سلام الله على أبي عبد الله الحسين(ع) إذ بعد ما جرعه الله أشد أنواع البلاء، وأثناء ما كان ساقطا في حفرة المقتل أخذ يخاطب ربه ويقول له: إلهي رضا بقضائك. فلعله أراد أن يقول لله: إلهي لا تتصور أنا منزعج مما قدرت لي فأنا راض عن كل شيء. إنكم لو تعلمون ماذا يحدث في السماء وما يكتب الله لكم من أجر عند مصائبكم ومعاناتكم وعطشكم وجوعكم في سبيل الله، لناجيتم الله كل حين وكل يوم لتعبّروا عن رضاكم عن كل ما يقدّره لكم. ولهذا بعد ما تجرعت العقيلة زينب أشدّ المصائب في يوم العاشر من المحرّم، أرادت أن تعبّر عن رضاها عما جرى عليها من قبل الله، فباشرت بصلاة الليل كعادتها في كل ليلة، وكأن لم يحدث شيء، فبدت تستغفر ربها وتقول: «العفو العفو العفو» وتطلب من الله أن يغفر لها كما هو الحال في كل ليلة.

### ألا لعنة الله على القوم الظالمين



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة
# في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١٢)

علي‌رضا بناهيان




**الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ**
**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فی مدينة طهران**
**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة**
**في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١٢)**

**إليك ملخص الجلسة النانية عشر من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

## ما هي فوائد الالتفات إلى العناء في حياة الإنسان

نحن في الجلسات الثمان الأولى، سلّطنا الضوء على بعض الأصول التي أخذت بإيدينا إلى طريق جهاد النفس بصفته «الطريق الوحيد». وهي تلك الأدلّة والكلام الذي أقنعنا على ضرورة التحدث عن العناء وجهاد النفس، إذ أنه يطابق طبيعة حياتنا وينسجم مع طبيعة نفسنا. أما في الجلسات الثلاث الأخيرة فقد تحدثنا عن أسباب الاهتمام بموضوع العناء والتحدث عنه. فبالإضافة إلى تلك الأدلة التي أوصلتنا إلى هذا الحديث، هناك فوائد وضرورات أخرى تقتضي التحدّث عن العناء وجهاد النفس. فقد تحدثنا في الجلسة السابقة عن بعض فوائد الالتفات إلى هذا الموضوع وضرورته. وأما في هذه الجلسة بودي أن نتحدث عن أهمية العناء وفوائده من جانب آخر.

## ١. الالتفات إلى العناء يمنع الإنسان من التوهّم

أحد فوائد الالتفات إلى العناء هو أن يقلّل الآمال التي تحجب الأجل. فمن طبيعة الإنسان هي أنه إذا أحب شيئا يعقد أمله عليه، ثم يتوهمه ويحلم به ويتعامل معه كأنه أمر واقع أو سوف يقع عن قريب، فهو يزعم أنه يقدر على تحقيق أحلامه. وأحيانا تبلغ مشتهيات الإنسان من الأهمية بمكان بحيث تظهر نفسها واقعا. فكيف نستطيع أن نخرج هذه الآمال من قلب هذا الإنسان المتوهم والحالم الذي وقع أسيرا بيد آماله وأحلامه؟ فلابدّ أن نذكره بمعاناته ومصاعب حياته.

## ٢. الالتفات إلى العناء يضاعف حالة الشكر والصبر لدى الإنسان

ومن الأدلة الأخرى التي ذكرناها هي أن هذا الالتفات يضاعف حالة الشكر لدى الإنسان، وإن هذا الشكر ينتج عن رؤية الإنسان الصحيحة تجاه موقع المعاناة في الحياة. فإن جعل الإنسان الراحة والدعة هي الأصل، سوف لا يشعر بحالة الشكر ولا يشعر بتكليف في هذا الجانب أساسا. إما إن عرف أن هذه النعم قد جاءت في عالم معجون بالعناء والصعاب، وأساسا إن الدنيا هي محل المحن والمعاناة، عند ذلك يشكر النعم التي في حياته بكل وجوده. كما أن هذا الالتفات يضاعف صبر الإنسان وطاقته على تحمل الصعاب.

## ٣. الالتفات إلى العناء يحسّن رؤية الإنسان عن الدين والدنيا

إذا التفت الإنسان إلى العناء، عند ذلك ينظر إلى الدنيا كدار بلاء ومحنة، وإن هذه الرؤية تحسّن انطباعه عن الدين. فكلما نظرت إلى الدنيا باعتبارها دارا محفوفا بالبلاء، كلما شعرت بلذة الدين أكثر. وفي المقابل كلما نظرت إلى الدنيا بأحلامك وأوهامك واعتبرتها دار متعة ولذة، تبتعد عن الدين وتراه برنامجا مرّا محفوفا بالعناء. فهناك نسبة عجيبة بين هاتين الرؤيتين. فإن لم تنظر إلى معاناة الدنيا تتدهور علاقتك مع الدين، وإذا نظرت إلى الدنيا بنظرة صائبة متأثرة بكثير من آيات القرآن من قبيل قوله تعالى (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ في كَبَد)[البلد/٤] و (يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقيه)[الانشقاق/٦] و (وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْق)[يس/٦٨] تحسن علاقتك مع الدين. لابدّ أن نحفظ هذا التوازن بين الدين والدنيا، كما نجده في ألفاظ آيات القرآن. فعندما يتحدث الله عن الدنيا يقدم العسر على اليسر ويقول: (إِنّ مَعَ العُسرِ يُسْرَى)[الانشراح/٦] ولكنّه عندما يريد أن يتحدث عن الدين يقول: (يُريدُ الله بِكُمُ اليُسر وَلا يُريدُ بِكمُ العُسر)[البقرة/١٨٥]. على أي حال إن الآثار التربوية المترتبة على الحديث عن العناء ومحن الدنيا كثيرة جدا.

## إن فهم هذا النظام ضروري حتى أثناء مناجاتنا مع الله/ فيا ترى من أي نقص نتوب إلى الله؟

إن فهـم هـذا النظـام ضروري حتـى أثنـاء مناجاتنـا مـع اللـه، إذ أثنـاء مـا يسـتغفر الإنسـان ويناجـي ربـه، لابـدّ أن يعـرف النقـص والتقصـير الـذي ينبغـي أن يتـوب منـه إلى اللـه. ينبغـي للإنسـان أن يعـرف مرضـه کي يبحـث عـن الـدواء ببصـيرة ورويـة.

## ۴.الالتفات إلى العناء يفتح باب محبة الله على الإنسان

ينطـوي العنـاء عـلى آثـار وبـركات كثـيرة للإنسـان سـواء أكان مـن قبيـل المعانـاة الاختياريـة والإراديـة المتمثلـة بجهـاد النفـس، وسـواء أكانـت غـير إراديـة المتمثلـة بالمقـدّرات الإلهيـة في منعطفـات حيـاة الإنسـان. فعـلى سـبيل المثـال مـن أجـل إدراك محبـة اللـه وألطافـه عليـك، لابـدّ أن تعـرف علاقتـك مـع المعانـاة وتـدرك قاعـدة الدنيـا وأنهـا صبّـت عـلى البلايـا والمحـن، ولكـن اللـه قـد رزقـك بأنـواع النعـم وأسـباب الراحـة في هـذه الدنيـا التـي هـي دار بـلاء. يقـول أمـير المؤمنـين(ع) للـه سـبحانه في المناجـاة الشـعبانية: (إِلَهِـي لَـمْ يَكُـنْ لِي حَـوْلٌ فَأَنْتَقِـلَ بِـهِ عَـنْ مَعْصِيَتِـكَ إِلَّا فِي وَقْـتٍ أَيْقَظْتَنِـي لِمَحَبَّتِك)[إقبـال الأعـمال/ج٢/ص٦٨٦] وأنتـم تعرفـون أن هـذه العبـارة متناسـبة مـع أضعـف النـاس دينـا. فقـد جـاء أمير المؤمنـين(ع) وتحـدث عـن لسـانهم بـكل صراحـة. فهـي متناسـبة مـع حالهـم على خـلاف بعـض العبارات الأخـرى في الأدعيـة التـي هـي مختصـة بمقـام أهـل البيـت(ع) أو مقـام الأوليـاء ولا تناسـب حالنـا، ولكـن هـذه العبـارة متناسـبة مـع الجميـع وتحـكي عـن الجميـع. في هـذه العبـارة نقـول يا إلهـي أنا لا أسـتطيع أن أتـرك الذنـوب والمعـاصي إلا أن توقظنـي بمحبتـك لا بعقوبتـك. طيـب، كيـف يوقظـك اللـه بمحبتـه؟! فـإذا أردت أن تشـعر بمحبّـة اللـه، يجـب عليـك أن لا تمـرّ مـن موضـوع العنـاء مـرور الكـرام. وإذا أردت أن تشـاهد محبـة اللـه إليـك لابـدّ أن تنظـر إلى الألم والعنـاء بـكل جـدّ. هـذا هـو الطريـق ولا مفـرّ منـه.

## دور الأمّهات في توطين الأولاد على العناء والألم

إن توطين النفس على العناء ينطوي على آثار تربوية كثيرة ومختلفة. طبعا في مقام تربية الأطفال وتلقينهم مفهومَ العناء لابدّ من التصرف برأفة ورحمة. كالطبيب الذي يداوي مريضه بأعمال مؤلمة وفي نفس الوقت يقوّي معنويّاته بالكلام الطيّب وإظهار الشفقة. إنّ للأمهات دورا بارزا جدّا في تلقين أولادهنّ مفهوم العناء وضرورة المعاناة في الحياة الدنيا. فإن الطفل يواجه الألم والعناء من أول سنين حياته، ولكن على الأمّ أن تتعامل بحكمة مع أوجاع وآلام طفلها وتربّيه بحنانها وفكرها حتى يعلم أنّ الألم والعناء من قواعد الحياة الدنيا. فبحسن تعامل الأم تحسن رؤية الولد تجاه أوجاعه ومعاناته ولا يفرّ منها بعدئذ. طبعا ينبغي للأم أن لا تزيد مرارة آلام ولدها ولا تشمت به إذا هوى على الأرض أو ضربه أحد زملائه، بل تتعامل مع هذه الأحداث كأحداث طبيعية جدا ومطابقة لقواعد الحياة، وفي نفس الوقت تشفق عليه وتواسيه وتلطف به كي تمزج ألمه بحلاوة حنانها.

## الالتفات إلى العناء يبعد الإنسان عن طلب الراحة/ إن مشكلة شبابنا الرئيسة في مسار جهاد النفس هي حب الراحة

الإنسان يطلب الراحة، وحب الراحة تمثّل أول مرض وأول مظهر من مظاهر حب الدنيا التي يصاب بها الإنسان. أغلب الشباب ليسوا طلّاب المال وليسوا طلاب الجاه كما أنهم ليسوا مرائين ويحظون بكثير من النزعات الإيجابية من قبيل حب العدالة والعرفان والمثل، كما أنهم براء من كثير من الصفات السيئة، ولكنهم مبتلون بحب الراحة وإن هذا الحب يكاد أن يدمّر حياتهم ومستقبلهم. أول ما يشعر به الإنسان هو طلب الراحة، وبعد ذلك يأتي طلب اللذة. المشكلة الأولى هي أن الشابّ يتعاجز عن الحركة والقيام بأي أمر، ويخالف أي شيء يزعج راحته. وحتى قد يتعاجز عن ترتيب ملابسه. في حين أن أحد زملاء الإمام الخميني(ره) في أيام شبابه ينقل عن الإمام أنه كان ملبسه مرتبا دائما، فلم نره بلباس غير مرتب حتى في حجرته ومحل استراحته.

## إن حبّ الراحة ينسينا العناء ويمنعنا عن الحركة

إن حب الراحة هو أول مانع يقف في وجه الإنسان في درب المعاناة وتحمّل العناء. إن حبّ الراحة يدخل الإنسان في عالم الخيال والأحلام فيزعم بإمكان وجود حياة بلا تعب، غير أنّه إذا استفحلت هذه النزعة في روح الإنسان تتدهور كل حياته. إن حب الراحة ينسينا العناء ويمنع استراتيجية المعاناة من أداء دورها. إنه يعيقنا عن الحركة ويمنعنا من حسن التعامل مع الدين. يقول أمير المؤمنين: «ثَوَابُ الْعَمَلِ عَلَى قَدْرِ الْمَشَقَّةِ فِيهِ»[غرر الحكم/ص٣٣٣/الحديث٥]. إن بعض الشباب يشكرون ربهم على نزاهتهم من حبّ الدنيا، في حين أنهم غير ملتفتين إلى أن حبّ الراحة هي إحدى شعب حب الدنيا. وفي الواقع إن حب الراحة هي أول مظهر من مظاهر حب الدنيا.

## لابدّ أن تكون في الدنيا مثل القوّات الخاصة

في أيام الدفاع المقدّس عندما كان يأخذ الشباب إجازة ويرجعون إلى أهاليهم، لم يكن يطاوع قلبهم على أن يناموا على الفراش، فكانت الأم تفرش الفراش عند الليل، بيد أن هذا الشاب المجاهد كان يأبى أن ينام على الفراش ويقول لها: يضيق صدري بالنوم على الفراش، فاسمحي لي أن أنام بلا فراش فإنه أروح لي! ولم يكن هذا المجاهد متظاهرا في هذا الموقف، ولم ينم على الأرض طمعا بالثواب، إذ لم يقل له أحد باستحباب النوم على الأرض. حتى لم يكن بصدد مواساة المجاهدين أو يعيش أجواء الجبهة والقتال حيث كان ينام فيها على التراب والصخور أو ينام جالسا. بل كان يشعر بضيق صدره واحتصاره في حالة الراحة. أتذكر عندما كنا في كتيبة التدمير نتدرّب حيث كنا مستقرين في خندق وخيمة لمدة شهر قبل عمليات «والفجر واحد»، كنا نتذاكر بمثل هذه الأبحاث آنذاك مع أننا لم نكن قد تجاوزنا مرحلة الثانوية. ويشهد الله أن الأبحاث كانت تطرح بشكل تلقائي وجماعي، بلا أن يأتينا أستاذ في الأخلاق أو يدرسنا معلّم ليحثّنا على اتخاذ بعض القرارات، كلا، بل كانت الأجواء تقتضي مثل هذه الأبحاث والقرارات.

فبالإضافة إلى الحرب الليلية والإزعاج الليلي والبرامج الصباحية والاستعراضات والهرولة التي كانت متعبة جدا، بحيث كانت تدمع عيون بعض الشباب من شدة التمارين وقساوتها، بالإضافة إلى كل هذه التمارين الشاقّة قرر الشباب على حفر أرض الخيمة وتستطيحها! فكأنه لم تكفهم كل هذه التمارين فأرادوا أن يشقّوا على أنفسهم ويتعبوها أكثر، حتى يحظوا بالروحية المعنوية المترتبة على هذا التعب. كانوا قد شعروا بسلبية العطالة، وكراهيّة الكسل والخمول. ثم قررنا في الخيمة على أن لا يستعين أحد بصاحبه في المائدة ليناوله الملح أو الخبز أو الماء مثلا، فإذا أراد أحد شيئا من المائدة يجب عليه أن يقوم ويمشي إليه ليستخدمه. فكان إذا يأتينا ضيف يستغرب من سلوكنا ولكن الجميع في تلك الخيمة كانوا يمارسون هذا الأسلوب بكل رغبة، إذ كانوا قد عرفوا أن التعاجز والكسل مرض يهلك الإنسان، شأنه شأن الغاز السام الذي يتسرّب في الغرفة المغلقة، فإنه ينوّم الإنسان في بداية الأمر ثم يقضي عليه.

## يترعرع حب الشهوات في حضن حب الراحة

قبل أن يغترّ الإنسان بالشهوات، يبتلى بحب الراحة والأولى أن تمنع الإنسان عن حب الراحة قبل أن تمنعه من اللهو بالشهوات. إن اللهو بالشهوات ولا سيما الشهوات الجنسية هي أشبه شيء بحركة السيارة بسرعة عالية في منعطف خطر جدا، فإذا وصلت السيارة إلى المنعطف لا فائدة للتنبيه بعد، ولا داعي لأمر السائق بتخفيض السرعة. لابد أن يكون التنبيه قبل الوصول إلى هذا المنعطف الخطر. وهكذا في موضوعنا فيفترض أن تنصح الشابّ وتنبهه عندما تظهر على سلوكه بوادر علائم حب الراحة لتقف أمام حركته نحو فساده وهلاكه، وذلك لأن حبّ الشهوات ينمو في حضن حب الراحة.

## تسلق الجبال مفيد لمكافحة حب الراحة/ ما الفرق بين تسلق الجبال وكرة القدم

إن استفحلت نزعة حب الراحة في وجود الإنسان يبتعد عن إنسانيته كثيرا، فلا تسمحوا لأولادكم أن يتربّوا على حبّ الراحة ولا تعودوهم على الراحة والابتعاد عن التعب والنصب. أحد النشاطات المؤثرة في مكافحة حب الراحة لدى الشباب هو تسلق الجبال الجماعي وإن تأثيره أكثر من لعب كرة القدم فلا تخدع نفسك بكرة القدم بدلا من تسلق الجبال، لأنك في كرة القدم تركض وتسعى وأنت متحمس للتهديف،

بيد أن تسلق الجبال خال من هذا الحماس والتنافس، فالعناء فيه أوقع في قلبك وأقوى تأثيرا. كما إذا ذهبت إلى تسلق الجبال مع أصدقائك لا تقدر على الاستراحة والتوقف متى ما شئت لئلا تتأخر عنهم. ثم سوف تعرف قدر وقتك في التسلق الجماعي، لأنك إن تأخّرت عن جماعتك بقدر ما تفتح قيطان حذائك وتشدّه، قد لا تستطيع أن تجبر هذا التأخّر إلى آخر الرحلة. أما في المدينة فلا يعرف الإنسان قدر كثير ما يضيّعه من وقته تلبية لحبّ الراحة. إن تسلّق الجبال يزيدك تمتعا بالنعم الإلهية ويحفظ صحتك. فمن تعوّد على أن يجلس على القنفة الفخمة دائما، يشعر بالوجع وعدم الارتياح بأقل تغيير في جلسته، أما الذي يتسلق الجبال وعوّد نفسه على تحمل الصعاب، فإنه يلتذ ويشعر بالراحة حتى إن جلس على الصخرة الصمّاء ويعيش حياة صحيّة.

## لا تقوم التقوى على أركان حب الراحة

إن لم نحذر من حب الراحة، تؤثر على نظرتنا العامة تجاه الحياة. فابدأوا، أيها الشباب من أنفسكم واقلعوا جذور حب الراحة من قلوبكم قبل أن تفرض عليكم الحياة ذلك. ولابدّ للآباء أن يبدأوا مع أولادهم بترك الراحة بعد إنهاء السنة السابعة من عمرهم، فأقيموا احتفالا لهم قبل احتفال التكليف وسمّوه باحتفال الأدب. طبعا لا ينبغي أن تشقّوا عليهم وتسودوا لهم الحياة من ذلك العمر، ولكن لابدّ أن تبدأوا معهم شيئا فشيئا وتذيقونهم بعض الصعاب وشيئا من التعب، فعلى سبيل المثال طالبوهم بغسل جواريبهم في بعض الأيام، ثم صعدوا مستوى المطالبات برأفة وحنان. فللأسف قد بلغ بعض الشباب الثماني عشرة من عمرهم ولم يغسلوا شيئا من ملابسهم قط! فلا يُدرى متى يريدون أن يفعّلوا طاقاتهم الإنسانيّة! ويا ترى هل وجود الغسّالات المتطورة دليل على تربية الأولاد على الدلال وعدم التعب؟!

## حب النصب مؤشّر لحبّ الله

لماذا يجب علينا أن نتحدث عن العناء والمشقة بشكل صريح، ولماذا يجب أن نأخذ هذه الاستراتيجية بعين الاعتبار وأن نتحرك ونسير على أساس هذه الرؤية؟ إنما نفعل ذلك من أجل أن نصل إلى عشق الله. أيها الإخوة الأعزاء! بودّي أن ألفت أنظاركم إلى حقيقة عن طريق نقل رواية رائعة لكم. يقول أمير المؤمنين(ع): «الْقَلْبُ الْمُحِبُ لِلَّهِ يُحِبُّ كَثِيراً النَّصَبَ لِلَّهِ وَ الْقَلْبُ اللَّاهِي عَنِ اللَّهِ يُحِبُّ الرَّاحَةَ فَلَا تَظُنَّ يَا ابْنَ آدَمَ أَنَّكَ تُدْرِكُ رِفْعَةَ الْبِرِّ بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ فَإِنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ مُرٌّ وَ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ حُلْو»[مجموعة ورام/ج٢/ص٨٧] أنا لا أعرف لماذا يحب العاشق لله أن يتحمل النصب والتعب لربّه، فهل أنتم تعرفون ما العلاقة بين العشق والنصب؟ كم من حجة قد حجّها الإمام السجاد مشيا على الأقدام، مع أن في ذلك الزمان لم يكن فرق كثير بين الذهاب مشيا والذهاب ركوبا على الفرس أو الجمل. هل تعلمون أنّ من أفضل العبادات هو المشي لزيارة بيت الله الحرام وزيارة أبي عبد الله الحسين(ع)؟! لقد روي عن الإمام الصادق(ع) أنه قال: «مَنْ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ يُرِيدُ زِيَارَةَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ص إِنْ كَانَ مَاشِياً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَسَنَةً وَ مَحَى عَنْهُ سَيِّئَةً حَتَّى إِذَا صَارَ فِي الْحَائِرِ كَتَبَهُ اللَّهُ مِنَ الْمُصْلِحِينَ الْمُنْتَجَبِينَ [الْمُفْلِحِينَ الْمُنْجِحِينَ] حَتَّى إِذَا قَضَى مَنَاسِكَهُ كَتَبَهُ اللَّهُ مِنَ الْفَائِزِينَ حَتَّى إِذَا أَرَادَ الِانْصِرَافَ أَتَاهُ مَلَكٌ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص يُقْرِؤُكَ السَّلَامَ وَ يَقُولُ لَكَ اسْتَأْنِفِ الْعَمَلَ فَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا مَضَى»[كامل الزيارات/ص١٣٢] لماذا هذا الثواب ولماذا هذا التأكيد على المشي وتحمّل العناء في سبيل الزيارة؟ سمعت أحد المساكين كان يستهزئ بالمشي ويقول: أفهل نترك السيارات بعد ذلك ونرجع إلى القرون الماضية؟ كأنّ الإمام عندما تحدّث عن ثواب المشي في ذلك الزمان، أراد أن يحرّم الخيل والجمال! أنا لا أعرف علاقة النصب ومحبة الله جيدا، ولكن يبدو من خلال هذه القرائن أن الإنسان المحبّ للراحة لا يبلغ محبة الله، أليس كذلك؟ لا أدري لماذا أصبحت علامة محبّة الله هو حب النصب له. فهل هذا راجع إلى تركيبة الحبّ؟ فما حقيقة الحبّ حتى صار النصب علامة له؟ وما الفرق بين محبة الله وباقي أنواع الحبّ حتى أصبح يعرف بحب النصب والتعب من دون باقي أنواع الحبّ؟

كلـما ازداد الإنسـان حبّـا وعشـقا لـلـه، يـزداد حبّـا للعنـاء والنصـب مـن أجلـه، فهـو لا يطيـق أن يبقـى مرتاحـا بـلا تعـب. إذا وفقـك اللـه وزرت إمـام العصر(عـج) في فسـطاطه، فـإذا لم يعطـك الإمـام أي عمـل ومسـؤولية، بـل يـوزع المهـامّ الصعبـة والمتعبـة عـلى باقـي أصحابـه، مـاذا تفعـل؟! لعلـك تخاطـب الإمـام وتقـول لـه سـيدي! مـرني بـشيء، فتصـوّر أن الإمـام يمتنـع عـن إعطـاء مهمـة لـك ويقـول: اسـترح ولا تتعـب نفسـك! مـاذا يحـلّ بـك إن عاملـك الإمـام بهـذا الأسـلوب؟ مـن المؤكـد أنـك سـوف تـكاد أن تمـوت ألمـا وحـسرة بعـد مـا تـرى أن الإمـام لم يعبـأ بـك ولم ينظـر إليـك. أمـا إذا حمّلـك أنـواع المهـامّ والمسـؤوليات وشـقّ عليـك بأنـواع المسـؤوليات الصعبـة والمتعبـة تشـعر بوجـود علاقـة الحـب بينـك وبـين الإمـام. إن العنـاء وحـبّ النصـب مـؤشّر العشـق. فـإن حذفـت اسـتراتيجية المعاناة لم يبـق لـك حـبّ اللـه ولا حـبّ أوليـاء اللـه. ولعلّـه لهـذا السـبب تجـد أن اللـه قـد جعـل برنامـج أنـس العبـد مـع ربّـه المتمثـل بصـلاة الليـل في جـوف الليـل! لمـاذا جعـل وقـت صـلاة الليـل في ذلـك الوقـت؟ مـع أنـه لـو كان قـد جعـل وقتـه في وسـط النهـار، لمـا تركنـا هـذه الصـلاة ولازداد المصلـون حتـى أننـا قـد نبـكي ونصليهـا بحضـور أكـثر ونشـاط أكـثر، أمـا في ذلـك الوقـت يسـتيقظ الإنسـان وهـو يتأرجـح يمينـا وشـمالا مـن شـدة النعـس، ثـم لا يفهـم مـن صلاتـه شيء. فـإذا سـألتم ربّكـم أن لمـاذا جعلـت موعـدك مـع عشـاقك في ذلـك الوقـت، يقـول: إننـي أردت أن ألطـف بعشـاقي، إذ أنهـم يـودّون النصـب مـن أجـلي، ومـن جانـب لا يحبّـون تعـب المرتاضـين، بـل يريـدون أن يتحملـوا عنـاء أنـا أشرت عليهـم بـه، وإلا فـلا يتهنـأون بهـذا العنـاء. فتفضلـت عـلى عبـادي وأمرتهـم بالصـلاة في السـحر، فبهـذا الأمـر لبيـت رغبتهـم في تحمـل التعـب والنصـب مـن أجـلي. رضـوان اللـه تعـالى عـلى إمامنـا الخمينـي، إذ كان قـد عـوّد نفسـه عـلى القيـام في الليـل عـدّة مـرات، فلـم يصـلّ صـلاة الليـل في دفعـة واحـدة، بـل كان يقسـمها في طـول الليـل، طلبـا لمزيـد مـن العنـاء والنصـب في حـبّ اللـه. فيـا تـرى أيّ عنـاء يـودّ المحـبّ أن يتحملـه مـن أجـل معشـوقه؟! طبعـا أنتـم أعـرف منـي بـأن العنـاء لابـدّ أن يكـون ضمـن برنامـج وأصـول وهـو الإسـلام. كـما أن اللـه لا يأمـر عبـده بعنـاء إلا ويصحـب هـذا التعـب والعنـاء بلـذة عاليـة جـدّا.

## صلى الله عليك يا أبا عبد الله

بإمكانكم أن تعرفوا مدى عشق شهداء كربلاء من خلال جراحات أجسادهم. فاذهبوا إلى كربلاء وانظروا أيّهم قد قُطّعوا إربا إربا؟ لقد قطّع أعداء الحسين(ع) رجلين من الشهداء إربا إربا؛ الأول علي الأكبر، والثاني أبو الفضل العباس. لماذا علي الأكبر؟ لأنه كان أشبه الناس برسول الله(ص) فأثار أحقادهم الكامنة. والأهم من ذلك هو أن كان اسمه عليّا، وكانوا قد أشربوا غضبا لأمير المؤمنين(ع)، فانهالوا عليه وما أبقوا له جسدا. والثاني هو جسد قمر بني هاشم أبي الفضل العباس(ع)، وفي الواقع إنهم قد مثّلوا بجسمه، وهجموا عليه بكل ما لديهم. فما إن سقط العباس على الأرض ظهرت شجاعة القوم، فلما رأوه قطيع اليدين هجموا عليه بأعمدتهم. بودي هذه الليلة أن أنقل لكم موقفا من مواقف العباس التي لم تسمعوها كثيرا. عندما أراد العباس وإخوته أن يستأذنوا للميدان، قال لهم العباس وكانوا أصغر منه سنّا: «تقدّموا لأحتسبكم عند الله تعالى». إنّ هذا الموقف مجهول وقليل ممن يعرف عظمته. إن أولياء الله كمّل في جميع مشاعرهم وهم أشدّ الناس حظا من المشاعر والعواطف تجاه الإخوة والأحبّة، وأما حبّهم لإخوتهم من أمهم وأبيهم فمما لا يوصف، وهو أمر خاصّ بهم لا تدركه عقولنا. فأراد العباس بهذا الموقف أن يكون أكثر إخوته حظا من بلاء فقد الإخوة والأعزة. ولا أدري فلعلّه أراد بهذا الموقف أن يواسي الحسين(ع) عندما يسقط هو على الأرض ويأتيه الحسين(ع)، ويا لها من لوعة على قلب الحسين(ع). ولهذا لمّا جاء الحسين(ع) إلى أخيه العبّاس(ع) أعلن عن إفلاسه. فكأني به قال: أخي عباس! مهما قتل الأعداء من أولادي وأصحابي لم أنكسر، أما الآن فقد انكسر ظهري وقلت حيلتي.

## ألا لعنة الله على القوم الظالمين



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١٣)

عليرضا بناهيان




**الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ**
**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فی مدينة طهران**
**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١٣)**

**إليك ملخص الجلسة الثالثة عشر من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

## إن موضوع العناء موضوع تربوي وعرفاني بمستوى عال/ لا يمكن نيل الحبّ لله بلا عناء

لقد طرحنا في الجلسات الأخيرة بعض الأبحاث في آثار العناء وبركاته وضرورة الاهتمام بهذه الاستراتيجية والرضا بالمعاناة التقديرية والتكليفية. ومن جملة ما ذكرناه في الجلسة السابقة هو أنه لا يمكن نيل الحبّ لله بلا عناء. فمن اشتمل على حبّ الله في قلبه، يودّ النصب والعناء في سبيل الله. إن موضوع العناء أعمق وأرقى مستوى من أن نبقى نقول: «الكبد والعناء من ذاتيات هذه الدنيا». إن شأن العناء أعلى وأشرف من هذا المستوى وإنه يتضمن بحثا تربويا وعرفانيا راقيا.

## من صعوبات المعاناة هو عدم المعرفة بأسبابها وأهدافها

لا يمكن الاهتمام بموضوع العناء وكسب آثاره التربوية بلا برنامج، فلابدّ أن نتعرف على «برنامج العناء» في كلا صعيدي التكليف والتقدير. لا شكّ في أن العناء الخالي من البرنامج لا يكون عناء جيدا ولا يترك آثارا جيدة على روح الإنسان. أما «العناء المبرمج» فلابدّ أن يكون مصمّما على يد مدرّب ومدير ومصمّم بارع، وهو الله سبحانه ربّ العالمين. فلنعرف أن معاناتنا في الحياة مبرمجة من قبل ربّنا عز وجل. من صعوبات المعاناة هي أنك جاهل بأسبابها وأهدافها. عندما يفرض مدرّب كمال الأجسام بعض التمارين على أعضاء الفريق، غالبا ما يوضّح لهم الهدف من هذه التمارين الصعبة ويخبرهم بأثرها على عضلاتهم، بيد أن الله سبحانه لا يتحدث عن فلسفة البلايا والمعاناة التي يفرضها علينا بشكل خاص، ولكن يجب أن تؤمن وتثق به وتتوكل عليه.

## ما هي علاقة العناء بإحساس لذّة الإيمان؟

من المسائل المهمّة في قضيّة العناء هو أن نعرف ما يرتبط به من القضايا. فعلى سبيل المثال، يرتبط العناء بعشق الله والصبر. أما إحدى القضايا المهمّة التي ترتبط بالعناء هي «الإيمان». انظروا إلى هذه الروايات فقد قال رسول الله(ص): «مَنْ كَانَ أَكْثَرُ هَمِّهِ نَيْلَ الشَّهَوَاتِ، نَـزَعَ مِنْ قَلْبِهِ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ»[مجموعة ورام/ج٢/ص١١٦] وقال الإمام الصادق(ع): «حرامٌ على قلوبِكُم أنْ تعرِفَ حَلاوةَ الإيمانِ حتّى تَزهَدَ فى الدّنيا»[الكافي/٢/١٢٨]. ما هي حلاوة الإيمان؟ هل من الحلاوة أن يعيش الطفل تحت ظل والديه وينمو في أحضانهم؟ هل من الحلاوة أن يكون الإنسان صاحب زوجة وأهل وأسرة؟ وهل من الحلاوة أن يعاد المريض في فراشه إذا مرض؟ وهل من الحلاوة أن يحظى الإنسان بصديق حميم وعزيز؟ وهل من الحلاوة أن يحظى الإنسان بإعجاب وتشجيع الناس؟ كل هذه الحالات حلوة وجميلة، ولكن حلاوة الإيمان أقوى وأشدّ حلاوة منها، وإذا ذاق الإنسان حلاوة الإيمان سينسى طعم غيره من العلاقات الحلوة.

## الإيمان يخرج الإنسان من وحشة الوحدة

الإيمان يخرج الإنسان من وحشة الوحدة ويجعل الله أنيسه ومونسه. الإيمان بالله يقرّب إليك أرحم موجود في العالم. الإيمان بالله الرحمن الرحيم يؤدي إلى نتائج عجيبة. فإذا بحثت عن أيّ شيء سوى الإيمان تُحرَم من حلاوة الإيمان. فحلاوة الإيمان ليس بحلاوة إلى جانب باقي أنواع الحلاوة في العالم. فمن ذاق لذة الإيمان وحلاوته، لا يبقي مجالا لباقي اللذائذ الحلوة بعد. ولهذا عندما كان الناس يهتفون في حسينيّة جماران ويفدون أرواحهم له، ما كان الإمام يشعر بلذة من تلك المشاعر. إذ كان الإمام قد التذّ بالإيمان بالله لذّة لا تقاس بحلاوتها شيء، إذ لا تقاس محبّة الله بمحبة الناس. كان السيد الإمام(ره) قد بالغ بمجاهدة نفسه وترك الشهوات والملذّات فنال لذّة الإيمان. على أساس حديث رسول الله(ص)، من كان همّه نيل اللذات والشهوات، لن ينال لذة الإيمان، فما بالك بمن تعلّق بهذه اللذات وراح يركض وراءها. ثم لا تقتصر اللذة والشهوة، بالشهوات الجنسية، بل تعمّ جميع مشتهيات الإنسان، بعضها سلبية كالغضب الذي تطرد به شيئا ما، وبعضها إيجابية تنجذب بها إلى منفعة ما.

لقـد حبّـب اللـه الإيمـان في قلـوب المؤمنـين وزيّنـه في قلوبهـم، فأصبـح ذا جـمال وجذابيّـة تسـحر الإنسـان. فقـد قـال اللـه سـبحانه: (وَ لكِـنَّ اللّـهَ حَبَّـبَ إِلَيْكُـمُ الْإِيـمانَ وَ زَيَّنَـهُ فِـى قُلُوبِكُـمْ) [الحجـرات/٧]. إيمـان المـرء يجعلـه قريبـا مـن اللـه ويحيـط اللـه بهـذه الإنسـان بعـد الإيمـان لـكي لا يشـعر بالوحشـة. ولهـذا يقـول: ( نَحـنُ أَقـرَبُ اليـهِ مِـنْ حَبْـلِ الوَريـد)[ق/١٦] ويقـول في آيـة أخـرى: (وَهُـوَ مَعَكُـمْ أَيْنَـمَا كُنْتُمْ)[الحديـد/٤]. وكذلـك يقـول: (أَيْنَـمَا تُوَلُّـوْا فَثَـمَّ وَجْـهُ اللهِ)[البقـرة/١١٥]. فـلا إمـكان لإنسـان أن يحيـط بـك ويخفـف مـن وحشـتك، بـل اللـه هـو القـادر عـلى الاحاطـة بـك. ولا يقـدر الإنسـان أن يعيـش وحيـدا ولا يسـتطيع أحـد أن يخرجـك مـن وحدتـك مثـل اللـه سـبحانه.

## الإيمان، يسبب النفور من المعصية

إذا ذاق الإنسـان حـلاوة الإيمـان وأصبـح الإيمـان محبوبـا لديـه، حينئـذ ينفـر مـن الكفـر والفسـوق والعصيـان. وكذلـك يشـمئز مـن الإيمـان بمـا سـوى اللـه والعمـل القبيـح. فـإذا أدرك الإنسـان قبـح الذنـوب وتنفّـر منهـا، عنـد ذلـك يحصـل عـلى مهجـة جيـدة لمناجـاة اللـه سـبحانه، إذ سـوف يعـرف مـدى قباحـة الذنـب ودناءتـه، وسـوف يسـتغفر اللـه ويناجيـه مـن كل قلبـه.

## في سبيل الشعور بحلاوة الإيمان لابدّ من تحمّل العناء وجهاد النفس

في سـبيل أن يـذوق الإنسـان حـلاوة الإيمـان، لابـدّ لـه من تحمـل العنـاء والابتعاد عن السـيئات عـبر جهاد النفـس. فقـد قـال أمير المؤمنين(ع): «صَابِرُوا أَنْفُسَـكُمْ عَـلَى فِعْلِ الطَّاعَـاتِ وَ صُونُوهَا عَنْ دَنَسِ السَّـيِّئَاتِ تَجِـدُوا حَـلَاوَةَ الْإِيمَان»[غـرر الحكم/الحديـث٨١] يحصـل الإيمـان والعلاقة بالله بالعناء والشـدائد لا عبر درس أصـول العقائـد. طبعـا إن درس أصـول العقائـد جيّـد، ولكـن مـن أجـل الإجابـة عـن شـبهات العدوّ. يعني إذا أراد العدوّ أن يسلبك عقائدك وإيمانك، هنا يأتي دور دروس العقائد والأبحاث العقلية والكلامية.

## يعاني الإنسان أحيانا من بعض المعاناة ولكنّه لا يذوق حلاوة الإيمان

لابدّ للإنسان أن يتعرف على نفسه بشكل جيّد ولا يتحمل عناء لا فائدة فيه. إذ أحيانا يعاني الإنسان ويتحمّل الشدائد ولكنها معاناة بلا جدوى لا ترفع مقامه ولا تذيقه حلاوة الإيمان. أحد الأسباب هي أنه عندما كان يعاني من بعض المشاكل والمصائب كان بصدد التعويض عن معاناته. كبعض المتظاهرين بالتقوى الذين يراعون مقتضيات الزهد والتقوى في سبيل أن يجدوا فرصة للتعويض عن كل الأتعاب التي تحملوها في هذا المسار. فمثل هؤلاء لن يجدوا حلاوة الإيمان مهما تحملوا العناء، لأنهم بصدد العثور على فرصة يعوضوا فيها عن كل الشدائد والصعاب التي تحملوها، وفي الواقع قد تحمّلوا كل هذه المعاناة في سبيل الفوز براحة أكبر في هذه الدنيا. فعلى سبيل المثال من يعفّ عن الشهوات في سبيل أن يصل إلى جاه ومقام في هذه الدنيا، فإنه لا يذوق حلاوة الإيمان. ومثل هؤلاء الناس ينطبق عليهم قوله تعالى: (خَسِرَ الدُّنْيا وَ الْآخِرَة)[الحج/١١]. إن شهوة الجاه والمقام تمنع حلاوة الإيمان من أن تدخل في القلب. ولعلّ أحد أسباب توفيق بعض الفسقة ورؤساء العصابات للتوبة والهداية هي أنهم يعرفون ماضيهم وملفّ أعمالهم جيدا فلا يطمعون في نيل الجاه والشأن الرفيع في هذه الدنيا عبر الحصول على المقامات العرفانيّة. فمن أجل أن يذيقنا الله حلاوة الإيمان، لابدّ أن نتحمل المعاناة والمصاعب بصدق، لا من أجل نيل غيرها من الشهوات.

### والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة
# في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١٤)

عليرضا بناهيان




**الزمان: شهر رمضان المبارک عام ۱۴۳۴هـ**

**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فی مدینة طهران**

**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١٤)**

**إليك ملخص الجلسة الرابعة عشر من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

## إن جهاد النفس عملية معقدة جدا، لأن النفس تحتال على الإنسان

إن طريقنا الوحيد إلى الكمال هو مخالفة الأهواء والشهوات ولكن ليس مطلق الأهواء وجميع الشهوات. فلا ينبغي أن نجاهد جميع أهواءنا بشكل مطلق، بل لابدّ أن نجاهدها ضمن برنامج. فإن البرنامج المتمركز والاجتناب عن التكثّر المضر ضرورة لازمة في مسار جهاد النفس. إن عملية جهاد النفس معقّدة جدا، لأن النفس تحتال على الإنسان. حتى بإمكان النفس أن تستغل الدين لصالحها.

## ما الداعي إلى الاهتمام بالعناء/ «الفرار من العناء» أهمّ عوامل ترك جهاد النفس

السبب في الاهتمام بالعناء إلى جانب الاهتمام بجهاد النفس هو أنه لأننا بصدد الالتفات إلى الطريق الأصلي في الرشد والكمال، فلابدّ لنا من جهاد النفس وإن جهاد النفس هو عملنا الرئيس في هذه الدنيا. ثم إن أهمّ عامل أو العامل الوحيد الذي يدعونا للفرار من جهاد النفس هو نزعة الفرار من العناء. إذن فلابدّ من الحديث عن العناء لكي نقنع أنفسنا على تحمّل العناء وعدم الفرار منه. لماذا لا نسمع نصائح الصالحين في موضوع جهاد النفس؟ ولماذا لا نهتمّ كثيرا وبشكل صحيح بآيات الجنة والنار؟ لأننا لا نودّ المحن والمعاناة. إذن تكمن مشكلة أغلب الناس في قضية العناء. ليس الخوف من العناء بخوف محمود وحتى ينبغي لنا أن نطلب بعض مصاديق العناء.

## العناء شيء عابر ثم تتبعه راحة ومسرّة طويلة

خـوف الإنسـان مـن العنـاء يدعـوه إلى الفرار مـن جهاد النفـس وباقي الفضائـل، ولذلك فلابـد من تحديد موقفنا تجاه العناء وأسـلوب تعاملنا معه. إن العناء شيء عابر ثم تتبعه راحة ومسرّة طويلة. كما قال أمير المؤمنـين(ع) في وصـف المتقـين: «صَـبَرُوا أَيَّامـاً قَصِيـرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَـةً طَوِيلَة» [نهج البلاغـة/ الخطبة١٩٣].

## من لم يحلّ لنفسه قضية العناء، تخدعه نفسه حتى بأدلة دينية بحسب الظاهر

يتمثـل العنـاء بـترك اللـذات تـارة، ويتمثـل بـآلام ومحـن تـارة أخـرى. فـإذا لم نحـلّ مشـكلتنا مـع هذيـن النوعـين مـن العنـاء، نواجـه مشـكلتين: المشـكلة الأولى التـي تظهـر في بداية المطـاف وتبقى معنـا هي أنه إذا كان قلبـك يطلـب الراحـة، تخدعـك نفسـك دائمـا. وإذا كنـت غـير خاضـع للعنـاء، فتصنع نفسُـك دائما ذرائـع وحجـج جميلـة مـن الآيـات والروايـات للفـرار مـن الديـن والركـون إلى الدعـة، لأنهـا نفـس أمـارة بالسـوء. (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّـارَةٌ بِالسُّوءِ)[يوسـف/٥٣]. السـبب الرئيـس في انخـداع الإنسـان بالذرائع المصبوبة في قالـب دينـي هـو أننـا لم نجتـث خفايـا جـذور طلـب الراحـة ولم نحـلّ لأنفسـنا قضيـة العنـاء. فـإن لم يكـن الإنسـان قـد حـلّ موضـوع العنـاء وطلـب الراحـة والدعـة لنفسـه، تخدعه نفسـه في بدايـة المطاف.

## كيف استطاع المجاهدون أن يطووا طريق مئة عام في ليلة واحدة؟

لمـاذا قـد اسـتطاع المجاهـدون في سـبيل اللـه أن ينالـوا مقامـا بحيـث قـد اجتـازوا مسـيرة مئـة عـام في ليلـة واحـدة؟ لأنهـم قـد وطّنـوا أنفسـهم عـلى تحمـل عنـاء المـوت وقبلـوا بذلـك، وبذلـك حصلـوا عـلى نورانيـة رائعـة. فـكان موضـوع العنـاء محلـولا لـدى المجاهديـن في سـبيل اللـه. فـإذا لم تكـن قـد وطّنـت نفسـك عـلى موضـوع العنـاء، تخدعـك نفسـك مـن حيـث لا تشـعر. فعـلى سـبيل المثـال إن غضبـت في موقـف مـا ولم تقـدر عـلى تحمّـل عنـاء «سـوء معاملـة الآخريـن» وغضبـت عليـه أو شـتمته، هنـا تطمئنـك نفسـك أن: «كان يسـتحق هـذه المعاملـة ولا عليـك مـن تقصيـر!» أمـا حـلّ موضـوع العنـاء، يعينـك عـلى أن لا تنخـدع عنـد مواجهـة هـذه المعانـاة بـل تبتهـج بتحملهـا.

## الزواج هو عبارة عن اختيار من سوف نختلف معه في الرأي!

إن هذه، لرؤية مهمة وهي أن الموضوع الرئيس هو أداء التكليف، ولابدّ من تحمّل العناء في إطار التكليف والبرنامج الإلهي. طبعا لابدّ أن نطبّع قلوبنا على ترك اللذات ولكن في مقام العمل، لابدّ أن يكون هذا الترك على أساس الأحكام الإلهية والبرنامج الإلهي لا على أساس اختيارنا. ولذلك فإذا رزق الإنسان لذة ما، حتى وإن فرّ منها تفرض عليه فرضا، وكذلك إذا واجهنا تكليفا إلهيا ممتعا، لا ينبغي أن نتركه بذريعة ترك اللذة. المهم هو حال القلب الذي لا ينبغي أن يطّبّع على حبّ الراحة واللذة، ولابدّ أن نخضع لقضاء الله في فرض بعض المحن علينا. فعلى سبيل المثال لابدّ لكل زواج أن يشتمل على مشاكل واختلافات، لأن المرأة والرجل إنسانان، وبطبيعة الحال يختلف الناس مع بعض في بعض وجهات نظرهم. ولذلك فإنكم عندما تقدمون على الزواج، في الواقع تختارون من سوف تختلفون معه في الرأي! لا أن تبحثون عن من لا تختلفون معه أبدا. لابدّ من قبول أمثال هذه المعاناة وأن نتعامل معها بأسلوب حسن.

## من لم يحلّ لنفسه قضية العناء، حتى وإن أصبح إنسانا صالحا، لن يكون صالحا كثيرا

القضية الأخرى في ما يرتبط بنتيجة عدم الخضوع للعناء هي أنك ما لم توطّن نفسك على العناء، حتى وإن أصبحت إنسانا صالحا، لن تكون صالحا كثيرا، إذ لا تزال أنانيتك موجودة على حالها. كان قد سعى العرفاء وعلماؤنا العظام أن يقلعوا أنانيّتهم، وآخر ما يحمي صنم الأنانية هو نزعة «الفرار من العناء» و «الركون إلى الدعة والشهوة». فإن قضي على «الأنا» تصبح عين الإنسان عين الله ولسانه لسان الله ويده يد الله. فآخر المطاف هو فناء «الأنا» وزوال أهوائنا حتى أن لا يبقى شيء سواه. وهذه هي اللذة الكامنة في الدين وهي أن تتحول أهواء النفس إلى هواه. فنحن نودّ أن نصل إلى درجة من الخلوص حتى لا يبقى شيء تحت عنوان «نحن» ونفنى في «هو». ومن أجل نيل هذه الدرجة لابدّ من توطين النفس على العناء.

## إن ترك اللذة حلو/ أيّ لذة نتركها في سبيل كسب نظر لطف الله؟

إن معاناة ترك اللذات، وإن كانت معاناة ولا تخلو من الصعاب، ولكنّك إن عشت أجواءها تشعر بمدى حلاوة الترك، حتى أنّ كثيرا من عرفائنا تغزلوا بترك اللذات وقد اعتبروها عين اللذّة. نقل الإمام الصادق(ع) حديثا عن النبي الأكرم(ص): «مَنْ أَكَلَ مَا يَشْتَهِي وَ لَبِسَ مَا يَشْتَهِي لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتْرُكَ» [التمحيص/ص٣٤] فمن أجل كسب نظر لطف الله، لابدّ من ترك هذه اللذائذ.

## علاقة جهاد النفس بالعبادة/ العبادة الحسنة، جائزة جهاد النفس

أحد المواضيع المهمّة، هو كيفية الربط بين جهاد النفس وباقي المفاهيم الدينية. فعلى سبيل المثال ما هي علاقة العبادة مع جهاد النفس؟ فإن العبادة شيء يختلف عن جهاد النفس، وهي عبارة عن العلاقة المباشرة مع الله. علاقة هذين الأمرين هي أنه إذا كان الإنسان قد جاهد نفسه من بداية الصبح إلى الظهر، تكون صلاتي الظهر والعصر ألصق بفؤاده وتنتعش عباداته. فالصلاة الجيدة تكون جائزة لذلك الجهاد. الصلاة بمثابة لقاء الله. وإن كانت العبادة هي علاقة مباشرة مع الله، ولكن كيفية هذه العلاقة مرهونة بمستوى الجهاد الذي قمت به قبل العبادة. فقل لي ماذا فعلت خارج البيت حتى تريد أن تدخله الآن؟! يقول الإمام الحسن المجتبى (ع): «إنَّ مَنْ طَلَبَ الْعِبَادَةَ تَزَكَّى لَهَا»[تحف العقول/ص٢٣٦]. الصلاة نتيجة جميع المحاسن ولذلك فمن أجل إدراك مغزى الصلاة وإحساس طعمها لابد من جهاد النفس. فالذي لم يجاهد نفسه يحرم من إدراك لذة العبادة كالطفل الصغير الذي لا يدرك شيئا من اللذة الجنسيّة. إن لم تجاهد نفسك طوال يومك فعلى الأقل جاهدها حين الصلاة. فاختر لباسك من حلال والبسه في الصلاة. وأزل النجاسات من جسمك ولباسك. وكن طاهرا واعمل بآداب الصلاة جيّدا. إذا أطلق الإنسان عنان نفسه طوال نهاره ولبّى رغباته مهما شئت، لن ينظر الله إليه في صلاته، فما بالك بمن لم يلزم نفسه أثناء الصلاة. فجاهد نفسك أثناء الصلاة على الأقل.

## أي محبوب غير مصحوب بقيود

ليس كل محبوب ومرغوب مصحوب بقيود من بداية الأمر. هناك رغبة وهواية ممتعة جدا، وفي نفس الوقت سهلة الوصول، ويمكن ذوق طعمها من بدء الانطلاق، والمبالغة في التمتع بها ليس إسرافا، وليس هذا الحبّ الجميل سوى حبّ محمد وآل محمد(ص). إن حبّ أهل البيت(ع) هدية الله سبحانه إلى أمّة النبيّ(ص). فهو حبّ وهوى لا قيد فيه. وليس في حبّ أمير المؤمنين(ع) إفراط. طبعا هذا الذي يدعي أن أمير المؤمنين(ع) إله، لم ينته إلى هذا الانحراف لشدّة حبّه، بل قد جرّه هواه إلى ذلك، إذ أن شدّة الحبّ يجعل من الإنسان مطيعا ومتأسيا بمحبوبه.

أحد العوامل التي يسّرت حبّ أهل البيت(ع) على القلوب، هو ما عانوه من ظلامة. كل من حبّ أهل البيت تزكّى كما جاء في زيارة الجامعة الرائعة: «وَ مَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وَلَايَتِكُمْ طِيباً لِخَلْقِنَا وَ طَهَارَةً لِأَنْفُسِنَا وَ تَزْكِيَةً لَنَا» .



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة
# في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١٥)

علي‌رضا بناهيان




**الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ**
**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فی مدينة طهران**
**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة**
**في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١٥)**

**إليك ملخص الجلسة الخامسة عشر من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

## الأهداف الدنيوية والأخروية لجهاد النفس

لقد درسنا في الأبحاث السابقة لحد الآن ضرورة جهاد النفس وآثاره. وفي تكملة البحث نحن بصدد الحديث عن هدفين رئيسين لجهاد النفس؛ أحدهما الهدف الدنيوي والآخر الهدف الأخروي لجهاد النفس.

## الهدف الدنيوي: ازدياد طاقة روح الإنسان على الالتذاذ والتمتّع

الهدف الدنيوي من جهاد النفس هو ازدياد طاقتنا الروحيّة على الالتذاذ والتمتّع الأكثر بدلا من تنويع اللذات وتكثيرها. يجب أن نعلم أنّه لا يستطيع الإنسان أن يسيطر على حياته ويزيدها لذّة إلا بعد أن صعّد طاقته الروحيّة عبر جهاد النفس. إنّ بعض طلّاب اللذة، يطمعون أن يتمتعوا بلذات كثيرة بلا جهاد النفس، غافلين عن هذه الحقيقة وهي إن لم يجاهدوا أنفسهم يضعفوا عن التمتع بكثير من اللذات.

## كيف نزداد لذة من الطعام والمنام واللذة الجنسية

إن واجهنا شخصا غير عارف بالله وغير مؤمن بالمعاد ولم ير هدف الخالق من خلق الإنسان ولم يجعل عالم الآخرة هدفا له في حياته فلابدّ أن نقول له: «ماذا تريد من حياتك الدنيوية الماديّة هذه؟ ألا تريد الالتذاذ والتمتع في هذه الحياة؟! فإن كان هذا هدفك فاترك الاهتمام بتكثير أنواع اللذات وتنويعها واشتغل بتقوية روحك ونفسك لتزداد طاقة على الالتذاذ».

فعلى سبيل المثال، بدلا من الالتذاذ بكثرة النوم والذي لا يخلو من عواقب وأمراض، حاول أن تقوّي روحك بالاستيقاظ في الأسحار، فإنك لو فعلت ذلك، سوف تزداد لذة من النوم في مدى البعيد حتى لو لم تكن مؤمنا بالله. وكذلك إن كنت من هواة اللذات الجنسية وأردت أن تزيد حظك منها، فاترك النظر الحرام فستزداد حظا من اللذائذ الجنسية. وكذلك إن أردت الالتذاذ بطعامك وشرابك، فقلّل من التنويع والإكثار لكي تزداد لذة من الأكل. وكذلك إن شئت أن تعيش بمزيد من السعادة والسرور فلابدّ أن تتجرّع بعض جرعات الغضب وتكتمه.

## الحياة الأفضل في هذه الدنيا، مشروطة بجهاد النفس

إذا استطاع الإنسان أن يقوّي روحه ويزيدها طاقة على الالتذاذ، عند ذلك سوف يلتذ بغرة الفجر والشعر والبحر والجبال والطبيعة لذة لا يشعر بها غيره وسوف يلتذ بأشياء لا يلتذ بها كل إنسان. بالإضافة إلى كوننا مضطرّين إلى جهاد النفس شئنا أم أبينا، كذلك نحن بحاجة إليه في سبيل تحقيق حياة أفضل في هذه الدنيا، وإلا فبعد ما طوينا رداء الشباب وبدت بوادر الشيخوخة على ملامحنا نتورط بأمراض شتّى كضعف الأعصاب والكآبة والسأم وغيرها. إن جهاد النفس يقوّي إرادة الإنسان ويصنع منه إنسانا لجميع الفصول ومراحل الحياة، قادرا على حفظ معنوياته ونشاطه في مختلف الظروف ومنعطفات الحياة سهلها وصعبها، مرّها وحلوها.

## تضعيف الروح بترك جهاد النفس، مدعاة إلى الحرمان من أولى لذات الحياة

إن جهاد النفس يقوّي حياة الإنسان، وكلما ازدادت الروح قوّة، يزداد الإنسان حظا من لذات الحياة. إن بعض الناس وبسبب كثرة الفرار من جهاد النفس، قد أضعفوا روحهم بحيث أصبحوا لا يلتذّون بأولى لذائذ الحياة كاللذة الجنسية. فإن هؤلاء وبسبب ضعف روحهم لا يلتذون بحياتهم، ولذلك فتجد أعصابهم محطّمة دائما باحثين عن لذة يأنسون بها فينجرّون إلى الذنوب لكي يعوضوا عمّا يعيشونه في داخلهم من عقدة الحرمان من اللذات.

يقول أمير المؤمنين(ع): «وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ إِذَا كَانَ هَذَا قُوتُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الْأَقْرَانِ وَ مُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ أَلَا وَ إِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً وَ الرَّوَاتِعَ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً وَ النَّابِتَاتِ الْعِذْيَةَ أَقْوَى وَقُوداً وَ أَبْطَأُ خُمُودا»[نهج البلاغة/ الكتاب٤٥] نحن وللأسف قد أضعفنا روحنا بترك جهاد النفس، فلنتب إلى الله ونقل له: «ظلمت نفسي»؛ يعني إلهي لقد أتلفت نفسي! فقد لبيت هواي طيلة عمري وانشغلت بالفسوق والعصيان، إلهي اغفر لي ذنوبي وإطاعة نفسي، فلم أبقِ لي حولا ولا قوة ولا إرادة، فأصبحت إنسانا بلا تركيز وبلا بال صافٍ، عاجزا عن الالتذاذ بالطبيعة، ضعيف الجسم والبدن، فلا يقدر على خدمة غيره، لقد أصبحت إنسانا ضعيف النفس... فخذ بيدي سيدي وأجبر ضعفي. «قَوِّ عَلَى خِدْمَتِكَ جَوَارِحِي»[دعاء كميل] لقد نقل أحد الأشخاص الذي كان قد زار سماحة الشيخ بهجت(ره) وقال: «أثناء حديثي مع سماحته، وجدت الشيخ بهجت(ره) ما زال يحفظ تفاصيل دقيقة جدا عن أيام ماضية وهو في ذاك العمر الكبير!» فمن أين حصل على هذه الحافظة القويّة؟! بطبيعة الحال إنّها بسبب جهاد النفس، طبعا ضمن البرنامج الذي يعطيه الدّين.

## من عجز عن تكوين حياة دنيوية صحيحة، يعجز عن إعمار آخرته أيضا

من أراد أن لا يكون ضعيفا في حياته الدنيويّة ويحصل على قوّة روحيّة، لابدّ له من جهاد النفس. لا يخفى أن هذا هو ليس الهدف الرئيس من جهاد النفس، بل إنما هو الهدف الدنيوي منه الذي يوفّر الحد الأدنى من الحياة لا الحد الأقصى من العبودية. أمّا على أيّ حال هذا الذي لا يقدر على تكوين حياة دنيوية صحيحة، فهو عاجز عن إعمار آخرته أيضا. من أراد أن يخدم عباد الله ويخدم بلد صاحب العصر والزمان(ع) لابدّ له أن يحظى بالموهبة والقوّة والمكنة اللازمة لهذا الشأن، وإنها تحصل بجهاد النفس.

## الأصل الأول في تطور الجامعات في الجانب العلمي هو جهاد النفس

إذا عـرف الجامعيـون أسرار جهـاد النفـس ومـدى تأثـيره عـلى قـوّة الإنسـان الروحيـة والفكريـة، سـوف يصبـح جهـاد النفـس الأصـل الأوّل في التطـوّر العلمـي في جميـع الجامعـات. وهـذا مـا قـد أثبتـه علـم النفـس أيضـا. يعتقـد علـماء النفـس أن «نسـبة الـذكاء» ليسـت العامـل الرئيـس في النجـاح والإبـداع العلمـي، بـل هـو مفهـوم آخـر وعندمـا يشرحـون هـذا المفهـوم نجـد أنـه جهـاد النفـس بعينـه.

في أحـد الاختبـارات، جمـع المحققـون مجموعـة مـن طـلاب الابتدائيـة في غرفـة وجعلـوا فيهـا حلويّـات، ثـم قالـوا لهـم: «العبـوا مـا شـئتم ولكـن لا تأكلـوا الحلويّـات حتـى نرجـع، ولـكي نعطيكـم جوائـز». بعـض الأطفـال لم يبالـوا بهـذا القانـون وبـدأوا بـأكل الحلويّـات، وبعضهـم صـبروا فـترة ثـم بـدأوا بأكلهـا بعـد نفـاد صبرهـم وبقـي قلـة قليلـة مـن الأطفـال صـبروا إلى النهايـة ولم يأكلـوا مـن الحلويّـات شـيئا. ثـم بعـد إجـراء اختبـارات عديـدة أخـرى عـلى هـؤلاء الأطفـال ومتابعـة حياتهـم بدراسـات وإحصـاءات عديـدة، خرجـوا بنتيجـة أن هـؤلاء الأطفـال الذيـن لم يسـتعجلوا بـأكل الحلويّـات كانـوا في الواقـع أكـثر سـيطرة عـلى أنفسـهم، وتوفّقـوا أكـثر في حياتهـم حتـى وإن كانـت نسـبة ذكائهـم أقـلّ مـن غيرهـم.

## الشاب المدمن على الموسيقى في الواقع قد هدم قسما من قواه الذهنية

لماذا قـال سـماحة السـيد القائـد: «لا تروجـوا الموسـيقى في الجامعـات»؟! لم يكـن السـبب هـو حرمـة بعـض أنـواع الموسـيقى وحسـب إذ لا خصوصيـة لحرمتهـا في الجامعـات، فلعـلّ السـبب مـن ذكـر الجامعـات بالخصـوص هـو ضرورة حفـظ المسـتوى العلمـي والقـدرة عـلى إنتـاج العلـم في الجامعـات. كان يقـول الإمـام الخمينـي(ره) وكذلـك المرحـوم شـاه آبـادي(ره) أن الشـاب المدمـن عـلى الموسـيقى قـد هـدم قسـما مـن طاقاتـه الذهنيـة والروحيـة ولا تبقـى لـه طاقـة بعـد للنشـاط العلمـي، إذ أن الموسـيقى تسـلب الإنسـان قدرتـه عـلى التركيـز. قـد يقـول البعـض: «بالعكـس؛ الموسـيقى تزيدنـا تركيـزا»! ولكـن الحقيقـة هـي أننـا لا ينبغـي أن نتـكل عـلى الموسـيقى مـن أجـل التركيـز، بـل يجـب أن نتـدرب عـلى التركيـز بـلا هـذه العوامـل، وإلا فسـوف تضعـف قوانـا الذهنيّـة. ولذلـك كان يقـول الإمـام الخمينـي(ره) إن الشـاب الـذي يدمـن عـلى الموسـيقى لا تبقـى لـه قـوّة وطاقـة بعـد؛

فقد قال الإمام الخميني(ره): «الإذاعة والتلفزيون التي ينبغي أن تكون معلّمة، يجب أن تقوّي الشباب وتمنحهم قوّة. لا ينبغي للتلفزيون أن يبث الموسيقى عشر ساعات، ويسلب شابّنا قوته ويجعله في حالة من النشوة والخلسة، فهذه تشبه المخدّرات ولا تفرق عنها كثيرا وتسبّب حالة من النشوة»[صحيفة الإمام(الفارسية)، ج٩، ص٢٠٥] وكذلك قال الإمام(ره): «ومن جملة القضايا التي تخدّر الأدمغة هي الموسيقى. فعندما استمع دماغ الإنسان إلى الموسيقى فترة من الزمان، يتحول هذا الدماغ إلى دماغ إنسان غير جادّ، فإنها تخرج الإنسان عن جدّيته وتلفته إلى قضايا أخرى. كل هذه الوسائل التي ذكرنا بعضها وقد أعدوا إلى ما شاء الله من هذه الوسائل، كلها في سبيل إغفال الشعب عن مقدّراته وإلفات أنظاره إلى قضايا أخرى وحرفه عن قضايا اليوم حتى لا يزاحمهم...»[صحيفة الإمام(الفارسية)ج٩، ص٢٠٠] وكذلك قال الإمام الخميني(ره): «الإنسان المدمن على المخدرات لا يهتمّ بالبلد. الإنسان الذي أدمن دماغه على الموسيقى لا يستطيع أن يفكر بالبلد»[صحيفة الإمام، ج٩، ص٤٦٤] طبعا كان الإمام الخميني(ره) يتخذ أحيانا مواقف أصلب وأشد تجاه الموسيقى، فعلى سبيل المثال قال: «إذا أردتم لبلدكم أن يكون سالما وبلدا حرّا وبلدا مستقلا، ينبغي أن تتعاملوا مع القضايا بجدّ وتبّدلوا الراديو والتلفزيون إلى أجهزة تعليميّة. احذفوا الموسيقى، ولا تخشوا من أن يرموكم بالرجعيّة لكوننا حذفنا الموسيقى. لا بأس أن نكون رجعيّين! فلا تخشوا. هذه الكلمات خطة لإرجاعكم عن العمل الجادّ. ما يقال من أنه إن حذفت الموسيقى من الراديو فسيحصل الناس على الموسيقى من أماكن أخرى، [فهو كلام غير صائب] دعوهم يأخذونها من مكان آخر، ولكن أنتم لا تلوّثوا أنفسكم، وبعد ذلك فسيرجع الآخرون إلى هنا شيئا فشيئا. ليس هذا بعذر صحيح أنه إن خلا الراديو من الموسيقى فسيذهب البعض إلى مكان آخر لتحصيلها. فإذا حصلوا على الموسيقى من مكان آخر، هل ينبغي لنا أن نقدم لهم الموسيقى؟! وهل يجوز لنا أن نخون؟! إن هذا السلوك لخيانة للبلد وخيانة لشبابنا. احذفوا الموسيقى بتاتا واستبدلوها بشيء تعليمي مفيد. وعوّدوا الناس وشبابنا شيئا فشيئا على التعلّم، وأرجعوهم من عادتهم الخبيثة تلك.

عندما تلاحظون أن شبابنا يذهبون إلى نغمات أخرى إن فقدوها هنا، فإنما ذلك بسبب عادتهم! وهذا ما يدلّ على أنهم قد فسدوا. والآن فنحن مكلفون بإرجاع هذا الجيل الذي قد فسد إلى الصلاح، وأن لا نسمح لصغارنا أن يفسدوا ونقف أمام ذلك. لابدّ أن تحمل هذه المسائل على محمل الجدّ»[صحيفة الإمام،ج٩، ص٢٠٥] وكذلك قال في كلمة أخرى: «كانت الإذاعة والتلفزيون في زمن الطاغوت تباشر بنشاطات طاغوتية. كانت قد صبت نصف نشاطها في تضعيف شبابنا بالموسيقى. الموسيقى تضعّف روح الإنسان وتسلب الإنسان استقلاله الفكري. كان نصف نشاط الراديو والتلفزيون بث الموسيقى. حاولوا أن تتركوا الموسيقى. لا تزعموا أن الموسيقى هو أمر لازم للبلد المتطوّر. الموسيقى تخرّب أدمغة أطفالنا وتفسدها. إذا كانت الموسيقى تقرع أسماع الشابّ بشكل مستمر، فإنه لا يقدر على مواصلة العمل ولا يقدر على التفكير الجادّ. وهذا هو السبب من تأكيدي على حذفها. ولعلّي عشر مرّات أو أكثر قد أكدت على السيد قطب زاده (مسؤول الإذاعة والتلفزيون يومذاك) وقلت له أن احذف الموسيقى من الإذاعة، ولكنه يقول: «لا يمكن». أنا لا أعلم ما معنى «لا يمكن»؟ ولماذا لا يمكن؟ اسمعوا كلامي. أنا أقول إن عملنا بشيء لصلاح شعبنا، ثم جاء الغربيون أو المتغرّبون وعابوا علينا واتهموا فعلنا بالرجعيّة، فهل ينبغي أن نترك عملنا ونذهب وراءهم، أو يجب أن نرى مصلحتنا؟ يجب علينا أن نتأمل في أن هذا الجهاز الذي يجب أن يكون معلّما ومربّيا وبنّاء للشعب، لا ينبغي أن يديره الإنسان بطريقة بحيث يغفل الناس عن مقدّراتهم ويصبح همّهم هو الجلوس أمام التلفاز وتلقّي هذه البرامج بسمعهم وأبصارهم، ثم يفسد باطنهم بعد أيّام قليلة ويفرغ من محتواه. لا تخافوا من أن يرموكم بالرجعيّة. لق نسبوا لنا ذلك خمسين سنة، وليقولوا ذلك بعد هذا فها نحن كذلك. تلقوا هذه المسائل بجدّ ولا توجّهوا آذانكم إلى أوروبّا لتروا ماذا تقول. وإذا أردتم أن تحسنوا في العمل فلابدّ أن تفرّغوا الإذاعة والتلفزيون من القضايا المضعّفة لقلب الإنسان ولدماغة والتي تبعد الإنسان من إنسانيّته وتسلبه استقلاله الفكري.»[صحيفة الإمام(الفارسية)، ج٩، ص١٥٦ـ١٥٨] كلما شاهد الإنسان أنه يعاني من ضعف غير معقول في حياته الدنيويّة، فليعرف بأنّه قد فرّ من جهاد النفس في أحد مواطنه.



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١٦)

علي‌رضا بناهيان




**الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ**

**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران**

**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١٦)**

**إليك ملخّص الجلسة السادسة عشر من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

## الأهداف الدنيوية والأخروية لجهاد النفس

لقد درسنا في الأبحاث السابقة لحد الآن ضرورة جهاد النفس وآثاره. وفي تكملة البحث نحن بصدد الحديث عن هدفين رئيسين لجهاد النفس؛ أحدهما الهدف الدنيوي والآخر الهدف الأخروي لجهاد النفس.

## جهاد النفس من أجل الحصول على الأهداف الدنيوية أمر ضروري لجميع المجتمعات البشريّة

لقد ذكرنا في الجلسة السابقة أحد الأهداف الرئيسة والمهمّة لجهاد النفس وجرى الحديث حوله باختصار. وكان الهدف عبارة عن أننا إذا سيطرنا على هوى نفسنا واستطعنا أن نسيطر على بعض رغباتنا الدانية، سوف نحظى بشخصيّة أقوى تمكّننا من نيل أهدافنا الدنيوية بشكل أفضل. وإن جهاد النفس هذا من أجل الحصول على الأهداف الدنيوية أمر ضروري لمجتمعنا وجميع المجتمعات البشريّة. إذا كان أهل العالم يمارسون المعاصي وينخدعون بمكائد إبليس، فذلك بسبب أن قد كُذِب عليهم بأن سوف يتمتعون بمزيد من اللذات في هذه الدنيا عبر المعاصي والذنوب، مع أن الواقع هو أن ترك جهاد النفس، يؤدي إلى قلة التذاذ الإنسان في هذه الدنيا فضلا عن الآخرة. إنّ استقبال المصاعب وإيجاد النظم والانضباط في الحياة وتكوين شخصية أقوى عبر جهاد النفس، هي من العوامل التي تقوّي الإنسان على الاستمتاع بلذائذ الحياة الدنيا.

## اتباع الهوى مدعاة لذلّ الإنسان وهوانه، وبالتالي عجزه عن إعمار دنياه

إن تـرك اللـذة تمهّـد الإنسـان للالتـذاذ، إذن أحـد أهـداف جهـاد النّفـس المهمّـة هـو إعـمار حيـاة الدنيـا، إذ أنهـا تزيـد الإنسـان قـوّة وقـدرة عـلى التركيـز، في حـين أن اتبـاع الهـوى مدعـاة لـذلّ الإنسـان وضعفـه وهوانـه وبالتـالي عجـزه عـن إعـمار دنيـاه. كـما يمكـن مشـاهدة آثـار جهـاد النفـس في مجـال الصحـة وسـلامة النفـس أيضـا. فعـلى سـبيل المثـال الإنسـان الـذي يجاهـد نفسـه ولا يكـذب، يحظـى باطمئنـان ولا يتشـوّش بالـه ولا شـكّ في أن الحيـاة الأفضـل بحاجـة إلى هـذا الاطمئنـان.

## الهدف الرئيس من جهاد النفس هو لقاء الله

وإن كان أحـد أهـداف جهـاد النفـس المؤكـدة هـو الحصـول عـلى حيـاة أفضـل في الدنيـا، ولكنّـه هـدف فرعـي، إذ سرعـان مـا ينتهـي أمـد الحيـاة الدنيـا. وأيّ إنسـان سـليم يقنـع بعمـران دنيـاه فقـط، مـع أنـه سرعـان مـا تمـرّ وينتهـي شـوطها؟ فمثـل هـذا الهـدف ليـس بهـدف سـام وقيّـم بـأن نهـدف إلى حيـاة أفضـل في هـذه الدنيـا عـبر جهـاد النفـس، فـلا ينبغـي أن نعتـبر الحيـاة الدنيويـة الأفضـل هدفـا رئيسـا لجهـاد النفـس، بـل ينبغـي أن نعتبرهـا هدفـا فرعيـا وأحـد فوائـد جهـاد النفـس. بعـض الأحيـان عندمـا يشـاهد الإنسـان بعـض هـذه البرامـج في القنـوات والفضائيـات والتـي تسـتضيف شـخصية موفقـة وناجحـة مثـلا، يشـعر بالمهانـة مـن شـدّة الأهـداف النازلـة التـي تـروج لهـا هـذه البرامـج. فتراهـم يسـتضيفون الضيـف الناجـح والموفّـق في الحيـاة ويصفـق لـه الجمهـور وهـو يطـرب لصـوت التصفيـق، وإذا بـه لم يصـل إلّا إلى هـدف بسـيط جـدا ومحـدود بأيـام قليلـة مـن هـذه الدنيـا. وفي الواقـع إنجـازه هـو أن يصفـق لـه جمهـور البرنامـج ولا غـير! ولا يسـأل أحـد عـن مـدى حفاظـه عـلى اطمئنانـه وعقلـه وفطرتـه وصفـا باطنـه.




ويـودّ بعـض النـاس أن يدّنسـوا سـاحة السياسـة بهـذا الانحطـاط، بحيـث يحـدّدوا نطـاق النجـاح السـياسي ونجـاح الناشـط السـياسي بإنجـاز الأهـداف المحـدودة بهـذه الدنيـا. فتعسـا لمثـل هـذا الفكـر العـار عـلى البـشر. لقـد اجتـاز البـشر مـن هـذه المرحلـة. متـى صـارت الأهـداف السياسـية محـدودة بإعـمار الدنيـا؟! فـإنّ هـذا الفكـر هـو عـين الوثنيـة وعـين الحماقـة والجهـل والسـفاهة، ولابـدّ مـن إيجـاد ثـورة عـلى مثـل هـذه الـرؤى المنحطّـة، وإلا فـلا تخلـو أوسـاطنا السياسـية مـن أنـاس منحطّـين بحيـث يقلّلـون أهـداف الإنسـان السـامية في شـعاراتهم السياسـية إلى مسـتوى هـذه الدنيـا الدنيّـة. طبعـا لا يقتـصر هـذا الـكلام بموضوع السياسـة، بل يجـب أن تكون أهـداف جميع النشـاطات الاجتماعية والإنسـانية أسـمى مـن هـذه الدنيـا، وكذلـك إن واجهنـا أيّ مفهـوم مرتبـط بالنجـاح والتوفيـق، مـن قبيـل مـؤشرات الإنسـان الموفّـق، أو الأسرة الناجحـة أو المجتمـع السـالم والمتطـوّر، أو النظـام السـياسي الناجـح، أو النظـام الاقتصـادي الناجـح، لابـدّ أن لا نحـدّد التوفيـق والنجـاح في هـذه الأصعـدة المختلفـة بالنجـاح الدنيـوي، وإلّا فيكـون تعريفنـا عـن النجـاح والتوفيـق أقـلّ مـن شـأن الإنسـان. لمـاذا نريـد أن نجاهـد أنفسـنا؟ قسـم صغـير مـن آثـار جهـاد النفـس هـو تحسـين الحيـاة الدنيـا، ولابـد مـن تحسـين الدنيـا لتحلـو حيـاة المؤمنـين وتـزداد صفـاء ولـذّة وقـوّة وتكـون أفضـل مـن حيـاة غـير المؤمنـين ونحـن لا نغـضّ الطـرف عـن هـذا الجانـب، ولكننـا لا ننظـر إلى هـذا الجانـب كهـدف أصـلا، بـل ننظـر إليـه كواحـدة مـن فوائـد جهـاد النفـس. كـما أنـك عندمـا تريـد أن تذهـب إلى مشـهد، لابـدّ لـك أن تمـرّ بمدينـة نيشـابور، ولكـن ليسـت نيشـابور بهـدف في سـفرك، بـل هـي إحـدى فوائـد الذهـاب إلى مشـهد. فليـس مـن الصحيـح أن تقـول أنـا بصـدد الذهـاب إلى مشـهد وكذلـك الذهـاب إلى نيشـابور! إذ عندمـا تلاحـظ الهـدف الأقـصى، عنـد ذلـك تتحقـق الفائـدة ويُنجـز الهـدف المتوسـط والـداني بطبيعـة الحـال. لا ينبغـي أن نحـدّد الهـدف مـن جهـاد النفـس باعتبـاره الطريـق الوحيـد، بتحسـين الدنيـا وإعمارهـا وتكويـن حيـاة أيـسر. فنحـن بصـدد جهـاد النفـس في سـبيل تحقيـق هـدف مهـمّ جـدا. فـما هـو ذلـك الهـدف المهـم الـذي قـدّر اللـه أن يكـون الطريـق إليـه يمـرّ مـن جهـاد النفـس؟ ومـا هـو ذلـك الحـدث المهـم الـذي يجـب أن نجاهـد أنفسـنا في سـبيل تحقيقه، ونسـتمر بجهاد النفـس حتى تعمّـر آخرتنا فضلا عـن دنيانـا؟ لقـد تـمّ تحديـد هـذا الهـدف السـامي مـن قبـل اللـه، ولكـن يجـب علينـا معرفتـه فقـط.

صحيح أن بعض الناس قد لا يرتاح عندما يرى أنه لا دور له في تحديد الهدف الرئيس من حياته، ولكن لا مفرّ من ذلك، إذ يجب أن نسأل خالق الإنسان أن لأيّ غاية خلقنا؟ فإنك إن عرفت هذا الهدف جيّدا، تستطيع أن تعشقه. أمّا من كان باردا لا حافز له ولم يحمل القوّة والطاقة اللازمة لسلوك هذا الطريق الوحيد، فهو لم يتعلق بهذا الهدف بعد. إن جاذبية هذا الهدف أقوى من جاذبيّة الأرض التي تسحب الأشياء إليها وكذلك أقوى من جاذبية القمر الذي يسبب مدّ البحر. فهل لله جاذبية أيضا؟! نعم ومن المؤكد أن الله جذّاب. وقد خلقنا لنصل إلى الله ونلتذّ بالقرب منه. (إنّا لله وإنا إليه راجعون) و (و إليه المصير). إن يوم القيامة بمثابة الشارع الذي يجب أن نجتازه في سبيل الوصول إلى حيّنا وهي الجنة، وهناك يحدث الحدث الرائع الذي لا يوصف وهو لقاء الله سبحانه. لقد خُلِقت في سبيل لقاء الله وقد صنعت من أجله. إن خالقك هو الذي حدّد هدفك ولم يسمح لك بتحديد هدفك الرئيس. إلهي! لماذا خلقتني؟! فإن سألته يجبك: لقد جئت إلى هذه الدنيا لتستمتع بالراحة واللذة. لقد خُلِقت من أجل اللذة ولكنك تطلب اللذة الحقيقية، وأمّا اللذّات الفانية فتؤذيك وتضرّك. لقد صنعتك من أجل لذّة عظيمة جدا، وهي لذّة لقائي. فقد خلق الإنسان في سبيل لقاء الله. كلّ لذة تفنى وتنفد ما عدا لذة لقاء الله فإنها غير متناهية.

## جميع الناس ـ شاءوا أم أبوا ـ سائرون في سبيل لقاء الله

يقول الله سبحانه في القرآن: (يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقيه)[الانشقاق/٧] وكما تلاحظون لم يأت خطاب الآية بصيغة «يا أيها الذين آمنوا»، بل قد خاطب جميع الناس، يعني جميع الناس ـ شاءوا أم أبوا ـ سائرون في سبيل لقاء الله، ولكن بإمكان الإنسان أن يدير محنه ومصاعبه بحيث يحظى بلقاء أمتع وأجمل مع الله، وكذلك يستطيع أن يتجرّع المصاعب والمتاعب بلا هدف وبرمجة، وبلا أن تترك أثرا إيجابيا على لقائه مع الله.

## هيجان لقاء الله هيجان غير متناهٍ

إن لقـاء اللـه ممتـع جـدّا، وإنمـا أصحـاب القلـوب السـوداء فقـط لا يسـتطيعون أن يفكّـرون بهـذا اللقـاء. فمـن كان يحظـى بـشيء قليـل مـن صفـاء القلـب قـادر عـلى إحسـاس حـلاوة لقـاء اللـه. طبعـا إن حـلاوة لقـاء اللـه تختلـف عـن باقـي اللـذّات كلهـا، إذ أن اللـه هـو الخـلّاق. قـد يصـدف أن نـرى إنسـانا غـير جميـل يرسـم لوحـة جميلـة جـدّا، ولكـن اللـه سـبحانه ليـس هكـذا، إنـه خالـق الجـمال ولا شـك في أنـه أجمـل مـن كل جـمالٍ خلقـه. إن هيجـان لقـاء اللـه هيجـان غـير متنـاهٍ، بحيـث يواجـه المؤمـن لـذّة جديـدة في أيّ لقـاء، فينـسى بهـا اللـذّات السـابقة. إن اللـه موجـود غـير محـدود، وكذلـك لا حـدّ للـذّة لقائـه. قـد يسـأل سـائل: ألا نضجـر مـن الجنّـة؟! كلا! لأننـا سـوف نتمتـع في الجنـة بلقـاء اللـه ولـن يصبـح هـذا اللقـاء أمـرا مكـرّرا رتيبـا، و نحـن قـد خلقنـا مـن أجـل الاسـتمتاع بلقـاء اللـه نفسـه. أسـأل اللـه سـبحانه وتعـالى أن يذيقـك ـ أخـي العزيـز ـ شـيئا قليـلا مـن لـذّة لقائـه في الصـلاة، فبعـد ذلـك تقطّـع نفسـك وتـرضى بـكلّ شيء في سـبيل أن تـزداد حظّـا مـن هـذه اللـذّة الـلا نهائيـة. وبعـد ذلك تبقـى خجـلا مـن اللـه سـبحانه لشـدّة منّه عليـك ولا تزال تشـعر بالبهجـة والـسرور بذلك اللقـاء، وتقضي باقـي أيـام حياتـك باشـتياق هـذا اللقـاء وانتظـار تجربـة أخـرى مـن ذلـك اللقـاء، وتبـكي شـوقا لسـاعة اللقـاء ومـا أجملهـا مـن سـاعة. ثـم تُكـرَه عـلى البقـاء في هـذه الدنيـا ولـو كان الأمـر بيـدك لغادرتهـا شـوقا إلى لقـاء اللـه. وأساسـا تتغـير ماهيـة حياتـك في هـذه الدنيـا بعـد تجربـة لقـاء اللـه في الصـلاة.

أنـا لا أدري مـا الـذي تريـدون أن تفعلـوه في سـبيل نيـل شيء مـن لقـاء اللـه في هـذه الدنيـا، هـل تريـدون أن تذكـروا اللـه كثـيرا، أو تدمنـون عـلى دعـاء جوشـن الكبـير مثـلا، أو تريـدون أن تصلّـوا بـكل أدب وخضـوع، أو عزمتـم عـلى تـرك بعـض اللـذات في سـبيل إدراك تلـك اللـذة العظيمـة، أو تريـدون أن تقطّعـوا أنفسـكم إربـا إربـا... لا أدري مـاذا سـوف تفعلـون، ولكـن اسـألوا اللـه أن يذيقكـم طعـم لقائـه، وادعـوا لي أنـا المسـكين الـذي أكـثر منكـم حرمانـا وخيبـة.

طبعا كل الناس جميعا يلاقون الله سبحانه، ولكن بعضهم سوف يلاقونه في أحسن الحال، وبعضهم يلاقونها في أسوأ الحال. ولقاء كل فرد بالله يختلف عن لقاء الفرد الآخر، فإذا أردنا أن نجسّد تلك الحقيقة الرائعة بألفاظنا الصغيرة نقول: إن البعض لا يجد في لقاء الله سوى ابتسامة ربّه في وجهه، وبعض يضمّه الله إليه، وبعض يباهي به الله وهذه هي ألذ لذّات العالم. فيا أيها الإنسان الذي تطرب وتنتعش بتصفيق قاعة مليئة بالناس لك، فما تفعل إن صفّق الله لك؟ عند ذلك سوف لا تشتري أهل العالم بفلس أحمر، لشدّة غناك عنهم وشدّة لذّة لقاء الله. سوف يأتي اليوم الذي ندرك فيه كل هذه الحقائق وذلك يوم القيامة. في ذلك اليوم إذا امتنع الله من أن يكلّم أحدا، يكون أشدّ عليه من عذاب جهنّم. سوف ندرك في ذلك اليوم مدى لذة لقاء الله، فإذا امتنع الله من النظر إلى أحد سيكون أشدّ عليه من عذاب نار جهنّم.

## من أجل الوصول إلى لقاء الله لابدّ أن نزداد سعة والطريق إلى ذلك هو جهاد النفس

ليس لنا سوى طريق واحد للوصول إلى لقاء الله وهو جهاد النفس. فبعد أن التفتنا إلى هذا الهدف لابد أن نغض الطرف عن بعض الملذّات والرغائب. من أجل الوصول إلى لقاء الله لابدّ أن نزيد سعتنا، ولكن كيف يتمّ ذلك؟ طريق ذلك هو أن نتطهّر من الأنانيّات ونترك الرغائب حسب البرنامج الإلهي. فإذا أراد أحد أن ينظم برنامجا لجهاد النفس على أساس رأيه وقراراته الشخصيّة، يخاطبه عقله قائلا: «هل تريد أن تبرمج لنفسك بنفسك؟ فعندئذ تبقى أنانيتك على حالها. فإذا أردت «أنت» أن تترك بعض مشتهياتك، تبقى «إنيتك» على حالها وهذا نقض للغرض.

## طريق زوال «الأنا» هو استلام الأوامر من الله

لا ينبغي أن يبقى أثر لإنيتك في مقابل الله سبحانه، ولا يسمح الله لأحد أن يتشرّف بلقاء الله إلا بعد أن زالت أنانيته ورغباته أمام الله ومشيئته. لقد خطّط الله برنامجه بحيث تسيطر على شهواتك بأمره وتغض النظر عن بعض لذائذك ولابدّ أن يكون ذلك بأمر الله لا بأمرك، إذ أن طريق زوال «الأنا» هو استلام الأوامر من الله سبحانه. «الحافز» الرئيس في هذا الطريق الوحيد هو «لقاء الله»،

ولا يحقّ لك أن تضع برنامجا في هذا الطريق، فإنك لو فعلت ذلك تتكبّر نفسك مرّة أخرى. ليس تكبّر النفس بشيء جيّد، إذ أن الله هو المتكبر ولا غير، فإنّك إن تكبّرت بمقدار ذرّة، لن تجد رائحة الجنة كما في الرواية. فقد قال رسول الله (ص): «يَا أَبَاذَرٍّ، مَنْ مَاتَ وَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ قَبْلَ ذَلِك» [أمالي الطوسي/٥٣٨] وكذلك قال الإمام الصادق(ع): «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» الكافي/٢/٣١٠] لابدّ أن يطاع الله بنفس برنامجه الذي حدّده؛ لا البرنامج الذي نحدّده نحن. فقد روي عن الإمام الصادق(ع) أن الله قد قال لإبليس: «إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أُعْبَدَ مِنْ حَيْثُ أُرِيدُ لَا مِنْ حَيْثُ تُرِيدُ» [تفسير القمي/١/٤٢] فقد برمج الله المقرّرات والمقدّرات وأعلن عن الضوابط المتمثلة بالأحكام الإلهية في الدين.

## يقضي الله على أنانية الإنسان عبر التقادير والتكاليف

علينا أن نجاهد هوى نفسنا لأن لا يبقى أثر من «الأنا» وهذا هو معنى العشق الذي ما أجمله وما أمتعه وما أكثر الذين طبّلوا وزمّروا باسمه ولم يدركوا شيئا من حقيقته. لا ينبغي أن يبقى أثر من «الأنا» في مقابل المعشوق، وهذا هو الله الذي يسلب أنانية الإنسان عبر تقديراته وتكاليفه. إعطاء البرنامج من شؤون الله والأمر والنهي هما من صميم جهاد النفس. ومن شؤون العبد أن يكون منتظرا لاستلام الأمر متأهّبا لتنفيذه.

## «جهاد النفس» يعني الالتزام بالأوامر الإلهيّة

إذن «جهاد النفس» هو عبارة أخرى للالتزام بالأوامر الإلهية والذي يعبّر عنه القرآن بـ «التقوى». تأكيد القرآن على التقوى هو في الواقع تأكيد على الالتزام بالأوامر الإلهية. وركن التقوى هو جهاد النفس عبر الالتزام بأوامر الله لا العمل على أساس أميال النفس. فإنك إن جاهدت نفسك على أساس الأوامر الإلهية فقد عملت بالتقوى. كما قال أمير المؤمنين(ع): «إِنَّمَا هِيَ نَفسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقوی»[نهج البلاغة/ الكتاب٤٥] فإذا جاءك الأمر من المقام الأعلى فإنّه ذو أثر آخر، ولا يموت هوى نفس الإنسان إلا باستلام الأمر من المقام الأعلى.

يبدو من وجوهكم وأعماركم أنكم لم تكونوا حاضرين في الجبهة. فكم كان لهذا الحديث من طلّاب وشرّاء في جبهات الجهاد. كان بعض المجاهدين عشّاقا للشهادة ومتحمّسين للذهاب إلى الخطّ الأمامي، أما إذا أمرهم القائد أن لا يذهبون إلى الأمام ويبقون في مكانهم، يطيعون ويمتثلون. كنّا نرى هذه الظاهرة في كتيبتنا. وأحيانا كنا نجد بعض المجاهدين الذين كلّ ما يأمره قائد الكتيبة بالبقاء في الخلف، لا يمتثل ولا يطيع. وأكثر هؤلاء المتمرّدين لم ينالوا الشهادة بل قد انحرف بعضهم. كان أحد المجاهدين فنّانا يخطّ ويرسم لوحات ثقافية وشارات. فكان القسم الثقافي في الفيلق يطلب منه أن يبقى في الخلف ليخطّ اللوحات والشارات المطلوبة. فكان يبقى في الخلف دون أن يصرّ على الذهاب إلى الأمام، وكان يضحك ويقول: «متى ما حان الوقت يأتي صاحب البيت ويأخذنا إليه، ولا علينا سوى أن نعمل بالتكليف». في إحدى الحملات جاءوا إليه من الأمام وقالوا له: قد اشتبكت الطرق في الخط الأمامي، فأسرع إلى هناك لكتابة الشارات. فضحك وقال: ألم أقل لكم متى ما حان الوقت يأتون ويأخذوننا. وفعلا ذهب واستشهد في المرّة الأولى. أحد العلماء الكبار والمجتهدين، كان قد ذهب إلى الجبهة، فاغتبط به المجاهدون وطلبوا منه أن يأمّهم في الصلاة. ولكنّه امتنع وقال: أنا لا أتقدم على المجاهدين. فكل ما أصرّوا عليه وقالوا له: أنت شيخ كبير وعالم فقيه وفي هذا العمر قد جئت إلى الجبهة فمن أفضل منك الآن، رفض أن يتقدّم في الصلاة. إلى أن قال: في حال واحد أقبل وهو أن يأمرني قائد الكتيبة بإقامة الصلاة، فعند ذلك يجب عليّ امتثال أمره، إذ أن أمره في امتداد أمر قائد الفيلق وقائد القوّات المسلّحة وبالتالي الإمام الحجة(عج)، فإذا أمرني، يجب عليّ الامتثال شرعا.

## علاقة التقوى مع جهاد النفس في الروايات

يقول أمير المؤمنين: «رأسُ التُّقى مخالِفَة الهَوى»[عيون الحكم/٢٦٣] وكذلك قال(ع): «من جاهد نَفسه أكملَ التّقى»[غرر الحكم/ الحديث٤٩٤٠] وقال(ع) في حديث آخر: «لَا يُفْسِدُ التَّقْوَى إِلَّا غَلَبَةُ الشَّهْوَةِ»[غرر الحكم/ الحديث٦٠٠٣] وكذلك قال(ع): «طُوبَى لِمَنْ عَصَى فِرْعَوْنَ هَوَاهُ وَ أَطَاعَ مُوسَى تَقْوَاه»[عيون الحكم/٥٤٩٣]. لقد كتب أمير المؤمنين(ع) كتابا إلى معاوية فجاء فيه: «تذْكُرُ التَّقْوَى وَ أَنْتَ عَلَى ضِدِّهَا؛ قَدِ اتَّبَعْتَ هَوَاكَ»[كنز الفوائد/ج٢/ص٤٣] وهذا ما يدلّ على تضادّ هوى النفس مع التقوى. وكذلك جاء في حديث طويل عن الإمام الرضا(ع): «لكنَّ الرَّجُل كلُّ الرَّجل، نِعمَ الرَّجل هو الذّى جَعَلَ هَواه تبعاً لِأمر الله» [مجموعة ورّام/ ج٢/ص١٠٠]. فمن خلال هذه الروايات يمكن فهم الترابط الموجود بين الأمر الإلهي وبين التقوى وجهاد النفس.

## صلى الله عليك يا أبا عبد الله

أحيانا تقتضي التقوى أن تضحّي بأعزّ أعزّائك، وليس شأنك سوى أن تترقّب الأوامر فقط. فلا يكن هدفك أن تصبح إنسانا صالحا، فتفسد بهذا الطريق، بل يجب أن تنفّذ الأوامر. وأحيانا يقتضي امتثال الأمر الإلهي أن تغضّ الطرف عن كثير من القيم والأعمال الصالحة في سبيل أمر أهمّ وأسمى. أنتم تعلمون أيّها الإخوة أن أهل الإنسان وزوجته وأطفاله من أعزّ الناس عليه، كما أن لهم احترامهم وشأنهم ويجب على الإنسان أن يحافظ عليهم ويحميهم من الأخطار. ولذلك أشاروا على الحسين(ع) أن سلّمنا بأنك عازم على الجهاد ومواجهة الظالمين، ولكن لماذا تذهب بأهلك ونسائك وأخواتك وأطفالك وبناتك إلى الحرب. ولم يكن جواب الحسين(ع) إلا أن قال: لقد أمرني رسول الله(ص) بأمر أنا ماض له. نحن لو كنّا في زمن الإمام الحسين(ع) لعلّنا كنّا نقول له: إذهب جعلنا الله فداك وامض إلى امتثال أمر الله عسى أن تختم هذه القصّة بخير كما ختمت قصّة إبراهيم الخليل بخير ولم يسمح له الله بذبح ابنه. اذهب فلعلّ الملائكة تهبط وسط الطريق وتقول: لقد تقبّل الله جهادك وقد نجحت في هذا الامتحان فأرجع زينب، ولكن جاء يوم العاشر ومرّت الساعات ولم يأت خبر من السماء...

### ألا لعنة الله على القوم الظالمين



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١٧)

علي‌رضا بناهيان




**الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ**
**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فی مدينة طهران**
**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١٧)**

**إليك ملخّص الجلسة السابعة عشر من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

## نحن مازلنا مضطرين إلى مخالفة بعض أميالنا

لقد انتهى بحثنا في الجلسات السابقة إلى أننا مضطرون إلى مخالفة بعض أهوائنا، وأن هذا الاضطرار هو بسبب تركيبة وجود الإنسان وتركيبة الحياة في هذه الدنيا. وقد ذكر في ما يرتبط بتركيبة وجود الإنسان أن الطريق الوحيد لنماء قوى الإنسان الروحيّة وحتّى الجسميّة هو مخالفة بعض الأهواء والرغائب. و أمّا سبب ما تقتضيه تركيبة الحياة من مخالفة الأهواء فهي عوامل شتّى من قبيل استحالة وصول الإنسان إلى جميع آماله، وأن لابدّ للإنسان من هرم ومشيب إذا عمّر في الدنيا، وغيرها من العوامل التي تفرض على الإنسان أن يجاهد نفسه ويخالف بعض أهوائه.

## يشكّل الإيمان الحافز اللازم لجهاد النفس/ التقوى هي برنامج لجهاد النفس

الحافز اللازم لجهاد النفس هو الإيمان، وبرنامجه التقوى. إن دور الإيمان في هذه المعمعة هو أن يحدّد لك الهدف لتقدر على اجتياز هذه الساحة الخطرة بحافز قويّ وشوق بالغ. يعدك الإيمان بوجود عالم آخر أبدي خالد بعد هذه الدنيا، ويشرح لك سبب الآلام والمحن الموجودة في هذه الدنيا لكي تعرف أنها كانت لصالحك، ولتعرف أن الذي جعلك في خضمّ هذه المحن والصعاب لم يتركك سدى بلا برنامج وخارطة الطريق، فثق به واركن إليه. بعد مرحلة الإيمان، يأتي دور اجتياز ساحة الألغام عبر برنامج التقوى. فالإجابة عن كيفية جهاد النفس وما هي الرغبات التي يجب مخالفتها، وأسلوب طيّ هذا الطريق هي تشكّل نقطة الانطلاق في حركة الإنسان الدينيّة.

## العلاقة بين التقوى والعبودية

بعد أن اقتنعنا بضرورة الكفّ عن بعض رغباتنا، يطرح هذا السؤال نفسه، وهو: عن أيّ رغباتنا يجب أن نكفّ؟ فلو سألنا الله سبحانه بهذا السؤال لأجابنا: عليكم أن تغضّوا عن رغباتكم حتى لا يبقى أثر من «الأنا» في داخلكم. لذلك إن خالفت بعض أهوائك ولكنك بقيت محافظا على «أنانيتك» فقد نقضت الغرض ولا فائدة في مثل هذا الجهاد إلّا في الدنيا. إنك إن قمت بتصميم هذا البرنامج بنفسك، ففي الواقع قد أبقيت «الأنا» على حالها، أو لعلّك كبّرتها إذ قد أعددت البرنامج بها وقد أطعتها في كيفيّة مخالفة الهوى. نحن إذا برمجنا بأنفسنا لجهاد النفس، تنتفخ أنانيّتنا، فلا يبقى بدّ سوى أن يبرمج الله لنا، وقد تصدّى سبحانه لهذا الأمر عبر أوامره ونواهيه وحلاله وحرامه وواجباته وعباداته. لقد أعطانا الله برنامجا أدار به عمليّة جهاد النفس وكأنه يقول: «إذا أردت أن أدير حياتك وجهادك فلابدّ لك أن تكون لي عبدا ذليلا». والعبد لا يملك شيئا لنفسه. إن ما أراد الله منّا هو أن نترك اللذات والرغبات ولا نزال كذلك إلى أن لا يبقى شيء من أنانيّتنا ونلتذّ بعد ذلك بالعلاقة مع الله نفسه، وهذا هو معنى العبوديّة. ثم ليس هناك شراكة بيننا وبين الله بحيث يأمر الله تارة ونرتأي نحن تارة أخرى. وكلّما أخفقنا في الطريق يجب أن نتوب وسوف يمهلنا ربّنا، فإن الله أرحم الراحمين وليس بشديد على المؤمنين. ولكن بعد ما أصبحنا عبادا للّه، فكلّما حدثت منّا مخالفة للأوامر الإلهيّة يجب أن نستغفر ونعترف بالذنب.

## التقوى هو البرنامج الوحيد الذي يضمن القضاء على أنانيتك

أنت بحاجة إلى برنامج يعينك على إزالة أنانيّتك، لتصبح بعد ذلك عبدا ذليلا لله وتحظى بلذّة العبوديّة. ومن لوازم القضاء على هذه «الأنا»، هو العمل ببرنامج لا دور لك فيه. ولذلك عندما كان يُسأل الشيخ بهجت(ره) عن برنامج للسير والسلوك أو يسأل عن كتاب مفيد في هذا المجال، كان يقول: «حسبكم هذه الرسالة العمليّة». يعني برنامج طي هذا الطريق والسير والسلوك هو العمل بهذه الرسائل العمليّة. ولعلمكم كان المجاهدون في أيّام الدفاع المقدّس يعشقون الرسائل العمليّة،

إذ كانوا قد بلغوا درجة الاستعداد للتضحية، فأيقظ الله في قلوبهم شوقَ عبادته فأصبحوا يودّون أن يسمعوا أوامر الله ليمتثلوها، فكانت الرسائل العملية دواء قلوبهم. حتى أن بعض المجاهدين كانوا قد حفظوا رسالة الإمام الخميني(ره) من قبيل «الشهيد أحمد نيكجو» الذي استشهد في عمليات كربلاء خمسة، فقد نقل عنه أنه كان قد حفظ رسالة الإمام.

## إن برنامج جهاد النفس هذا، يرقّينا إلى درجة العبوديّة

إذا أدرنا عمليّة جهاد النفس بأنفسنا، فلا فائدة فيها ولا تزال تسمّى «عبادة النفس» لا «عبادة الله»، ولا نفرق حينئذ عن أولئك الذين يتحملّون الكبد والعناء ولكنّهم لا يتطوّرون. فإنْ تحمّل المعاناة أحد من الناس ولم يتنوّر قلبه فليعرف أن قد عانى وكابد بغير صواب، يعني أنه جاهد نفسه وعانى ما عانى ولكنّه لم يسيطر على هوى نفسه بعد. مضافا إلى أن المعاناة أمر لابدّ منه في هذه الدنيا، فإن لم يعان الإنسان في سبيل الله، فسوف يعاني لا محالة في سبيل نفسه.

إن جهاد النفس يصيّرنا عبادا لله، إذ أن العبد الحقيقي، هو من كان على استعداد من امتثال أمر مولاه والتحرّك ضمن برنامج مولاه، كالعبيد حين يمتثلون أوامر أسيادهم. إن علاقتنا مع الله تختلف كثيرا عن علاقتنا مع شرطيّ المرور. إذ تهدف أوامر شرطي المرور إلى تنظيم السياقة والمرور في المدينة على أساس قوانين المرور، ولا دخل له بحديثنا داخل السيّارة مثلا. ولكن علاقتنا مع ربّ العالمين ليست هكذا. إنه يصدر مجموعة من الأوامر، ثم ينظر إلينا فردا فردا ليرى هل بقي شيء من أنانيتنا أم لا، حتى إذا وجد لها أثرا يقضي عليها عبر الامتحانات ومحن الحياة. طبعا يفعل الله ذلك بمنتهى الرحمة والصبر والصفح، فإنه يرضى بالقليل من أعمالنا ويصفح عن كثير. فلابدّ أن نرى جميع صفات الله ولا نؤكّد على جانب منها فقط. فإنّ الله يحاول أن يقضي على هوى نفسنا في هذه الدنيا ولكن بمنتهى الرأفة.

## التقوى هي جهاد النفس ولكن بشرطين...

يجب علينا أن ندع بعض اللذات جانبا في سبيل أن نحظى بلذة لقاء الله ونذوق طعم هذا اللقاء. ينبغي لنا بحكم العقل أن نتغاضى عن بعض اللذات طمعا باللذات الأفضل. في مثل هذه الليالي يجب أن نتوب من ذنب غفلتنا عن أعظم لذّة في العالم. فقد جعل الله شهر رمضان في سبيل أن نشتغل به. فلا نجد بدّا سوى أن نسلّم أنفسنا إلى الله ونقول له: ربّنا نظّم حياتنا بنفسك. فيقول الله بلسان حاله: «نعم لابدّ من ذلك! وإلى من أكلك؟ فإلى أي أحد أكلك صرت عبده ولن تصل إليّ بعد. بينما يجب أن تكون عبدي وأن تفني نفسك في سبيلي، ويجب أن تفقد نفسك لتنال لذّة لقائي. إذن فيجب أن أديرك بنفسي فأسمّيك عبدا. فبعدما قبلت أن تكون لي عبدا يجب عليك أن تمتثل أوامري. وليَكُن شأنك الوحيد هو اتباع أوامري وأحكامي بلا فرق بين التقديرية منها وبين التكليفيّة». بعدما قبلنا أصل العناء والكبد، لابد أن نلتفت إلى «البرنامج» ونسعى للتحلّي بالرضا بالمصاعب في هذا الطريق. عندما يعطينا الله سبحانه وتعالى برنامجه في جهاد النفس، لا يستخدم عبارة جهاد النفس، بل يتحدث عن «التقوى». التقوى هي ليست جهادا للنفس وحسب، بل هي جهاد للنفس مع خصيصتين: ١ـ تشتمل على صبغة إلهية فإنك وعبر لزوم التقوى لا تجاهد نفسك في سبيل الدنيا فقط، بل تجاهدها لتنال لقاء الله سبحانه. إذن التقوى هي جهاد النفس بعينه، ولكن في سبيل الله. ٢ـ التقوى هي جهاد النفس ولكن عبر البرنامج الإلهي.

## لقد جعل الله عقبة في طريق عبادته

إذا استطاع الإنسان أن يدع رغباته امتثالا لأوامر الله وفي سبيل أن ينال لقاء الله ويحظى بلذّة قربه، وراح يطبّق البرنامج الإلهي بحذافيره حتى صار عبدا مطيعا، لا يدلّ ذلك على زوال أنانيّته، بل لا تزال نفسه قادرة على خداعه. يعني حتى لو امتثلنا جميع أوامر الله سبحانه، قد تكون «نفس» الإنسان باقية على قوّتها. إلهنا! لقد سلّمنا لك أنفسنا ورضينا بأن تكون أنت صاحب القرار في التكليف والتقدير ونحن راضون بذلك وقد أصبحنا عبادا لك، فأي مرض يبقى بعد هذا؟ هنا يجيبك الله قائلا: «يبدو أنك شعرت بالقرب مني ولعلك لم تشعر بالبون الشاسع بيني وبينك وهذا ما يدلّ على بقاء أنانيّتك بعد».

ففـي سـبيل فـرز أولي النفـوس المتكـبّرة مـن غيرهـم، قـد جعـل اللـه عقبـة في طريـق عبادتـه وهـي قبـول «الولايـة». فـإن كان لابـدّ لنـا مـن تلقّـي أوامـر اللـه، فالنبـيّ هـو الـذي يبلغنـا أمـره. فمـن أراد أن يسـتلم أوامـر اللـه مبـاشرة بـدون واسـطة النبـي، فهـو متكـبّر. هـذا هـو قانـون اللـه وهـذه هـي شريعتـه. فبمقتضاهـا لا تكفـي إطاعـة اللـه وحسـب وإنـك لم تكـن قاضيـا عـلى أنانيتـك وهـوى نفسـك بمجـرّد إطاعـة أوامـر اللـه، بـل يجـب أن تمتثـل أوامـر الإنسـان الـذي أمـر اللـه بطاعتـه. وإطاعـة مـن أمـر اللـه بطاعتـه هـي مـا نسـمّيها بالولايـة بمعناهـا الخـاصّ. الولايـة هـي المرحلـة القصـوى الدالـة عـلى طهـارة الإنسـان. الولايـة هـي تلـك المرحلـة التـي عجـز إبليـس عـن اجتيازهـا واتضـح بعـد سـتة آلاف سـنة أنـه كافـر كـذاب ولم تـزل أنانيّتـه مسـتفحلة في ذاتـه.

## الولاية هي المحك الأخير لاختبار زوال أنانية الإنسان

تَـرَدَّد عـلى بيـوت أهـل البيـت(ع) ولا سـيما أمـير المؤمنـين(ع) وافحـص قلبـك وانظـر هـل تشـعر بالتواضـع الكبـير تجـاه عظمـة أمـير المؤمنـين(ع) أم لا؟ إنـك لم تكـن قـادرا عـلى رفـض عبوديتـك للّـه، ولكـن هـل تعتقـد بأفضليّـة أمـير المؤمنـين(ع) عليـك أو أنـك تحسـده؟! وعندمـا تقـف بـين يـدي أمـير المؤمنـين(ع) هـل تخشـع لـه وتتهافـت أم يبقـى لـك شيء مـن الكـبر والاسـتعلاء؟ إن كنـت عبـدا للـه تقـل: «إلهـي! دلّنـي عـلى أحبائـك وأعزائـك لأكـون خادمـا لهـم». وهـذا هو الفـارق بـين العبـد الحقيقي والعبـد المزيّـف. وهـذا هـو الفـارق بـين المسـلم والمؤمـن. الهـدف الـذي قـدّره اللـه لنـا في هـذه الدنيـا هـو أن نقـضي عـلى أنانيّتنـا عـبر أوامـره ونواهيـه ونسـتعين عـلى ذلـك بالتقـوى. ولابـدّ أن نخضـع لذلـك لنتّسـم بالعبوديّـة ونتّصـف بالتقـوى. ولكـن في سـبيل أن يتضـح الأمـر حقيقـة وأن هـل قـد زالـت أنانيّتنـا حقّـا أم لا، لابـدّ أن نخضـع لامتحـان الولايـة. يجـب أن لا يثقـل عليـك امتثـال أمـر مـن أوجـب اللـه طاعتـه. لقـد قـال اللـه سـبحانه وتعـالى للنبـي في القـرآن: (فَـلا وَ رَبِّـكَ لا يُؤْمِنُـونَ حَتَّـى يُحَكِّمُـوكَ فيـما شَـجَرَ بَيْنَهُـمْ ثُـمَّ لا يَجِـدُوا فـى أَنْفُسِـهِمْ حَرَجـاً مِـمَّا قَضَيْـتَ وَ يُسَـلِّمُوا تَسْليماً)[النسـاء/٦٥]

## لماذا يغفر الله لأهل الولاية؟

إذا نجح امرء في امتحان الولاية، فقد أحرز عبوديّته. فإنه إن عثر بزلّة أو ذنب يغفر الله له بسهولة. بينما إذا كان الإنسان قد عبد الله سنين طويلة وقام بأعمال حسنة كثيرة، ولكن لم يطو عقبة الولاية بنجاح فهو مريض، وحتى باقي أعماله الصالحة فهي خداع وقد قام بها لإسكات ضميره لا طاعةً لأمر مولاه. إنّ مثل هذا الإنسان في الواقع عابد لنفسه غاصٌّ في خيالاته وأوهامه.

النزاع الرئيس في العالم قائم بين عبادة الله وعبادة النفس، وأقصى مراحل عبادة الله هي أن لا تمتثل أوامر الله وحسب، بل تخضع للولي الذي يؤمّره عليك وتمتثل أوامره. أحد أفضل عباد الله في زمن النبي(ص) سلمان الفارسي. فقد سئل الإمام الصادق(ع) عن سبب ما كان يكثر من ذكر سلمان الفارسي ومدحه، إذ قال له الراوي: «مَا أَكْثَرَ مَا أَسْمَعُ مِنْكَ يَا سَيِّدِي ذِكْرَ سَلْمَانَ الْفَارِسِي! فَقَالَ: لَا تَقُلِ الْفَارِسِيَّ، وَ لَكِنْ قُلْ سَلْمَانَ الْمُحَمَّدِيَّ، أَ تَدْرِى مَا كَثْرَةُ ذِكْرِي لَهُ قُلْتُ: لَا. قَالَ: لِثَلَاثِ خِلَالٍ: أَحَدُهَا: إِيثَارُهُ هَوَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَلَى هَوَى نَفْسِهِ، وَ الثَّانِيَةُ: حُبُّهُ لِلْفُقَرَاءِ وَ اخْتِيَارُهُ إِيَّاهُمْ عَلَى أَهْلِ الثَّرْوَةِ وَ الْعَدَدِ، وَ الثَّالِثَةُ: حُبُّهُ لِلْعِلْمِ وَ الْعُلَمَاءِ. إِنَّ سَلْمَانَ كَانَ عَبْداً صَالِحاً حَنِيفاً مُسْلِماً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ». [أمالي الشيخ الطوسي/ ص١٣٣]

## لعل ولاية الفقيه أيضا محل امتحان هوى نفس الإنسان

إن موضوع هوى النفس قد جرّنا من العبودية والتقوى إلى الولاية. فهل قد بقي شيء من هوى النفس بعد أم لا؟ كم لولاية الفقيه من علاقة مع ولاية علي بن أبي طالب(ع)؟ لعلّ ولاية الفقيه أيضا هي محل امتحان هوى نفس الإنسان. قد يسأل سائل وهل الولي الفقيه معصوم؟! فأقول له: وهل كان سلمان الفارسي معصوما؟! فإنك إن لم تتولّ سلمان الفارسي فقد خرجت من ولاية أهل البيت(ع). يقول الإمام الباقر(ع): «الْوَلَايَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَمْ يُغَيِّرُوا وَ لَمْ يُبَدِّلُوا بَعْدَ نَبِيِّهِمْ ص وَاجِبَةٌ مِثْلِ سَلْمَانَ الْفَارِسِىِّ وَ أَبِى ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ وَ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيِّ وَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ وَ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَ أَبِى الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيِّهَانِ وَ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ وَ أَبِى أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ وَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ وَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ ذِى الشَّهَادَتَيْنِ وَ أبو [أَبِى] سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَ مَنْ نَحَا نَحْوَهُمْ وَ فَعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِمْ» [خصال الصدوق/٢/٦٠٧]

فـإذا قـال قائـل، أنـا خـادم المعصومـين الأربعـة عـشر فقـط، وأتواضـع لهـم فقـط، فنقـول لـه: إنـك إن لم تتواضـع لخدمـة أهـل البيـت(ع) وتتجـاسر عـلى أحـد خدّامهـم تخـرج مـن ولايـة أهـل البيـت(ع). فيجـب عليـك أن تتواضـع لهـم جميعـا. كان بإمـكان اللـه أن يعطينـا برنامـج جهـاد النفـس مبـاشرة، أو يخاطبنـا بالآيـات القرآنيـة ليكـون شـأن النبـي(ص) إيصـال أوامـر اللـه إلى النـاس، ولكـن أحيانـا كان يخاطـب النبـي ويأمـره بإبـلاغ النـاس فلـم يتحـدث مـع النـاس مبـاشرة. ومـن جملـة أهـمّ مصاديـق هـذه الحـالات هـي واقعـة الغديـر؛ (أَيُّهَـا الرَّسُـولُ بَلِّـغْ مـا أُنْـزِلَ إِلَيْـكَ مِـنْ رَبِّـك). وكلّـما دعـا اللـه في القـرآن إلى طاعتـه، أمـر بإطاعـة الرسـول كذلـك. مثـل قولـه تعـالى: (أَطيعُـوا اللَّـهَ وَ أَطيعُـوا الرَّسُـول) أو مـا نقلـه عـن معظـم أنبيائـه الذيـن ذكـر قصتهـم في القـرآن إذ قالـوا لأقوامهـم: (فَاتَّقُـوا اللَّـهَ وَ أَطيعُـونِ). ولعـلّ اللـه قـد تحـدّث عـن طاعتـه بـلا أن يذكـر طاعـة الرسـول في آيـة واحـدة فقـط. يقـول أمـير المؤمنـين(ع): «وَ اعْلَمُـوا عِبَـادَ اللَّـهِ أَنَّكُـمْ إِذَا اتَّقَيْتُـمُ اللَّـهَ وَ حَفِظْتُـمْ نَبِيَّكُـمْ فِـی أَهْلِـهِ فَقَـدْ عَبَدْتُمُـوهُ بِأَفْضَـلِ عِبَادَتِـهِ وَ ذَكَرْتُمُـوهُ بِأَفْضَلِ مَـا ذُكِرَ وَ شَـكَرْتُمُوهُ بِأَفْضَلِ مَا شُـكِرَ»[تحف العقول/ص١٧٨]

## كلّ من كان في قلبه حقد لوليّ الله، تسنّى له أن يجسّده في كربلاء

مـا حـدث في كربـلاء؟ أمـا في مخيّـم الأوليـاء، فـكان قـد جـاء الإمـام الحسـين(ع) متيّـما بحـبّ اللـه قائـلا: «تركـت الخلـق طـرّا في هـواكا/ وأيتمـت العيـال لـكي أراكا/ فـإن قطّعتنـي في الحـبّ إربـا/ لما مـال الفـؤاد إلى سـواكا». وأمـا مـن كان في مخيّـم الأشـقياء؟ لقـد شـاء اللـه أن يَحـدُث أمـران في كربـلاء: ١ـ أن يجسّـد العشّـاق عشـقهم ٢ـ أن تتـاح الفرصـة لـكل مـن كان في قلبـه كـبر تجـاه ولي اللـه أن يظهـر ويجسّـد رذالتـه وقذارتـه. وفي كربـلاء نحـن نسـتطيع أن نـرى مـدى رذالـة أولئـك القـوم الذيـن تكـبّروا عـلى الولايـة. وكلّ مـن كان في قلبـه حقـد عـلى ولي اللـه أتيحـت لـه الفرصـة أن يجسّـدها في كربـلاء...

### صلى الله عليك يا أبا عبد الله



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة
# في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١٨)

علي‌رضا بناهيان




**الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ**
**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فی مدينة طهران**
**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة**
**في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١٨)**

**إليك ملخّص الجلسة الثامنة عشر من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

## لقد خلقنا في سبيل إنتاج القيمة المضافة عبر اجتياز بعض الموانع/ يتحقق «جهاد النفس» بالعبور عن النزعات الرخيصة

لقد انتهى حديثنا في هوى النفس إلى أنّنا قد خلقنا في سبيل إنتاج القيمة المضافة، وهناك موانع في هذا الطريق وهي النزعات التافهة والرخيصة التي تشكّل حجر عثرة في طريقنا هذا، فباجتيازها والكفّ عنها ينفتح الطريق علينا نحو الرقيّ والكمال. تنطلق الحياة من الاحتياجات القليلة والنازلة بطبيعة الحال، بعد ذلك ومن خلال المرور من هذه الأميال والنزعات غير السامية، يخوض الإنسان شيئا فشيئا في معمعة جهاد النفس. إن جهاد النفس تشكّل حركتنا الرئيسة التي لا تنفكّ عنّا في هذه الدنيا مدى الحياة. وحتّى أولياء الله معنيّون بجهاد النفس أيضا.

## جهاد النفس هو في الواقع مواجهة «الأنا» التي هي في مقابل «المعبود»

لا ينفكّ طريق جهاد النفس عن العناء، فلابدّ أن نحلّ قضية العناء لأنفسنا بادئ ذي بدء. إن من لوازم جهاد النفس هي أن يتصدّى الله سبحانه لبرمجة عمليّات جهاد النفس. وقدّ أعدّ الله هذا البرنامج فعلا على مستوى التكليف والتقدير. في سبيل أن تكون قد جاهدت أنانيّتك، لابدّ أن يكون الله قد أعطاك البرنامج، ولذلك فإن جهاد النفس في الواقع هو مواجهة «الأنا» التي في مقابل «المعبود». لقد خلق الإنسان من أجل لقاء ربّ العالمين، ولا معنى للارتقاء بغير الاتصال بالمعبود. فمن أجل نيل هذا اللقاء لابدّ لك من اجتياز الأنا وأهواء النفس. إن أنواع الطاعات وشتّى العبادات هي من أجل تضعيف «الأنا». فإن كانت العبادة للأنا غير جائزه، كذلك أصل التديّن يجب أن يكون من أجل الله وفي سبيل تضعيف النفس والأنا. فإن كان التديّن لغير الله وكان من أجل توفير حفنة من الجاه فهو رياء.

## في سبيل الارتقاء، لابدّ أن نعمل على خلاف الأهواء

من أجل السير نحو الرقيّ والكمال، لابدّ لنا من العمل على خلاف الأهواء. ومعنى الكمال هنا هو الاستعداد الأكثر والأفضل للقاء الله سبحانه. ففي سبيل لقاء الله، لا يكفينا ترك المشتهيات فحسب، بل لابدّ من ترك الأنا أيضا. أمّا برنامج هذا الطريق فهو التقوى، والحافز لطيّ الطريق هو الإيمان بلقاء الله عز وجل. لقد قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: **(وَاسْتَعينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ)[البقرة/٤٥]**. الصبر هو نموذج ممتاز لردّ فعلنا تجاه المشاكل التقديرية، وأمّا الصلاة فتمثّل نموذجا بارزا لتقبّل التكليف وامتثال الأوامر. ثم قال سبحانه في تكملة الآية: **(وَ إِنَّها لَكَبيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخاشِعينَ)[المصدر نفسه]**. أمّا من هم الخاشعون؟ لقد أجاب الله عن هذا السؤال في الآية التالية: **(الَّذينَ يَظُنُّونَ أَنهُم مُّلَاقُواْ رَبهِّمْ وَ أَنهَّمْ إِلَيْهِ رَاجِعُون)[البقرة/ ٤٦]**.

## يبلّغ الله أوامره عن طريق خليفة الله

لا يكفي الإيمان والتقوى وحدهما، إذ حتى مع وجودهما لا تزال «الأنا» قائمة على حالها. فقد ركّب الله وجود الإنسان من أبعاد معقّدة جدّا وليس الصبر والصلاة يكفيان للبتّ في أنّ الإنسان الصابر والمصلّي قد واجه نفسه حقيقة. فمن أجل أن يتّضح كم أنك قد سحقت نفسك، يبلّغ الله أوامره عن طريق خليفته. فهذا الذي لم يتغلّب على نفسه بعد، سوف يحقد على وليّ الله.

من أبرز مصاديق الحقد على ولي الله، هو ما حدث في عيد الغدير، إذ اعترض الحارث بن النعمان الفهري على رسول الله(ص) بعد أن بلّغ ولاية أمير المؤمنين(ع)؛ «**لَمَّا كَانَ يَوْمُ غَدِيرِ خُمٍّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص خَطِيباً فَأَوْجَزَ فِی خُطْبَتِهِ ثُمَّ دَعَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ع فَأَخَذَ بِضَبْعِهِ ثُمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِمَا ... فَبَلَغَ ذَلِکَ الْحَارِثَ بْنَ النُّعْمَانِ الْفِهْرِيَّ فَرَحَلَ رَاحِلَتَهُ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَيْهَا وَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِذْ ذَاكَ بِمَكَّةَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْأَبْطَحِ فَأَنَاخَ نَاقَتَهُ ثُمَّ عَقَلَهَا ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ [ص]... وَ إِنَّهُ لَمُغْضَبٌ وَ إِنَّهُ لَيَقُولُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مَا قَالَ مُحَمَّدٌ حَقّاً فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ تَكُونُ نَقِمَةً فِي أَوَّلِنَا وَ آيَةً فِی آخِرِنَا ... فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْأَبْطَحِ رَمَاهُ اللَّهُ بِحَجَرٍ مِنَ السَّمَاءِ فَسَقَطَ عَلَى رَأْسِهِ وَ خَرَجَ مِنْ دُبُرِهِ وَ سَقَطَ مَيِّتاً فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ**»[تفسير الفرات/ص ٥٠٤]

إذن لا يَصلُح الإنسان بالصوم والصلاة فقط، بل لابد أن يطهُر قلبه من لوث الحسد والكبر على أمير المؤمنين(ع). فأولئك الذين أسلموا ولكن أبت قلوبهم حبّ أمير المؤمنين(ع)، فإنهم في الواقع لم يتركوا أنانيّتهم.

## تنتهي أقصى مراحل العرفان إلى الولاية

إن موضوع الولاية موضوع عرفاني للغاية. إذ تنتهي أقصى مراحل العرفان إلى الولاية. ومعنى الفناء في الله هو هذه العبارة التي نقرأها في زيارة الجامعة: «**بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي وَ نَفْسِي وَ مَالِي وَ وُلْدِي**»[تهذيب الأحكام/ج٦/ص٦١] يقول الإمام محمّد الباقر(ع): «**تَمَامُ الْحَجِ لِقَاءُ الْإِمَامِ**»[الكافي/ج٤/ص٥٤٩] و «**إِنَّمَا أُمِرَ النَّاسُ أَنْ يَأْتُوا هذِهِ الْأَحْجَارَ، فَيَطُوفُوا بِهَا، ثُمَّ يَأْتُونَا، فَيُخْبِرُونَا بِوَلَايَتِهِمْ، وَ يَعْرِضُوا عَلَيْنَا نَصْرَهُمْ وَ هُوَ قَوْلُ اللَّهِ وَ إِنِّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى ثُمَّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ إِلَى وَلَايَتِنَا**» [كافى/ج٤/ص٥٤٩] **وعَنْ أَبِى جَعْفَرٍ ع فِى قَوْلِ اللَّهِ يَحْكِي قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ (رَبَّنا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)** فَقَالَ ع: «**مَا قَالَ إِلَيْهِ يَعْنِي الْبَيْتَ مَا قَالَ إِلَّا إِلَيْهِمْ أَ فَتَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ إِتْيَانَ هَذِهِ الْأَحْجَارِ وَ التَّمَسُّحَ بِهَا وَ لَمْ يَفْرُضْ عَلَيْكُمْ إِتْيَانَنَا وَ سُؤَالَنَا وَ حُبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَ اللَّهِ مَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ غَيْرَهُ**» **[تفسير فرات/٢٢٤]**

## الولاية هي شرط قبول الأعمال

الصلاة التي هي شرط قبول الأعمال، لا تقبل بدون الولاية؛ قَالَ الصَّادِقُ ع «**إِنَ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ إِذَا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ الصَّلَوَاتُ الْمَفْرُوضَاتِ وَ عَنِ الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ وَ عَنِ الصِّيَامِ الْمَفْرُوضِ وَ عَنِ الْحَجِّ الْمَفْرُوضِ وَ عَنْ وَلَايَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَإِنْ أَقَرَّ بِوَلَايَتِنَا ثُمَّ مَاتَ عَلَيْهَا قُبِلَتْ مِنْهُ صَلَاتُهُ وَ صَوْمُهُ وَ زَكَاتُهُ وَ حَجُّهُ وَ إِنْ لَمْ يُقِرَّ بِوَلَايَتِنَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْهُ شَيْئاً مِنْ أَعْمَالِهِ**» **[أمالي الشيخ الصدوق/٢٥٦]**

وقال الإمام الباقر(ع) في رواية أخرى: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ عَلَى الصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ الصَّوْمِ وَ الْحَجِّ وَ الْوَلَايَةِ وَ لَمْ يُنَادَ بِشَيْءٍ كَمَا نُودِيَ بِالْوَلَايَةِ**»[الكافي/ج٢/ص١٨]ما الفائدة في صلاتك وعبادتك إن كنت قد حافظت على أنانيتك؟ لقد خلّف إبليس تاريخا زاهرا في الصلاة والعبادة المقبولة ولمدّة ستة آلاف سنة. حتى وصل به الأمر أن يكلّم الله ويكلّمه الله، ولكن بعد ما أبى أن يسجد لوليّ الله، أنكر الله إيمانه وقال: (**أَبى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كانَ مِنَ الْكافِرين**) [البقرة/٣٤]. لماذا يا إلهنا قد أنكرت إيمان إبليس من الأساس؟ ولماذا لم تقل: «وكان ضعيف الإيمان»، بل قلت: (**وَ كانَ مِنَ الْكافِرين**)؟!

## من لم يتولّ ولي الله فليس بمؤمن

لقد صرّح القرآن بهذه الحقيقة في سورة النساء إذ قال الله سبحانه: (**فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا في أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْليماً**) [**النساء/٦٥**]. إن جهاد النفس من أجل سحق أنانيتك، أمّا إنك إن أبقيت أنانيتك على قوّتها وضخامتها فسوف تقع في مشكلة مع الولاية. قال الإمام الرضا(ع) في رواية سلسلة الذهب المعروفة: «**حَدَّثَنِي أَبِي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عن ... عن الحسن بن علي قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ع قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي» فَلَمَّا مَرَّتِ الرَّاحِلَةُ نَادَى: «بِشُرُوطِهَا وَ أَنَا مِنْ شُرُوطِهَا»[عيون أخبار الرضا ع/ج٢/ص١٣٥]**

## نكران الذات وسحق «الأنا» في مقابل الله مرهون بالخضوع لولاية ولي الله

لقد خرجنا بهذه النتيجة بعد أن طوينا مقدمات عديدة وهي أن الإنسان وفي سبيل أن يلقى الله عز وجل، لابدّ أن يخالف نفسه ويجتاز أنانيته. إن اجتياز الأهواء والرغبات يشكّل المرحلة الأولى للاستعداد للقاء الله، ولكن أهمّ خطوة هي الإقلاع عن «الأنا» أمام الله سبحانه، وليس المقصود من الإقلاع عن الأنا هو أن تطيع الله وتمتثل أوامره، بل المقصود هو أن تمتثل أوامر خليفة الله ووليّه. طبعا قد يتجسّد الخضوع للولاية في مصاديق أخرى. مثل ما إذا كنت مشغولا في تعقيبات الصلاة، وفي هذه الأثناء دعاك أحد والديك لأمر ما، هنا يقتضي جهاد النفس أن تترك التعقيبات وتلبي له؛ يعني يجب الخضوع لولاية الأب بقدرها ونطاقها ولابدّ أن نقدّمها على المستحبّات. هذا هو سرّ عمل أويس القرني، فإنه فرّط في لقاء النبي الأعظم(ص) امتثالا لأمر والدته.

## امتحان الولاية امتحان مهمّ وحاسم على المتديّنين

بعد أن انخرط أحد من الناس في سلك المتدينين، يمتحنه الله ليفحص مدى كبره على ولي الله. وعندما يسقط المتدينون في الامتحان، يصبحون ألدّ الخصام للولاية. فعلى سبيل المثل انظروا إلى قاتل أمير المؤمنين(ع). إن استشهاد أمير المؤمنين(ع) باعتبار الشخص الذي باشر بجريمة قتله، لا يقلّ أهمية عن ميلاده(ع) في الكعبة. لم يكن «ابن ملجم» إنسانا بلا دين ولا إيمان، بل كان من طبقة المتديّنين. ولكنّه كان قد أضمر في قلبه شيئا تجاه الولاية بلا أن يعالجه. كان ابن ملجم ممن اختاره أهل اليمن من زمرة خِيارهم وأرسلوه إلى أمير المؤمنين(ع). بعد أن أرسل أمير المؤمنين(ع) كتابا إلى والي اليمن أن أرسل إليّ عشرة من خيار أهل اليمن، قام أهل اليمن بفرز مئة رجل من خيارهم، ثم فرزوا منهم سبعين رجلا، ثم فرزوا من السبعين ثلاثين، وفي النهاية اختاروا منهم عشرة وأرسلوهم إلى أمير المؤمنين(ع)... «فَلَمَّا أَتَوْهُ ع سَلَّمُوا عَلَيْهِ وَ هَنَّئُوهُ بِالْخِلَافَةِ فَرَدَّ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ وَ رَحَّبَ بِهِمْ فَتَقَدَّمَ ابْنُ مُلْجَمٍ وَ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَ قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَ الْبَدْرُ التَّمَامُ... فَاسْتَحْسَنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع كَلَامَهُ مِنْ بَيْنِ الْوَفْدِ فَقَالَ لَهُ مَا اسْمُكَ يَا غُلَامُ قَالَ اسْمِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَ ابْنُ مَنْ قَالَ ابْنُ مُلْجَمٍ الْمُرَادِيِّ قَالَ لَهُ أَ مُرَادِيٌّ أَنْتَ قَالَ نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ ع إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ» [بحار الأنوار/ ج٤٢/ص٢٦٠].

## أحد طرق سحق الأنا هو ذكر مصيبة سيد الشهداء والبراءة من أعداء أهل البيت(ع)

أحد طرق سحق الأنا هو ذكر مصيبة سيد الشهداء(ع) والبراءة من أعداء أهل البيت(ع). إن مصائب أهل البيت(ع) وسيد الشهداء(ع) من شأنها أن تؤسّر نفس الإنسان ولها أثر مباشر على تضعيف أنانيّته. فإن لم يتعالج الإنسان في مجالس عزاء الحسين(ع) وفي حفرة مقتل سيد الشهداء، فلا يبحث عن مكان آخر. وإن لم يجث على ركبتيه عند استماع مصائب أهل البيت(ع)، فهو ليس بجاث لأوامرهم وفضائلهم وعدلهم.

### صلى الله عليك يا أبا عبد الله



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١٩)

علي‌رضا بناهيان




**الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ**
**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فى مدينة طهران**
**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١٩)**

**إليك ملخّص الجلسة التاسعة عشر من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

## إن أوامر الله تفضّل منه علينا/ لو لم يأمرنا الله لحرنا في أمرنا

النقطة المقابلة لعبادة الله هي عبادة الهوى. أمّا الذي أبى أن يخضع لأوامر الله فبإمكاننا أن نجسّد مدى قبح عمله المتمثل بعبادة الهوى بطريق آخر. بإمكاننا أن نقول: إن الله قد تفضل علينا حين ما أصدر أوامره إلينا. فلو لم يأمرنا الله لتهنا في حيرة عمياء. لقد علم الله أنّنا عاجزون عن تصميم برنامج يزيدنا قيمة، ولكن عبر امتثال الأمر الذي جاء من الأعلى يتسنّى لنا الارتقاء والازدياد قيمةً. ولذلك فإنّ اللّه قد تفضّل علينا وأمرنا لكي ينفتح أمامنا طريق التكامل ونصبح أناسا أولي قيمة.

## العصيان هو إساءة لله الذي تفضّل علينا وكأنه قد تنازل عن مقامه الرفيع فأمرنا

لعلّ الله قد تنازل حين أَمَرَنا، إذ كان يعلم أن كثيرا من عباده سوف يعصونه إذا أمرهم ولا يكترثون بأحكامه، ولكن مع ذلك أمرنا تفضّلا ولطفا منه. وهناك بعض الشواهد في القرآن قد تشير إلى هذه الحقيقة. فعلى سبيل المثال عندما ينظر الله إلى شأنه وعظمته، ينهى النبي الأكرم(ص) عن إنذار بعض الكفّار والمشركين الذين لا يستحقّون الإنذار. فقال لهم: (إِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ)[البقرة/٦] وكذلك قال: (ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُون)[الحجر/٣] لماذا العصيان وعدم امتثال أمر الله قبيح إلى هذا الحدّ؟ لأنه إساءة إلى الله الذي تنازل عن مقامه الرفيع الأعلى إذ خاطبك وأمرك. فبالرغم من أن الله تنازل وتفضّل علينا وأمرنا، وإذا بالعبد الضعيف الحقير الذي لا يحسب بشيء في مقابل الله عز وجل، يتكبّر على الله ويتمرّد عليه!!! فإنها لإساءة حقّا إلى الله وعمل قبيح جدّا.

## التوبة الحقيقيّة لمن يرى أوامر الله إليه محبّة من الله

لا يمكن التوبة إلى الله من أعماق قلوبنا، إلّا بعد أن رأينا أوامر الله لطفا وتفضّلا من الله إلينا. عند ذلك ندرك أن كل أمر تركناه من أوامر الله، فإنه في الواقع إهمال وعدم اكتراث بمحبّة الله ولطفه على عبده. إن التوبة الحقيقيّة خاصة بهؤلاء. وأمّا التوبة الأقل درجة من هذه فهي لأولئك الذين يتصوّرون عذاب جهنّم. والدرجة التي بعدها فلأولئك الذين يتصوّرون القبر، أي لمن يجسّد في ذهنه لحظة نزع الروح والنزول في القبر فيقول: كل الأعمال السيئة التي ارتكبتها لا تسوى ذاك العذاب. والمرحلة الأنزل هي لمن يدرك ليلة القدر، فيقول: إذا أراد الله أن يقدّر مستقبلي في العام القادم على أساس ما أسلفته في الأعوام الماضية فويل لي. ولكن من أروع أنواع التوبة هي أن تقارن بين إطاعة الله، وإطاعة النفس، ثم تشعر بمدى قبح إطاعة النفس، فيضيق صدرك حسرة لما تركت من أوامر الله جفاءً ثم أطعت نفسك.

## إذا أردت أن تعيش حالة التوبة، فانظر من عصيت ومن أطعت

إذا أردت أن تعيش حالة التوبة، فلابدّ لك أن ترى من عصيت، ومن أطعت في مقابله. إنك قد تركت الله وأطعت نفسك! (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواه)[الجاثية/٢٣]. إن بعض الناس قد اتخذوا أنفسهم آلهة ولا يزالون يسجدون لها. هذا الإنسان الذي يكتئب ويحزن على ما أساء في اختياره ويلوم نفسه أن لماذا ترك عبادة الله وعبد نفسه بدلا عن الله، يستطيع أن يتوب توبة حقيقية. إن عبادة النفس عمل قبيح جدّا، ولابدّ أن نعي قبحها مقابل جمال عبادة الله. يا ليتنا لا ننفك عن اجتناب الذنب حتى نعي هذه الحقيقة ونعيش جمالها. إن إدراك جمال الإيمان وإطاعة الله وكذلك فهم قبح معصية أمر الله أمر ممكن. فقد قال الله سبحانه وتعالى: (وَ لكِنَّ اللّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإيمانَ وَ زَيَّنَهُ فى قُلُوبِكُمْ وَ كَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيان)[الحجرات/٧] نحن غير مبتلين بالكفر والفسوق بحمد الله، ولكن يجب أن نسعى لكره العصيان أيضا.

## إن ولي الله واسطة بينك وبين ربّ العالمين، لتقدر على التغلّب على هوى النفس وتذوق حلاوة لقاء الله

أحد الطرق التي يعيننا على إدراك هذا المفهوم، هو الاستعانة بأهل البيت(ع). فكما مرّ في موضوع هوى النفس، في سبيل أن تقضي على هوى النفس بأمر الله، لابدّ أن يتوسّط وليّ الله في إبلاغ أوامر الله. إن ولي الله واسطة بينك وبين ربّ العالمين، لتقوى على غلبة هوى النفس وأن تذوق حلاوة لقاء الله. إذا كان إهمال أمر الله إلى هذا الحدّ من القبح، فكذلك من القبح بمكان أن أضع كلام أمير المؤمنين(ع) على جانب، ثم أطيع نفسي. لقد كان القرار أن أرتقي وأسير نحو الكمال بأمر المولى، فما تقصير مولاي في هذا البين حتى أسيئ إليه وأتجاهل شأنه وحرمته؟ لذلك فإنك إن تستغفر ربك، لم يرض عليك ربك ما لم يرض عليك إمام زمانك، وكذلك الحال في باقي الأشخاص الذين لهم ولاية عليك. فإنك إن كنت قد آذيت والديك وكسرت قلبهما، كيف تقدر على كسب رضا الله سبحانه؟ والأهم من أمّك وأبيك إمام زمانك(عج).

## الذي يكتفي بمناجاة الله ولا علاقة له بوليّ الله، فإنه قد أخطأ طريق التوبة

نقول في زيارة الجامعة الكبيرة: «يَا وَلِيَّ اللَّه إِنَّ بَيْنِي وَ بَيْنَ اللَّهِ ذُنُوباً لَا يَأْتِي عَلَيْهَا إِلَّا رِضَاكُمْ»[من لا يحضره الفقيه/ج٢/ص٦١٦]. إن هذا، هو الشعور الذي يجب أن يخامر قلب الشيعي. أمّا هذا الذي قد سار في طريق عبادة الله، بيد أنه قد اكتفى بمناجاة الله ولا علاقة له بوليّ الله، فقد أخطأ طريق التوبة ولم يحظ برؤية صائبة. إنه لا يريد أن يستعين بإمام الزمان(عج) ليغفر له الله، في حين أنه قد عصى إمام زمانه(عج) بمعصيته وذنوبه. • قَالَ أمير المؤمنين(ع): سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: أَ لَا أُخْبِرُكُمْ بِأَكْيَسِ الْكَيِّسِينَ وَ أَحْمَقِ الْحَمْقَى قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: أَكْيَسُ الْكَيِّسِينَ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ، وَ عَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَ إِنَّ أَحْمَقَ الْحَمْقَى مَنِ اتَّبَعَ نَفْسُهُ هَوَاهَا، وَ تَمَنَّى عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الْأَمَانِيَّ. فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ كَيْفَ يُحَاسِبُ الرَّجُلُ نَفْسَهُ قَالَ: إِذَا أَصْبَحَ ثُمَّ أَمْسَى رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ- فَقَالَ: يَا نَفْسِ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مَضَى عَلَيْكِ لَا يَعُودُ إِلَيْكِ أَبَداً،

وَ اللَّـهُ تَعَالَى يَسْأَلُكِ عَنْهُ فِيمَا أَفْنَيْتِيهِ- فَمَا الَّذِي عَمِلْتِ فِيهِ أَ ذَكَرْتِ اللَّهَ أَمْ حَمِدْتِيهِ أَ قَضَيْتِ حَوَائِجَ مُؤْمِنٍ أَ نَفَّسْتِ عَنْهُ كُرْبَةً أَ حَفِظْتِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ فِي أَهْلِهِ وَ وُلْدِهِ أَ حَفِظْتِيهِ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي مُخَلَّفِيهِ أَ كَفَفْتِ عَنْ غِيبَةِ أَخٍ مُؤْمِنٍ بِفَضْلِ جَاهِكِ أَ أَعَنْتِ مُسْلِماً مَا الَّذِي صَنَعْتِ فِيهِ فَيَذْكُرُ مَا كَانَ مِنْهُ. فَإِنْ ذَكَرَ أَنَّهُ جَرَى مِنْهُ خَيْرٌ، حَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى، وَ كَبَّرَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ، وَ إِنْ ذَكَرَ مَعْصِيَةً أَوْ تَقْصِيراً، اسْتَغْفَرَ اللَّهَ تَعَالَى، وَ عَزَمَ عَلَى تَرْكِ مُعَاوَدَتِهِ، وَ مَحَا ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ بِتَجْدِيدِ الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَ عَرَضَ بَيْعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ع عَلَى نَفْسِهِ، وَ قَبُولَهُ لَهَا، وَ إِعَادَةَ لَعْنِ أَعْدَائِهِ وَ شَانِئِيهِ وَ دَافِعِيهِ عَنْ حَقِّهِ. فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ: لَسْتُ أُنَاقِشُكَ فِي شَيْءٍ مِنَ الذُّنُوبِ- مَعَ مُوَالاتِكَ أَوْلِيَائِي، وَ مُعَادَاتِكَ أَعْدَائِي. [التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري/ ص٣٨] فيا ترى ماذا يريد الله أن يقول لنا عن أمير المؤمنين(ع) في ليلة القدر هذه؟ لعلّه يريد أن يقول أحبّوا مولاكم أمير المؤمنين(ع) وجدّدوا له البيعة...

## صلى الله عليك يا أمير المؤمنين



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢٠)

عليرضا بناهيان




**الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ**

**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران**

**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢٠)**

**إليك ملخّص الجلسة العشرين من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

## التصديق بخلود بعض الناس في عذاب جهنّم أمر عصيب/ فلنؤمن برذالة الأعداء

من العقائد المهمّة جدّا، هي التصديق والإيمان بنار جهنّم. فإن بعض الناس لا يكاد أن يستطيع التصديق بالعذاب العسير الإلهي. إن التصديق بالخلود في نار جهنم وما فيها من عذاب عسير أبديّ أمر غير هيّن. إذ يتساءل الناس يا ترى كم قد تمادى هذا الإنسان في الرذالة والشقاء حتى استحق الخلود في نار جهنّم؟ يجب علينا أن نصدّق بأن بعض الناس قد بلغوا الذروة في الرذالة والشقاء ومن شأنهم أن يمكثوا في العذاب إلى أبد الآبدين. لقد قال الله سبحانه وتعالى في حقّ بعض الأشقياء: (هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ» [المنافقون/٤]. لابدّ للمتديّنين والصالحين أن يصدّقوا بإمكان وصول بعض الناس إلى هذا المستوى من الرذالة والشقاء. إن بعض المتديّنين الذين لم يتبرأوا من أعداء أهل البيت(ع)، قد يكون بسبب أنهم لم يصدّقوا شدّة رجس هؤلاء وما أعد لهم الله من عذاب شديد. ومن منطلق هذه السذاجة نفسها تجد أن بعض الناس لم يعوا حقيقة هذه الظاهرة المشؤومة المتمثلة بإسرائيل. ولكن يجب أن نؤمن بحقيقة العدو ونصدّق برجسه ورذالته. إن التصديق بوجود العدو وكذلك الاعتقاد بشقاء بعض الناس وشدّة رذالتهم أمر عسير، في حين أن في سبيل تحقيق مجتمع سليم بعد ظهور الإمام الحجة(عج)، لابدّ لنا أن نتحلّى بهذا التصديق واليقين. فإنك أن لم تصدّق برجس بعض الناس، ينفسح المجال لهؤلاء أن يرتكبوا أبشع الجرائم أمامك حتى تصدّق. إن الجرائم التي بدأت تشيع في بلدان هذه المنطقة، لهي نماذج تدلّ على وجود أناس أرجاس أشقياء. أمّا الطريق الأفضل هو أن تستعين على الإيمان بشقاء بعض الناس ورجسهم واستحقاقهم الخلود في العذاب، بمعرفتك ونور قلبك. إن كلمات الإمام الخميني(ره) رائعة لفهم دناءة العدو. لقد كان الإمام الخميني(ره) يستخدم أشدّ التعابير وأغلظها للتنديد ببعض المتديّنين الذين كانوا يعبّدون الطريق للأعداء ولم يؤمنوا برجسهم ودناءتهم.




## كيف نقنع بخلود بعض الناس في جهنّم؟

إن الطريق للاقتناع بخلود العذاب في جهنّم، هو الإيمان بمدى انحطاط بعض الناس. وطريق الإيمان برجس هؤلاء وانحطاطهم هو أن تدرك مدى سهولة الخضوع لولاية أولياء الله، بيد أن هؤلاء الأرجاس قد أبوا الخضوع لهذه الولاية. لا سبيل إلى تنفيذ أوامر الله بصدق، إلّا عن طريق امتثال أوامر الولي. والجدير بالذكر أن استلام الأوامر عن طريق الولاية قد سهّل الأمر ويسّر الطريق. فإنك إذا عرفت سهولة الخضوع للولاية وامتثال أوامرها، سوف تؤمن برجس المخالفين الذين وقفوا منها وقفة المخالف اللدود. إنّ من يستنكف عن طيّ طريق الولاية مع سهولته وجماله، فهو إنسان منحطّ جدّا. إذ أن تقبّل حديث أولياء الله هو مخالفة لأهواء النفس بحدّ ذاته ولكنّها مخالفة سهلة. فباعتبار يسر هذا الطريق وسهولته، لابدّ أن نقول: تعسا لأولئك الذين رفضوا الولاية ولهم الويل وعذاب الخلد بما كانوا يتمرّدون. إن الخضوع للولاية لأمر يسير إلاّ على مرضى القلوب والمتكبّرين. فلننظر إلى حديث الإمام الصادق(ع) لكي نؤمن باستحقاق منكري الولاية الخلودَ في نار جهنّم، وأن لا نصيب لهم من الإيمان. فقد قال(ع): «ثَلَاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ مَنِ ادَّعَى إِمَامَةً مِنَ اللَّهِ لَيْسَتْ لَهُ وَ مَنْ جَحَدَ إِمَاماً مِنَ اللَّهِ وَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ لَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ نَصِيباً» [الكافي/ج١/ص٣٧٣]

## بعد ما تنتهي حركة جهاد النفس إلى الولاية، تخفّ المعاناة

كلّ المعاناة التي أشير إليها في الجلسات الماضية، هي معاناة في مسار جهاد النفس، ولكن بعد ما تنتهي حركة جهاد النفس إلى موضوع الولاية، تخفّ المعاناة وتسهل. فهنا يهون الأمر ويزول عناء الجهاد. إن عناء طاعة الله وأداء تكاليفه والرضا بقَدَره يزول بتقبّل الولاية. لقد أعدّ الله الوليّ لأولي النفوس السليمة لكي يسهّل عليهم هذا الطريق الصعب والطويل، فيلعن الله من أعرض عن هذا الطريق بعد ما سهل وهانت معاناته. لقد جعل الله أمير المؤمنين(ع) وليّا لتسهيل هذا الدين. إذ أن الإنسان الضعيف الذي لم يتلوّث بأمراض القلب، إذا رأى وليّ الله، ينبهر بحسنه ويشعر بسهولة الأمر بعد لقائه! فهو يقول: لقد ابتعدت عن ديني لكوني لم أرك يا مولاي، أمّا الآن وبعد ما رأيتك فقد عشقتك وعشقت الدين الذي تدعو إليه، فها أنا ألتزم بديني بعد.

إن الولايـة تيـسّر عملية جهاد النفـس. لا نريـد أن نحكـم عـلى جميـع النـاس عـبر هـذه القاعـدة، إذ أن الجاهلـين والمسـتضعفين خارجـون عنهـا، ولكـن مـن رأى نـور أمـير المؤمنـين(ع) ثـم أنكـر ولايتـه، فهـو في غايـة الرجـس والشـقاء.

## من لم يصدّق رذالة منكري ولاية أمير المؤمنين(ع) فلينظر إلى كربلاء

مـن لم يصـدّق رذالـة منكـري ولايـة أمـير المؤمنـين(ع) فلينظـر إلى كربـلاء. فـكلّ أولئـك الذيـن مـلأوا قلـب أمـير المؤمنـين(ع) قيحـا وشـحنوا صـدره غيظـا، قـد جسّـدوا رذالتهـم وشـقاءهم في كربـلاء. فيـا تـرى في أي حـرب قـد ارتكبـوا الجرائـم التـي ارتكبوهـا في كربـلاء؟! مـن هنـا نعـرف أن كربـلاء ليسـت بمعركـة بسـيطة، إنّهـا محـلّ أخـذ أعـلى المعـارف وأسـماها. نحـن إن لم نـدرك حقيقـة ابـن ملجـم، فلنبحـث عـن حقيقتـه في كربـلاء. فيـا تـرى أيـن كانـوا قـد أخفـوا أضغانهـم؟ وليـت شـعري مـا الفائـدة التـي كان يحصـل عليهـا العـدو بـرضّ الأجسـاد بحوافـر الخيـل؟! ومـا كان الهـدف مـن قـرع رؤوس أطفـال الإمـام الحسـين(ع) بالرمـاح؟ كل مـا جـرى في كربـلاء يـدلّ عـلى أن كـره أمـير المؤمنـين(ع) ليـس بأمـر بسـيط. وكذلـك ليـس بأمـر بسـيط أن يقـوم قـوم بقتـل الحسـين(ع) بغضـا لأمـير المؤمنـين(ع).

## الإمام، يسهّل العبوديّة وعملية جهاد النفس

إن كانـت مراحـل جهـاد النفـس السـابقة صعبـة، فإنهـا تسـهل وتهـون عنـد ولايـة أمـير المؤمنـين(ع). الإمـام يسـهّل العبوديـة وعمليـة جهـاد النفـس. ومـن هنـا تسـتفحل ظاهـرة العـداء لأوليـاء اللـه بـين مـرضى القلـوب. كل الحديـث الـذي جـرى حـول الكبـد والعنـاء في مسـار جهـاد النفـس، متعلـق بالمراحل الابتدائيـة، أمّـا بمجـرّد أن نصـل إلى موضـوع الولايـة، تخـفّ المعانـاة. لقـد روي عـن الإمـام الحسـن العسـكري(ع) حديـث مشـهور؛ «فَأَمَّـا مَـنْ كَانَ مِـنَ الْفُقَهَـاءِ صَائِنـاً لِنَفْسِـهِ، حَافِظـاً لِدِينِـهِ، مُخَالِفـاً لِهَـوَاهُ، مُطِيعـاً لِأَمْـرِ مَـوْلَاهُ فَلِلْعَـوَامِّ أَنْ يُقَلِّـدُوه» [وسـائل الشـيعة/ج٢٧/ص١٣١] فلابـدّ أن ننظـر «إلى إطاعـة أمـر المـولى» كأمـر في امتـداد «مخالفـة الهـوى». فـإن هذيـن العنصريـن هـما في امتـداد واحـد.

## إن لاقى أحد صعوبة في مخالفة هوى نفسه، فليكثر في الذهاب إلى مجالس عزاء الإمام الحسين(ع)

إن لاقى أحد صعوبة في مخالفة هوى نفسه، فليكثر في الذهاب إلى مجالس عزاء الإمام الحسين(ع). إنّ لم نغتنم نعمة الولاية هذه التي منحوها لنا مجّانا والتي تعبّد طريق العبودية ومخالفة النفس، ولم نسهّل لأنفسنا عملية جهاد النفس، فعند ذلك سوف نستحق عذاب جهنّم. لقد قال الإمام الصادق(ع) في تفسير قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) [المائدة/٣]، «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ بِإِقَامَةِ حَافِظِهِ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي بِوَلَايَتِنَا وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً أَيْ تَسْلِيمَ النَّفْسِ لِأَمْرِنَا»[مناقب آل أبي طالب/ ج٣/ ص٢٣]. لماذا الإمام يعبّد طريق جهاد النفس لسالكيه؟ لأنه يحظى بجذابيّة وحلاوة متميّزة. ولذلك يقف زائر أهل البيت(ع) عند قبورهم فيقول: «فَمَا أَحْلَى أَسْمَاءَكُمْ» [زيارة الجامعة، عيون أخبار الرضا(ع)/ ج٢/ ص٢٧٦]. من خصال الإمام أنه جميل وجّذاب ويدخل حبّه في الفؤاد. وإنكم تستطيعون أن تشاهدوا دور الإمام في تسهيل العبادة، عبر مشاهدة حياة الصالحين من الناس. من كان لا يرغب في الالتزام بمواقيت الصلاة، فإنّه إذا أحبّ إمام زمانه(عج) وعرف أن الإمام المنتظر(عج) يحب الصلاة في أول وقتها، سوف يلتزم بمواقيت الصلاة بطبيعة الحال. وكم من الشباب الذين رأيتهم بأم عيني في جبهات الجهاد، من الذين هانت عليهم صعوبة الالتزام بوقت الصلاة، بعد أن أوثقوا عرى حبهم للإمام صاحب الزمان(ع). إن دور الإمام هو أن يبدّل عملية جهاد النفس إلى علاقة حبّ وغرام ونزهة. هذا هو شأن الإمام في العالم. نعم، إن جهاد النفس صعب عسير، ولكن ما لم يأت الإمام في البين. لماذا أرسل الله الأنبياء إلى الناس، لأنه أراد أن يسهّل عليهم صعوبة الدين، فإرسل إليهم رجالا مشرقي الوجوه و محبوبين خلوقين، فقال لهم اذهبوا إلى قومكم واكسبوا قلوبهم. الإمام يكسب القلوب، وبحبّه نستطيع أن نلتزم بديننا وندرك حقيقته. كما جاء في زيارة الجامعة: «بِمُوَالاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا»[عيون أخبار الرضا ع/ج٢/ص٢٧٧]. كذلك التوحيد بين أبناء المجتمع فإنه ليس بأمر هيّن، ولا يقوى على هذا المهم إلا الولي والإمام. ولذلك نقول في تكملة المقطع السابق من زيارة الجامعة: «وَ بِمُوَالاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ وَ عَظُمَتِ النِّعْمَةُ وَ ائْتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ»[المصدر نفسه].

انظروا ماذا فعل الإمام الحسين(ع) ليلة العاشر؟ إنه قد سهّل صعوبة الجهاد على أصحابه. إنه عرض على أهله ومن معه من أصحابه أن يتفرّقوا ويجعلوا الليل جملا وقال: إنما يطلبوني وقد وجدوني. فقالوا: قبّح الله العيش بعدك. يعني أصبح البقاء معك سهلا والذهاب علينا صعبا. فبعد ما وجد الإمام الحسين(ع) أن كم قد سهّل الجهاد عليهم بنور الولاية سهّل عليهم الطريق أكثر. إذ بعد ذلك كشف لهم الغطاء حتى رأوا منازلهم في الجنة. فقد روي عن الإمام السجاد(ع) أن قال الإمام الحسين(ع) لهم في تلك الليلة: «ارفَعوا رُؤوسَكُم وَانظُروا. فَجَعَلوا يَنظُرونَ إلى مَواضِعِهِم ومَنازِلِهِم مِنَ الجَنَّةِ، وهُوَ يَقولُ لَهُم: هذا مَنزِلُكَ يا فُلانُ، وهذا قَصرُكَ يا فُلانُ، وهذِهِ دَرَجَتُكَ يا فُلانُ. فَكانَ الرَّجُلُ يَستَقبِلُ الرِّماحَ وَالسُّيوفَ بِصَدرِهِ، ووَجهِهِ لِيَصِلَ إلى مَنزِلِهِ مِنَ الجَنَّةِ». [الخرائج والجرائح/ج٢/ص٨٤٧]. هذا هو دور الإمام في تسهيل الطريق لأصحابه والخاضعين لولايته. فإنه قد سهّل عليهم جهاد النفس، وبذل الأنفس في سبيل الله والرضا بقضائه.هنا حري بنا أن يناجي كلّ منا إمام زمانه(عج) ويقول له: سيدي، أرى طريق إصلاح نفسي وعرا، فها أنا أعيش الصعاب والمعاناة في هذا الطريق، مما يدل على أنّي لم أعرفك بعد. سيدي ومولاي! أرجوك أن تعرفني نفسك وتقتحم قلبي وتزيل الغطاء عن وجهي كما فعل الإمام الحسين(ع) لأصحابه. فسهّل بعيني الموت من أجلكم. لابدّ أن نعرف احتياجنا للإمام ودوره في عملية إصلاح النفس، فإذا أدركنا احتياجنا إليهم واستعنّا بهم، سوف لا يبخلون علينا بمعونتهم. فإنهم قد خلقوا لأداء هذا الدور. وهذه هي المعرفة الرئيسية التي نستطيع أن نعتبر باقي الأبحاث مقدّمة أو هامشية بالنسبة إليها. لابدّ أن قد سمعتم قصة ذاك الشيعي الذي أمره الإمام الصادق بإلقاء نفسه في التنّور. «قال مأمون الرقّي كُنْتُ عِنْدَ سَيِّدِي الصَّادِقِ ع إِذْ دَخَلَ سَهْلُ بْنُ الْحَسَنِ الْخُرَاسَانِيُّ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ لَكُمُ الرَّأْفَةُ وَ الرَّحْمَةُ وَ أَنْتُمْ أَهْلُ بَيْتِ الْإِمَامَةِ مَا الَّذِي يَمْنَعُكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ حَقٌّ تَقْعُدُ عَنْهُ وَ أَنْتَ تَجِدُ مِنْ شِيعَتِكَ مِائَةَ أَلْفٍ يَضْرِبُونَ بَيْنَ يَدَيْكَ بِالسَّيْفِ فَقَالَ لَهُ ع اجْلِسْ يَا خُرَاسَانِيُّ رَعَى اللَّهُ حَقَّكَ ثُمَّ قَالَ يَا حَنِيفَةُ اسْجُرِي التَّنُّورَ فَسَجَرَتْهُ حَتَّى صَارَ كَالْجَمْرَةِ وَ ابْيَضَّ عُلُوُّهُ ثُمَّ قَالَ يَا خُرَاسَانِيُّ قُمْ فَاجْلِسْ فِي التَّنُّورِ فَقَالَ الْخُرَاسَانِيُّ

يَا سَيِّدِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ لَا تُعَذِّبْنِي بِالنَّارِ أَقِلْنِي أَقَالَكَ اللَّهُ قَالَ قَدْ أَقَلْتُكَ فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ هَارُونُ الْمَكِّيُّ وَ نَعْلُهُ فِي سَبَّابَتِهِ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ الصَّادِقُ ع أَلْقِ النَّعْلَ مِنْ يَدِكَ وَ اجْلِسْ فِي التَّنُّورِ قَالَ فَأَلْقَى النَّعْلَ مِنْ سَبَّابَتِهِ ثُمَّ جَلَسَ فِي التَّنُّورِ وَ أَقْبَلَ الْإِمَامُ ع يُحَدِّثُ الْخُرَاسَانِيَّ حَدِيثَ خُرَاسَانَ حَتَّى كَأَنَّهُ شَاهِدٌ لَهَا ثُمَّ قَالَ قُمْ يَا خُرَاسَانِيُّ وَ انْظُرْ مَا فِي التَّنُّورِ قَالَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَرَأَيْتُهُ مُتَرَبِّعاً فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَ سَلَّمَ عَلَيْنَا فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ ع كَمْ تَجِدُ بِخُرَاسَانَ مِثْلَ هَذَا فَقَالَ وَ اللَّهِ وَ لَا وَاحِداً فَقَالَ ع لَا وَ اللَّهِ وَ لَا وَاحِداً فَقَالَ أَمَا إِنَّا لَا نَخْرُجُ فِي زَمَانٍ لَا نَجِدُ فِيهِ خَمْسَةً مُعَاضِدِينَ لَنَا نَحْنُ أَعْلَمُ بِالْوَقْتِ.» [بحارالأنوار/ج٤٧ /ص١٢٤] فانظر كيف قد هوّنت الولاية ما لا يطيقه سائر الناس. فلا تزعم أن هارون المكّي قد جاهد نفسه كثيرا حين ما ألقى نفسه في التنور، أو أنّه قد خيّر نفسه بين نار التنّور ونار جهنّم فاختار نار التنّور كرها، كلّا.

## لا ينال ولاية أهل البيت(ع) إلا بالورع

لا ينال ولاية أهل البيت(ع) إلا بالورع، والورع هو أقصى مراحل التقوى. الورع هو ترك هوى النفس بلا مشقّة؛ يعني أن تبلغ المرحلة التي تسهل فيها عملية جهاد النفس. قال أمير المؤمنين(ع) لسليم: «يَا سُلَيْمُ إِنَّ مِلَاكَ هَذَا الْأَمْرِ الْوَرَعُ لِأَنَّهُ لَا يُنَالُ وَلَايَتُنَا إِلَّا بِالْوَرَعِ»[كتاب سليم بن القيس/ج٢/ص٨٢٧] لابدّ أن نتّجه نحو الولاية عن طريق الورع، ثم نعزّز الورع بالولاية. وبهذا الأسلوب يسهل الورع. إن حبّ أمير المؤمنين(ع) يزيد الإنسان ورعا، والورع يزيد الإنسان حبّا لأمير المؤمنين(ع). إن حبّ أمير المؤمنين(ع) هو حبّ جميع المحامد والفضائل في الواقع. فقد جاء في زيارة الجامعة: «إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوَّلَهُ وَ أَصْلَهُ وَ فَرْعَهُ وَ مَعْدِنَهُ وَ مَأْوَاهُ وَ مُنْتَهَاهُ». ويجرّنا هذا الحب إلى جميع الفضائل والمحامد، فإن وجدنا بعض الفضائل ثقيلة على أنفسنا، فذلك بسبب أننا لم نعرف إمامنا جيدا. إذ أن الإمام يسهّل الصعاب كلّها. الولاء للولي يسهّل عليك عملية جهاد النفس، وكذلك يسهّل عليك إطاعة المولى في جهاد النفس، وفي نفس الوقت يضعّف هوى نفسك بشكل كامل. إذ بولائك قد تقبّلت أن يتفضّل عليك بشر مثلك لأن الله قد فضّله عليك. فإنك عندما تقرّ لأمير المؤمنين(ع) بالولاية والسيادة والإمرة عليك فقد قضيت على نفسك، ويسهل عليك الورع حينئذ.

## لماذا الولي يسهّل عمليّة جهاد النفس؟

والسبب الآخر الذي جعل وليّ الله سببا لتسهيل جهاد النفس، هو أن وليّ الله مظلوم. فإنك عندما ترى مظلوميّة أمير المؤمنين(ع) حين استشهاد السيدة الزهراء(س) تهون عملية جهاد النفس بعينك. إن هذا الرجل العظيم الذي استشهد في هذه الأيام، قد شدّ بالحبال وجرّ إلى المسجد. وقد ضربت زوجة هذا الرجل المظلوم أمام عينه. ما أكثر الشهداء الذين زالت مظلوميتهم بعد استشهادهم، إلا أمير المؤمنين(ع) فقد بدأ الخطباء بعد استشهاد أمير المؤمنين(ع) بلعنه على المنابر. فهل تستطيعون أن تجدوا مظلوما مثل علي بن أبيطالب(ع). من ظلامات أمير المؤمنين(ع) بعد استشهاده هي أن لم يشيّعه أحد من الناس فقد دفن في ليلة ظلماء بعيدا عن أنظار الناس. فعادت ذكريات مصائب الزهراء(س) على بنته زينب وهي ترى تكرار مشهد التشييع في جوف الليل خفية، فما أعزّ على البنت المصابة بفقد أبيها أن لا تجهش بالبكاء، ولا ترفع صوت النحيب والعويل علي أبيها المقتول ظلما.

### ألا لعنة الله على القوم الظالمين



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢١)

علي‌رضا بناهيان




**الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ**
**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فی مدينة طهران**
**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢١)**

**إليك ملخّص الجلسة الواحدة والعشرين من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

## جواب الله لبعض عبّاد بني إسرائيل

إن شهر رمضان شهر المغفرة، كما قال رسول الله(ص): «**فَإِنَّ الشَّقِيَ مَنْ حُرِمَ غُفْرَانَ اللَّهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيم**» [الأمالي للصدوق/ص٩٣]. فيودّ الجميع أن ينتهزوا أيام هذا الشهر ولياليه ليحصلوا على الحدّ الأقصى من فوائده وبركاته. فإن حُرم استجابةَ اللّه أحدٌ من الناس، لا يهتدي بعدُ إلى طريق نجاةٍ بسهولة. فمن أجل ازدياد استفادتنا من هذا الشهر العظيم، ومن أجل أن نزداد شعورا بأهميّة هذا الطريق الذي يجب أن نسلكه، أرجوا أن تلتفتوا إلى هذه الرواية: قال الإمام الصادق(ع): «**إِنَّ حَبْراً مِنْ أَحْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَبَدَ اللَّهَ حَتَّى صَارَ مِثْلَ الْخِلَالِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ فِي زَمَانِهِ قُلْ لَهُ وَ عِزَّتِي وَ جَلَالِي وَ جَبَرُوتِي لَوْ أَنَّكَ عَبَدْتَنِي حَتَّى تَذُوبَ كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ فِي الْقِدْرِ مَا قَبِلْتُ مِنْكَ حَتَّى تَأْتِيَنِي مِنَ الْبَابِ الَّذِی أَمَرْتُكَ**» [ثواب الأعمال وعقاب الأعمال/ ص٢٠٣] وكذلك روي عن الإمام الصادق(ع): «**مَرَّ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ ع بِرَجُلٍ وَ هُوَ رَافِعٌ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ يَدْعُو اللَّهَ فَانْطَلَقَ مُوسَى فِی حَاجَتِهِ فَبَاتَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ وَ هُوَ رَافِعٌ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ يَا رَبِّ هَذَا عَبْدُكَ رَافِعٌ يَدَيْهِ إِلَيْكَ يَسْأَلُكَ حَاجَتَهُ وَ يَسْأَلُكَ الْمَغْفِرَةَ مُنْذُ سَبْعَةِ أَيَّامٍ لَا تَسْتَجِيبُ لَهُ قَالَ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ يَا مُوسَى لَوْ دَعَانِي حَتَّى يَسْقُطَ يَدَاهُ أَوْ يَنْقَطِعَ لِسَانُهُ مَا اسْتَجَبْتُ لَهُ حَتَّى يَأْتِيَنِی مِنَ الْبَابِ الَّذِی أَمَرْتُه**» [المحاسن/ج١/ص٢٢٤] فما هذا الباب الذي يجب أن نعبد الله عن طريقه، وإلا فلن تجدي عبادتنا نفعا مهما تعبّدنا؟ وليت شعري ماذا وأين هذا الباب الذي مهما عملتَ واستغفرت لن ينظر إليك أحد، ولكنك إن جئت من هذا الباب سوف يغفر الله لك بأدنى عمل؟! لابدّ لنا أن نقرّ بكلتا الحقيقتين وهذا ما يحتاج إلى دقّة من جانب وإلى صفاء الباطن من جانب آخر.

## الإمام الصادق(ع): ذلّل نفسك باحتمال من خالفك ممن هو فوقك

يقول الإمام الصادق(ع): «**ذَلِّلْ نَفْسَكَ بِاحْتِمَالِ مَنْ خَالَفَكَ مِمَّنْ هُوَ فَوْقَكَ وَ مَنْ لَهُ الْفَضْلُ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا أَقْرَرْتَ بِفَضْلِهِ لِئَلَّا تُخَالِفَهُ**» [الكافي/ج١٥/ص٥٥٤]. يمكن أن يكون هذا الأعلى و «من هو فوقك» هو الأب والأم في البيت، أو الضابط في المعسكر، أو الرئيس في الدائرة. طبعا من المعلوم أن امتثال أمر الأعلى مشروط بأن لا يخالف أمرُه أمرَ الله. وقد جاء هذا الشرط في القرآن بعد ما أمر بالإحسان بالوالدين. [راجع العنكبوت/٨ واللقمان/١٥]

## لابد أن نذلّ أنفسنا للّه بجهاد النفس

في سبيل أن ننال المقام الذي خلقنا من أجله، لابدّ أن تذِلّ أنفسنا، ولا طريق إلى إذلال النفس سوى مجاهدتها ومخالفتها. إن جهاد النفس ومخالفتها يقتضي وجود أمرِ من هو فوقنا. وهذا هو «الطريق الوحيد» الذي تحدّثنا عنه في هذه الجلسات الماضية، كما أن الإنسان مجبور على مجاهدة نفسه شاء أم أبى. ولكن لابدّ للإنسان أن يجاهد هوى نفسه ليذلّ لله سبحانه ويصل إليه. لا يمكن للإنسان المتكبّر أن يصل إلى الله ما دام متكبرا. فإن طريق الوصول إلى الله هو التذلّل، يعني أن يقضي الإنسان على أنانيّته ليستطيع السير نحو الله عز وجل. ولكن يبدو أنه إذا تركت النفسُ مع ربّها، فسيعتريها العجب والغرور شيئا فشيئا، ثم ترى أنها ذو مقام وشأن رفيع، فلم تعد ذليلة مقهورة، ولم تزُل «الأنا» في مقابل الله. لذلك قد لا تحصل حالة الذلّ والخشوع في مقابل الله عبر العلاقة المباشرة مع الله. إن حبط عمل إبليس الذي قد عبد الله ستة آلاف سنة ينبئ بأننا حتى وإن عبدنا اللّه بشكل مباشر ستّة آلاف سنة، مع ذلك قد لم تذل أنفسنا لله بهذه العبادة.

## أهميّة الذلّ لله

في موضوع أهميّة ذلّ النفس للّه، حري بالإشارة إلى الحديث المروي عن الإمام الباقر(ع) حيث قال: «أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَى مُوسَى ع أَنْ يَا مُوسَى أَ تَدْرِي لِمَ اصْطَفَيْتُكَ بِكَلَامِي دُونَ خَلْقِي قَالَ يَا رَبِّ وَ لِمَ ذَاكَ قَالَ فَأَوْحَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي قَلَّبْتُ عِبَادِي ظَهْراً لِبَطْنٍ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِمْ أَحَداً أَذَلَّ لِي نَفْساً مِنْكَ يَا مُوسَى إِنَّكَ إِذَا صَلَّيْتَ وَضَعْتَ خَدَّكَ عَلَى التُّرَابِ» [الكافي/ج٢/ص١٢٣].

## طريق الذل لله هو الإقرار بأفضليّة ولي الله

ما هو الطريق؟ إذا ما أردتَ أن تجد إلى اللّه المتكبّر سبيلا، فلابدّ لك من التذلّل. هذه هي فلسفة جهاد النفس وهي أن تلوي عنق نفسك. ولكنك إن عمدت إلى إرغام نفسك، يأت الله إليك بوليّه ويفرض عليك أن تقرّ بكونه أفضل منك. ومضافا إلى الإقرار بأفضليّة ولي الله عليك، لابدّ لك أن تستلم أوامر الله عن طريقه، وأن تخضع لأوامره الخاصّة أيضا كما تخضع لأوامر الله. إن هذه الأحاديث القدسية التي مرّت عليكم والتي تنقل عن الله أنه لا يقبل عبادة العابد وتوبة التائب مهما حاول وسعى وحتى لو ذاب كذوب الشحم في القدر أو كسرت يداه وقطع لسانه ما لم يأت الله من الباب الذي أمره، هذا الباب هو باب الولاية التي يجب أن نستلم أحكام الله عن طريقه.

## سبب هلاك إبليس هو الكبر على وليّ الله/ سبب غفران آدم(ع)، التواضع لولي الله

قال الإمام الحسن العسكري(ع) عن النبي الأعظم(ص): «عَصَى اللَّهَ إِبْلِيسُ، فَهَلَكَ لِمَا كَانَ مَعْصِيَتُهُ بِالْكِبْرِ عَلَى آدَمَ وَ عَصَى اللَّهَ آدَمُ بِأَكْلِ الشَّجَرَةِ، فَسَلِمَ وَ لَمْ يَهْلِكْ لِمَا لَمْ يُقَارِنْ بِمَعْصِيَتِهِ التَّكَبُّرَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لَهُ: «يَا آدَمُ عَصَانِي فِيكَ إِبْلِيسُ، وَ تَكَبَّرَ عَلَيْكَ فَهَلَكَ، وَ لَوْ تَوَاضَعَ لَكَ بِأَمْرِى، وَ عَظَّمَ عِزَّ جَلَالِي لَأَفْلَحَ كُلَّ الْفَلَاحِ كَمَا أَفْلَحْتَ، وَ أَنْتَ عَصَيْتَنِي بِأَكْلِ الشَّجَرَةِ، وَ بِالتَّوَاضُعِ لِمُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ تُفْلِحُ كُلَّ الْفَلَاحِ» [الاحتجاج للطبرسي/٥٣/١].

## إن ليلة القدر هي ليلة الاعتذار من الإمام صاحب الزمان(عج)

إن ليلة القدر، هي ليلة الاعتذار من الإمام صاحب الزمان(عج) وقبول توبتنا مشروط بجلب رضا الإمام الحجة(عج). نحن نعتقد أن في ليلة القدر تُسَلّم صحف أعمالنا إلى الإمام صاحب الزمان(عج)، كما تسلّم الصحف إلى أمير المؤمنين(ع) يوم القيامة. فقد قال النبي(ص) لأصحابه: «آمِنُوا بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ إِنَّهَا تَكُونُ- لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَ لِوُلْدِهِ الْأَحَدَ عَشَرَ مِنْ بَعْدِي» [الكافي/ج١/ص٥٣٣]

## إذا كان الخوض في الشهوات قبيح، فإن الصلاة بلا ولاية قبيحة أيضا

إذا كان الخوض في الشهوات والفسق والفجور قبيح لكون الإنسان المنحدر في هاوية الشهوات يعمل بما يحب، كذلك الصلاة قبيحة بلا ولاية، لأنها تعبّر عن عبادة منسجمة مع هوى الإنسان المتكبّر على ولي الله. وحري بالذكر أن قد ارتكب المصلّون بلا ولاية جرائم لم يرتكبها حتى الكفّار. لقد التزم الكفّار والمشركون ببعض الأصول والقيم في تعاملهم مع سبايا المسلمين، ولكن تعالوا إلى كربلاء لتروا المصلّين الذين جرّدوا دينهم عن الولاية فلم توقفهم أي قيمة وأي حرمة في ارتكاب الجرائم على أطفال الحسين(ع) فضلا عن الكبار.

## ألا لعنة الله على القوم الظالمين



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢٢)

عليرضا بناهيان




**الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ**
**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فی مدینة طهران**
**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢٢)**

**إليك ملخّص الجلسة الثانية والعشرين من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

## إن قبول أمر «ولي الله» علامة على صحة الإيمان والصدق في مخالفة الهوى

بعد أن اقتنع الإنسان بمجاهدة هواه وأن يقوم بجهاده وفق البرنامج الذي أعطاه ربّه والمقدّرات التي قدّرها له في سبيل إضعاف أنانيّته. هنا يقول الله له: «إذا أردت القضاء على أنانيّتك فلا يكفيك أن تتواضع لربّك وحسب، ولا يدلّ ذلك على طهارتك، وذلك لأن الإنسان كائن معقّد ومتشعّب الأبعاد، فلعلّه قد ترك في سويداء قلبه شيئا من الكبر. لذلك فأنا أرسل إليك وليّي ليأمرك. وعليك أن تتواضع له وتمتثل أمره. فإن خضعت لولاية وليّي وامتثلت أمره، يدلّ ذلك على صدق مدّعاك واستعدادك الحقيقي لمخالفة هواك من أجلي وبأمري». إن أدوات فحص صحة إيماننا وصدق ادعائنا في مخالفة الهوى، هي سلسلة المراتب التي وضعها الله في نظام العالم. يعني أن وجوب طاعة الله ينزل درجة ويصل إلى رسول الله(ص) ثم منه إلى أمير المؤمنين(ص) وأئمة الهدى إلى الإمام الحجة المنتظر(عج). كما أن سلسلة المراتب هذه قد تمتدّ إلى درجات أنزل وتتبلور في أشكال أخرى كطاعة الأب والأم.

## لا يمكن إلجام النفس عبر إطاعة الله المباشرة وحسب

لابدّ لنا من إلجام النفس وتجريدها من أنانيّتها وكبرها ونذلّ أنفسنا أمام رب العالمين. ولكن لا يمكن إنجاز هذا الهدف عبر إطاعة الله المباشرة وحسب. إذ لا سبيل لجميع الناس إلى استلام أوامر الله بشكل مباشر، ومن جانب آخر لا تُثبِت نفس الإنسان طهارتها عبر الطاعة المباشرة لله. لذلك قد جعل الله وليّه لنسمع له ونطيعه، كما قد وضع سلسلة مراتب بعده تنتهي إلى الوالدين الذين أوجب علينا برّهم وطاعتهم. يعني أن الوالدين هما يشكّلان جزء من هذه السلسلة، فبطاعتهما ـ في موارد الطاعة ـ يفتُر كبرنا وتذبل أنانيّتنا وتخشع نفسنا لله سبحانه.

يقول الإمام الصادق(ع): «ذَلِّلْ نَفْسَكَ بِاحْتِمَالِ مَنْ خَالَفَكَ مِمَّنْ هُوَ فَوْقَكَ» [الكافي/ج٨/ص٢٤٣] يعني سلّم إدارة مخالفة هواك إلى من هو فوقك. فعلى سبيل المثال يعتبر الزوج فوق الزوجة رتبة في نطاق ولايته عليها. فإن هذه المراتب موجودة في مختلف أبعاد الحياة الاجتماعية.

## لابدّ أن تكون عمليّة إدارة أهواء النفس عن الطريق «الأعلى» الذي حدّده الله للإنسان

كلّنا نخضع لولاية من هو فوقنا. فعلى سبيل المثال إن والدينا فوقنا، لذلك لابدّ أن نسلّمهما قسما من عمليّة إدارة هوى نفسنا. لقد أكّد القرآن مرارا على لزوم الخضوع لمن هو فوقنا. فقال سبحانه: (وَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً) [النساء/٣٦] وقال كذلك: (فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ) [الإسراء/٢٣]. فلا يجوز أن نسيء التعامل معهما بحيث ينكسر قلبهما ويتألمان. فمقتضى هذا الإحسان والاحترام لهما هو أن نخالف الهوى على أساس مرامهما. لابدّ أن تكون عمليّة إدارة أهواء النفس عن الطريق «الأعلى» الذي حدّده الله للإنسان. فعلى كلّ إنسان أن يرى من هو الذي جعله الله فوقه في سلسلة المراتب لكي يتّبعه. ولا شكّ في أنّ هؤلاء «الأعلَون» الذين تجب طاعتهم، قد حدّدهم الله على درجات مختلفة. فعلى سبيل المثال المرأة تخضع لولاية زوجها. وعلى الرجل أن يخضع لوالديه باعتبارهما فوقه. أما الذي صاحب الولاية المطلقة هو «وليّ الله الأعظم» وينوب عنه «الوليّ الفقيه». يحكي الخضوع للأعلى درجة، عن مرتبة من مراتب سلامة النفس، وهو مدعاة للتواضع وزوال الكبر. ولكن يجب أن تعرف لأي «أعلى» تخضع؛ لمن جعله الله عليك وليّا، أم للطاغوت الذي فرض نفسه عليك فرضا، ولم يأمر الله بطاعته.

## الإمام الصادق(ع): ذَلِّلْ نَفْسَكَ بِاحْتِمَالِ مَنْ خَالَفَكَ مِمَّنْ هُوَ فَوْقَكَ

لنرجع إلى حديث الإمام الصادق(ع) حيث يقول: «ذَلِّلْ نَفْسَكَ بِاحْتِمَالِ مَنْ خَالَفَكَ مِمَّنْ هُوَ فَوْقَكَ وَ مَنْ لَهُ الْفَضْلُ عَلَيْكَ؛ فَإِنَّمَا أَقْرَرْتَ بِفَضْلِهِ لِئَلَّا تُخَالِفَهُ» [الكافي/ج٨/ص٢٤٣] فعلى سبيل المثال للطبيب فضل على المريض ولابدّ للمريض أن يمتثل أمره. لذلك حسب ما نقل عن أطباء الإمام الخميني(ره)، كان سماحته قد سلّم أمره إليهم في القضايا الصحيّة. إن هذه الخصلة هي من درجات روح الولاء والخضوع للأفضل. مع أن الطبيب ليس وليّا على الإنسان، ولكن من الناحية الأخلاقية نستطيع أن نقول: إن من يستنكف عن قبول رأي المتخصّص فهو متكبّر.

## من لا يعرف لأحد فضلا فهو معجب برأيه

ثم يقول الإمام الصادق(ع) في تكملة حديثه: «وَ مَنْ لَا يَعْرِفْ لِأَحَدٍ الْفَضْلَ، فَهُوَ الْمُعْجَبُ بِرَأْيِهِ» [المصدر نفسه]. وسرّ هذا الكلام هو أن كلّنا سوف نواجه إنسانا أفضل في حياتنا لابدّ أن نعترف له بالأفضليّة ولا يخفى أن الاعتراف بأفضليّة الآخرين ليس بعمل هيّن على كل إنسان ولا يقوى عليه الجميع. فإن بعض الناس ومن أجل أن يخلّص نفسه من ثقل التواضع والخضوع، لا يعترف لأحد فضلا من الأساس، فمثل هذا الإنسان قد ابتلي بالعجب التي هي من أسوء الصفات. وقد جاء في شرح أصول الكافي في ذيل هذه الرواية، أن المصداق الأتم والأكمل للأعلى هو أهل البيت وأئمّة الهدى(ع) أو ما نعبّر عنه بالولاية. ولكنّي توسّعت في ذكر مصاديق أخرى في سبيل فهم الآثار التربوية والأخلاقية الناتجة من إطاعة الأعلى.

## إن لم نفوّض إدارة عمليّة مخالفة الهوى إلى وليّ الله، ستسقط بيد عدوّ الله الذي لا يرحم

إن لم يكن زمام إدارة عمليّة مخالفة الهوى في هذا الطريق بيد وليّ الله، ماذا يحدث؟ عند ذلك ستسقط إدارة مخالفة الهوى بيد عدوّ الله وعدوّنا الذي لا يرحم. يعني سوف يسلّط الله علينا أرذل خلق الله وهذه لقاعدة وسنّة إلهيّة. إنّك إن لم تعط زمام إدارة مخالفة هواك بيد وليّ الله، سوف تُضطرّ إلى مخالفة هواك تحت إدارة أراذل العالم وليس لك طريق آخر.

## هل عاش الشعب المصري بسعادة وهناء بعد ما كان حكّامهم مطيعين لأمريكا عقودا متمادية؟

إن خالف الإنسان هواه أياما معدودة تحت إمرة وليّ الله، واستقام على نهجه في درب الحق، يعش سعيدا إلى آخر عمره في دنياه فضلا عن آخرته. ولكنّه إن تمرّد على حكم وليّ الله ولم يخالف هوى نفسه، يهيمن عليه المستكبرون وأراذل العالم وبعد ذلك لابدّ له أن يودّع الحياة السعيدة ويقرأ عليها السلام. من نماذج هذه القاعدة هي دولة مصر التي خضع حكّامها إلى إرادة أمريكا أكثر من ثلاثين سنة. فهل الآن يحظى الشعب المصري بحياة سعيدة؟! كان بإمكان مصر أن تكون من أرقى بلدان منطقتنا اقتصاديّا وثقافيّا. كانت مصر بوّابة دخول العلم إلى أوروبّا. فلا يعوز الشعب المصري ولا أرض مصر شيئا. ولكنّها تعاني من فقر شديد إذ كان قد خضع حاكمها لأمريكا في كل شيء.

إن إعلامنا ـ وللأسف ـ يتكلم بطريقة دبلماسيّة ورسميّة بحتة في التغطية على أخبار بلدان المنطقة، وكأنه يتحدث في مؤتمر قمّة. مع أنّه يستطيع أن يصوّر الظروف الحقيقية التي تعيشها شعوب المنطقة عبر برامج وثائقيّة واقعيّة. انظروا إلى العراق وإلى ما يعانيه من نفوذ أمريكا وتأثيرها على بعض أحداث العراق. فمع أنها قد اضطُرّت إلى سحب قوّاتها من العراق، ولكن مازالت لم تنقطع أيادي تدخّلها ونفوذها بشكل كامل. لعلّ أكبر سفارة أمريكية هي في العراق وبآلاف من الموظّفين. إن أمريكا هي المتصدّية لبيع نفط العراق ثمّ تعطي شيئا من وارد بيع النفط العراقي إلى العراقيّين، وكأنها هي أمين صندوق العراق! وبعد كلّ هذا النهب من أموال العراق لم تسع لإعمار العراق قطّ لتحصل على مكانة بين العراقيّين. انظروا إلى وضع الأمن في العراق. فليت شعري كم عراقي يجب أن يقتل حتى يرضى الأمريكان؟!

## هل يجب أن نقطّع إربا إربا حتى يصدّق البعض برذالة العدوّ؟!

إن بعض الناس ـ وللأسف الشديد ـ من الجهالة بمكان بحيث لا يرون حقائق العالم هذه ولا يصدّقون بوجود العدوّ. يبدو أن هولاء لن يصدّقوا بوجود شيء اسمه العدوّ واسمه الاستكبار إلّا اللهم في ما إذا حطّموا أنفسهم ودمّروا مجتمعهم بيد العدوّ. فيا ترى هل لابدّ أن نمهل العدوّ إلى أن يهدّد أمننا ويقطّعنا إربا إربا حتى يصدّق البعض برذالته؟! وإلى متى لابدّ أن نرى الخطاب الثوري غريبا في بعض الأوساط في بلدنا!

## متى ينبغي لنا التفاوض مع الاستكبار

يجب علينا أن نقف أمام الاستكبار العالمي. فلا ينبغي أن نتفاوض معه إلا بشرط أن ينذلّ أمامنا بشدّة. إذ بمجرّد أن يرانا مستعدين لتقديم بعض التنازلات يزداد وقاحة. لا يحلو لنا التفاوض مع الغرب إلا بعد أن كنّا من القوّة بمكان بحيث عندما ضربنا بأيدينا على الطاولة وقلنا لهم اسحبوا الإرهابيّين من سورية لنبدأ الحديث معكم، لم يجدوا بدّا سوى أن يمتثلوا بكل ذلّ. إذ لا يمكن الحديث معهم إلا من منطق القوّة، امّا إذا أردنا أن نتحدث معهم من منطق الضعف سيضربون هم على الطاولة ويقولون: سلّمونا حزب الله والمقاومين في سورية لكي نذبحهم جميعا! منذ سنين وهم يطالبوننا أن لا ندعم حزب الله والمقاومة في المنطقة.

## نحن إن تنازلنا للعدوّ ذرّة، لابدّ أن نستقبل الإرهابيّين في بلدنا بعد ما اقتحموا سورية بأسرها

نحن لابدّ أن ندرس الموضوع ونرى كيف تجرّأ الأوروبيّون على وضع مجاهدي حزب الله في قائمة الإرهاب؟ وما هي العوامل التي سمحت لهم أن يرتكبوا ظلما مثل هذا؟ نحن اليوم إن تنازلنا للعدوّ مثقال ذرّة، لابدّ أن نستقبل الإرهابيين في بلدنا بعد ما اقتحموا سورية بأسرها!

إنك إن لم تسلّم إدارة مخالفة هواك إلى وليّ الله، سوف يقع زمام إدارة مخالفة هواك بيد عدوّ الله وإنه لن يرحمك أبدا. وفي الواقع نحن نهتف في يوم القدس بأن إدارة مخالفة أهوائنا ليست بيد عدوّ الله، وإنما هي بيد وليّ الله. لابدّ أن نسأل الله أن يحفظ زمام إدارة مخالفة أهوائنا بيده ولا يسمح أن يقع بيد عدوّه.

## أولئك الذين لا يتحمّلون العناء في طريق الحقّ، لابدّ لهم من تجشّم نفس العناء في طريق الباطل

على أساس السنن الإلهيّة، أولئك الذين لا يتحمّلون العناء في طريق الحقّ، لابدّ لهم من تجشّم نفس العناء في طريق الباطل. فقد قال الإمام الصادق(ع): «**واعْلَمْ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُنْفِقْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ابْتُلِيَ بِأَنْ يُنْفِقَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ مَنْ لَمْ يَمْشِ فِي حَاجَةِ وَلِيِّ اللَّهِ ابْتُلِيَ بِأَنْ يَمْشِيَ فِي حَاجَةِ عَدُوِّ اللَّه**» [من لا يحضره الفقيه/ج٤/ص٤١٢] إن أهل الكوفة الذين تشبثوا بشتّى الذرائع كالحرّ والبرد وغير ذلك لأن يقعدوا عن القتال مع أمير المؤمنين(ع)، وصل بهم الأمر إلى أن يقتلوا سيد الشهداء(ع) بإشارة من يزيد بن معاوية وقد هلك منهم كثير. أولئك الذين كان حريّ بهم أن يستشهدوا تحت راية أمير المؤمنين(ع) في ساحة الجهاد ضدّ معاوية، وصل بهم الأمر إلى أن قُتِلوا تحت لواء يزيد في قتالهم ضدّ الإمام الحسين(ع) وذهبوا إلى نار جهنّم. يعني هؤلاء الذين قصّروا في الدفاع عن الحقّ، ابتلوا بالدفاع عن الباطل.

## من يخضع لولاية الاستكبار، يصل به الأمر إلى القتل والهلاك في سبيله

كان الغربيّون في زمن بائد، يستخدمون الشباب والجنود الإيرانيين لقمع الثورات في المنطقة. فانظروا كيف كان حالنا سابقا وإلى أين رقّانا الإمام(ره) بهذه الثورة، بحيث لسنا لم نعد نقاتل من أجل العدوّ وحسب، بل أصبحنا نقاومه. يعني كنّا نعرّض شبابنا وجنودنا إلى القتل والهلاك في سبيل أن تصل أمريكا إلى مطامعها في المنطقة! هكذا كان حالنا! وكذلك كان الإنكليز يستخدمون الجنود من أهل الهند في سبيل مواصلة أهدافهم الاستعمارية في البلدان الأخرى. فكانوا يعرّضون هؤلاء الجنود المساكين إلى القتل في سبيل بسط سلطتهم الاستعمارية في البلدان الأخرى. يعني من سلك طريق الخضوع للاستكبار، لابدّ أن يسلك الطريق إلى آخره وسوف يصل به الأمر إلى القتل والهلاك في سبيل الاستكبار. فإنك إن أعطيت الضوء الأخضر للعدوّ، لن يمنحك العدوّ حياة مريحة في هذه الدنيا، ولن يكتفي بأن تتحمل ظلمه وعدوانه وحسب، بل يأمرك أن تفدي بروحك في سبيل مطامعه! إذ لا يريد أن يفرّط بجنوده في سبيل مطامعه! في أغلب الأحيان لا داعي لخوض الصراع مع العدوّ، وحسبنا أن نحظى بروح جهاديّة. كما لا داعي لضرب الكلاب في أغلب الأحيان، وإنّما عليك أن لا تفرّ منهم. فلو رفعت حجارة يفرّ منك فورا وكأنه قد أصيب بالحجارة حقيقة. لابدّ من مواجهة العدوّ بروح ثوريّة وإلا فسوف يتضرّر الشعب جميعا.

## يجب على رجالنا السياسيّين أن يجابهوا هؤلاء الذئاب الخبثاء

يجب على رجالنا السياسيّين أن يتنافسوا مع بعض في مواجهة هؤلاء الذئاب الخبثاء. لقد اتخذ أعضاء مجلس الشورى الإسلامي موقفا مختصرا تجاه الأروبيين الوقحين الذين أضافوا حزب الله إلى قائمة الإرهاب، ولكن يجب على جميع السياسيّين أن يتخذوا موقفا شديدا. فمن يتنازل لهؤلاء الوقحين مثقال ذرّة ولم يدافع عن كرامته بعزّ ولم يتهجم عليهم بشجاعة، سوف يذلّ، والله هو الذي سيهيّئ أسباب ذلّه. وبالتأكيد لابدّ أن تكون كل هذه المواقف من المقاومة العزيزة والتهجّم الشجاع على العدو، مصحوبة بالحكمة والتدبير والواقعيّة، ولكن من أهمّ حقائق العالم الواقعيّة هي أن الله سبحانه قد وعد بنصر المقاومين ضدّ الأعداء.



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢٣)

علي‌رضا بناهيان




الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١۴٣۴هـ

المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فی مدينة طهران

الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢٣)

**إليك ملخّص الجلسة الثالثة والعشرين من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

## مراحل جهاد النفس ثلاثة: ١. العقل في مقابل هوى النفس ٢. الإيمان في مقابل هوى النفس ٣. الولاية في مقابل هوى النفس

ينتهي طريق جهاد النفس إلى تصدّي الولاية لقيادة هذه الحركة. فإذا كان العقل في مقابل هوى النفس في بداية هذا الجهاد، وكان الإيمان هو المتصدّي لمواجهة هوى النفس في المراحل المتأخرة، ففي آخر المطاف تأتي الولاية لتواجه هوى النفس.**١ـ العقل في مقابل هوى النفس:** يرشدك العقل إلى رؤية أقصى المصالح ويدعوك إلى بعد النظر في متابعة الرغبات، بينما يدعوك هوى النفس إلى أقرب المصالح وأسطح الرغبات. **٢ـ الإيمان في مقابل هوى النفس:** يكوّن الإيمان الهدف والحافز، بينما يحاول هوى النفس أن يحول دون انعقاد الإيمان. فمن اتبع أهواء نفسه يفقد الإيمان. **٣ـ الولاية في مقابل هوى النفس:** إن جهاد النفس بحاجة إلى برمجة. إن «التقوى» هي برنامج جهاد النفس والتي تتصدّى لتبيين أسلوب تضعيف «الأنا». في سبيل تضعيف «الأنا» لابدّ أن تستلم الأوامر من الله وأن يبلّغها إليك وليّ الله. إن عمليّة استلام الأوامر من الله ليست بعمليّة مباشرة، فلابدّ لك من التواضع لوليّ الله. وهذا التواضع يستلزم أن تتقبّل أفضليته عليك. فيجب عليك في التعامل مع وليّ الله أن تخضع للأوامر التي يبلغها عن الله سبحانه، وكذلك يجب أن تخضع لأوامره التي يصدرها بنفسه، وذلك من أجل القضاء على أنانيتك. إذن ففي هذه المرحلة يقع هوى النفس في مقابل «الولاية»، وفي سبيل مواجهة هوى النفس لابدّ لك من الخضوع لأوامر الولاية. هناك روايات كثيرة في بيان العلاقة بين الولاية وهوى النفس. فقد سئل أَبو الْحَسَنِ الرضا(ع) فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ (وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ) قَالَ: يَعْنِي مَنِ اتَّخَذَ دِينَهُ رَأْيَهُ بِغَيْرِ إِمَامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْهُدَى» [الكافي/١/٣٧٤]. فما تشير إليه هذه الرواية ينسجم مع ما ذكر من مخالفة هوى النفس عبر امتثال أوامر ولي الله، وهو يؤيّد نفس هذه الفكرة. فلا ينبغي أن نتعامل مع هذه الرواية بطريقة تعبّدية محضة، بل لابدّ أن نعتبرها أساسا ومنهجا شاملا في مخالفة الهوى.

## لا يَثبُت صدق الإنسان في تواضعه لله، إلاّ عن طريق تواضعه لوليّ الله

يتجسّد تواضع الناس الحقيقي في أسلوب تعاملهم مع الولاية. فإنك إن خضعت لولاية بشر مثلك ولكنّه أفضل منك، فإنك قد تواضعت في الواقع ومن هنا تصبح الولاية هي الأساس في تقييم الإنسان. فلابدّ أن نخوض في موضوع الولاية بأداة التحليل والتعقّل وأن ندرس آثارها في جميع أجزاء الدين. فما يبدو من كثير من آيات القرآن والروايات والدراسات العقلية، هو أنه لا يثبت صدق الإنسان في تواضعه لله، إلّا عن طريق تواضعه لوليّ الله. عَنْ زُرَارَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ وَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولَانِ: **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ فَوَّضَ إِلَى نَبِيِّهِ ص أَمْرَ خَلْقِهِ لِيَنْظُرَ كَيْفَ طَاعَتُهُمْ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ- ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»** [الكافي/ج١/ص٢٦٦]

عَنِ الإمام الصَّادِقِ ع قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: **«وَ الَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيّاً لَوْ أَنَ رَجُلًا لَقِيَ اللَّهَ بِعَمَلِ سَبْعِينَ نَبِيّاً ثُمَ لَمْ يَلْقَهُ بِوَلَايَةِ أُولِي الْأَمْرِ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفاً وَ لَا عَدْلا»**. [الأمالي للمفيد/١١٥] وفي رواية أخرى مشابهة قال رسول الله(ص): **«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ عَبْداً جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِعَمَلِ سَبْعِينَ نَبِيّاً مَا قَبِلَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْهُ حَتَّى يَلْقَاهُ بِوَلَايَتِي وَ وَلَايَةِ أَهْلِ بَيْتِي»** [الأمالي للطوسي/ ١٤٠]

## من لم يعتقد بولاية أهل البيت(ع) فهو من أهل النار حتى وإن عبد الله طوال عمره

عَنْ مُيَسِّرٍ بَيَّاعِ الزُّطِّيِّ قَالَ: **«دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع فَقُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَ لِي جَاراً لَسْتُ أَنْتَبِهُ إِلَّا بِصَوْتِهِ إِمَّا تَالِياً كِتَابَهُ يُكَرِّرُهُ وَ يَبْكِي وَ يَتَضَرَّعُ وَ إِمَّا دَاعِياً فَسَأَلْتُ عَنْهُ فِي السِّرِّ وَ الْعَلَانِيَةِ فَقِيلَ لِي إِنَّهُ مُجْتَنِبٌ لِجَمِيعِ الْمَحَارِمِ قَالَ فَقَالَ يَا مُيَسِّرُ يَعْرِفُ شَيْئاً مِمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ قَالَ قُلْتُ اللَّهُ أَعْلَمُ قَالَ فَحَجَجْتُ مِنْ قَابِلٍ فَسَأَلْتُ عَنِ الرَّجُلِ فَوَجَدْتُهُ لَا يَعْرِفُ شَيْئاً مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الرَّجُلِ فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ فِي الْعَامِ الْمَاضِي يَعْرِفُ شَيْئاً مِمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ قُلْتُ لَا قَالَ يَا مُيَسِّرُ أَيُّ الْبِقَاعِ أَعْظَمُ حُرْمَةً قَالَ قُلْتُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ ابْنُ رَسُولِهِ أَعْلَمُ**

**قَالَ يَا مُيَسِّرُ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَ الْمَقَامِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَ مَا بَيْنَ الْقَبْرِ وَ الْمِنْبَرِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَ لَوْ أَنَّ عَبْداً عَمَّرَهُ اللَّهُ فِيمَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَ الْمَقَامِ وَ فِيمَا بَيْنَ الْقَبْرِ وَ الْمِنْبَرِ يَعْبُدُهُ أَلْفَ عَامٍ ثُمَّ ذُبِحَ عَلَى فِرَاشِهِ مَظْلُوماً كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ الْأَمْلَحُ ثُمَّ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ بِغَيْرِ وَلَايَتِنَا لَكَانَ حَقِيقاً عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ أَنْ يُكِبَّهُ عَلَى مَنْخِرَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّم».** [ثواب الأعمال للصدوق/ص٢١٠]

## لا يقبل الله عمل امرء شاك في أهل البيت(ع)

تؤيد هذه الروايات أننا لم نخلق لغرض أن نكون أناسا صالحين وأن نعمل مجموعة من الأعمال الصالحة. بل إنما خلقنا من أجل أن نجاهد أهواء أنفسنا، وينتهي هذا الجهاد في آخر المطاف إلى الخضوع للولاية واتباعها. لقد قال النبي الأكرم(ص): «**لَوْ أَنَّ عَبْداً عَبَدَ اللَّهَ أَلْفَ عَامٍ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَ الْمَقَامِ ثُمَّ ذُبِحَ كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ مَظْلُوماً لَبَعَثَهُ اللَّهُ مَعَ النَّفَرِ الَّذِينَ يَقْتَدِي بِهِمْ وَ يَهْتَدِي بِهُدَاهُمْ وَ يَسِيرُ بِسِيرَتِهِمْ إِنْ جَنَّةً فَجَنَّةٌ وَ إِنْ نَاراً فَنَارٌ**». [بحار الأنوار/٢٧/١٨٠]. وقد روي في أمالي المفيد عن الإمام الباقر(ع) والإمام الصادق(ع) أنهما قالا: «**نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلَ عَبْدٍ وَ هُوَ يَشُكُّ فِينَا**». [الأمالي للمفيد/ ص٣]

## هوى النفس سبب لمخالفة الأنبياء

لقد سلّط القرآن الضوء على إحدى خصائص النبي الأكرم(ص) وقال: «**وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى**» [نجم/ ٣]. فيتضح أن اتباع الهوى قضية مهمّة والنبي(ص) منزّه عنها. إن هذه الآية قد كشفت عن رؤية إيجابيّة تجاه مخالفة الهوى. وهناك عبارات أخرى في القرآن الكريم تصبّ في هذا الموضوع، مثل الآية المباركة التي تحدّثت عن بلعم بن باعورا وشبّهته بالكلب؛ (**وَ لَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَ لكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا**) [الأعراف/١٧٦]. وقد قال الله تعالى في آية أخرى: (**لَقَدْ أَخَذْنا ميثاقَ بَني إِسْرائيلَ وَ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّما جاءَهُمْ رَسُولٌ بِما لاتَهْوى أَنْفُسُهُمْ فَريقاً كَذَّبُوا وَ فَريقاً يَقْتُلُون**) [المائدة/٧٠]

## ليس للحقّ أن يتبع أهواء الناس

ليس للحقّ أن يتبّع أهواء الناس، إذ تنطوي آراء الناس على ما ينسجم مع أهوائهم. يقول الله سبحانه: (وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فيهِن) [المؤمنون/ ٧١] وقال الله سبحانه في آية أخرى: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً فَمَنْ يَهْديهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَ فَلا تَذَكَّرُون) [الجاثية/ ٢٣]

## إن اتباع الهوى أمر منظّر له في الغرب

تحكي هذه الآيات عن سوء اتباع هوى النفس وما تسبّب فيه من آثار وتداعيات سلبية فلابد من تجنّب اتباع هوى النفس بشدّة. ولكن مع الأسف إن اتباع الهوى أمر منظّر له في الغرب، وكلّ ما اقتضى هوى النفس شيئا أعطوه الحق لذلك. وبعبارة أخرى إن الغربيين قد اعتبروا «حقوق الإنسان» عنوانا معادلا لـ «أهواء الإنسان». ولذلك فقد تغلغلت ظاهرة اتباع الهوى في مختلف تشكيلات حضارة الغرب، بحيث أصبحت القوانين الحاكمة في الغرب والتي لها علاقة بالفكر الغربي تشكّل دومينو الفساد. فلعل تساقط القطع الأولى في هذه الدومينو لا تعدّ أمرا مهمّا، ولكن بعد ما تقدّمت الدومينو في حركتها سوف لا تمرّ بقطعة ذات قيمة إلا وأسقطتها وقضت عليها. فعلى سبيل المثال قد بدأوا دومينو الفساد في طليعة حركتها بإعطاء رقم هاتفي سهل للأطفال ليشتكوا على والديهم، ولا تبدو عملية سيئة في ظاهر أمرها، ولكن بعد ما انطلقت الدومينو في طريقها، سوف تهدّد قوّة الوالدين الإيجابيّة واللازمة في مسار تربية الأطفال، وكذلك تهدّد احترام الكبار وباقي عناصر الأسرة، كما نرى بعض نتائجها في الغرب. إن دومينو سلب قوّة الأب في الأسرة، وتساوي إرث المرأة مع الرجل على خلاف الأحكام الإلهيّة، والنزعة إلى التشكيلات الغربيّة والقوانين الغربيّة هي من مصاديق هذه الدومينو الخطرة إن أردنا تطبيقها في بلادنا.

### والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

## القواسم المشتركة بين الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر:

### ١.النورانية والأجواء المعنوية/ في أجواء الجهاد الأكبر نستطيع أن نعيش نفس تلك الأجواء المعنوية والروحانية التي كان يعيشها المجاهدون في أيام الدفاع المقدس

نفس الأجواء الممتعة والجميلة التي يعيشها المجاهدون في الجهاد الأصغر، يمكن أن نعيشها في الجهاد الأكبر وفي خضمّ محاربة النفس. حتى أن الصفاء والجمال الذي يشتمل عليه أجواء الجهاد الأكبر هي أكبر وألصق بالفؤاد من أجواء الجهاد الأصغر. نحن نستطيع في أجواء الجهاد الأكبر أن نعيش نفس تلك الأجواء المعنوية والروحانية التي كان يعيشها المجاهدون في أيام الدفاع المقدس. حتى أن في خضم الجهاد الأكبر نستطيع أن نعيش أجواء أكثر معنوية ونورانية. وأنتم تعلمون أن الإمام الخميني(ره) هذا الرجل العظيم الذي قامت هذه الثورة المباركة والعظيمة على أكتافه وببركة وجوده، وتربّى آلاف الشهداء تحت ظله، إنما كان بطلا في ساحة الجهاد الأكبر. وأنا أتألم عندما أرى بعض الإخوة من المجاهدين يتحدثون بتحسر عن أيام الجبهة ومعنوياتها وروحانياتها وكأنه ذهبت تلك الأيام ولا فرصة بعد لهذا الجيل حتى يعيش الروحانية والأجواء المعنوية. فهذا كلام باطل من أسره؛ إذ لم يمنع الله نعمه عن عباده ولا يظلم أحدا بل يضاعف نعمه على عباده. فإن هذه الفرصة التي أعطاها الله للجميع في ساحة الجهاد الأكبر أثمن بكثير من فرصة الجهاد الأصغر. في أجواء الجهاد الأصغر كنا نشعر بمحبة الله ولطفه بعد ما كنا نضحي بأنفسنا وأموالنا، أما في الجهاد الأكبر وبعد ما نضحي بأميالنا وأهوائنا، نشعر بمزيد من رضا الله ولطفه ونكسب نورا أقوى من النور الذي نكسبه في أجواء الجهاد الأصغر.

### ٢.الشعور بخطر العدو/ لابد من رصد العدو في الجهاد الأكبر كما هو الحال في الجهاد الأصغر، لكي تتمكن من مراقبة نفسك وتستعين بربك

القاسم المشترك الآخر بين الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر هو تواجد العدو، والخطر الذي يهددنا من جانبه. فعندما تشعر بوجود العدو في الجهاد الأصغر وتلتفت إلى الخطر الذي يهددك من جانبه، تلتجأ إلى الله وتشعر بالروحانية والمعنوية حينئذ. وكذلك الحال في الجهاد الأكبر حيث لابد لك أن ترى العدو فيه كي تتمكن من مراقبة نفسك وتستعين بربك.

فقد قال رسول الله(ص): «أَعْدَى عَدُوِّکَ نَفْسُکَ الَّتِی بَیْنَ جَنْبَیْک»[عدة الداعي/ص٣١٤]. وفي المقابل إن العدو الخارجي في الجهاد الأكبر وهو الشيطان الرجيم يبدو ضعيفا من خلال آيات القرآن؛ (إِنَّ کَیْدَ الشَّیْطانِ کانَ ضَعیفاً)[نساء/٧٦] ولكن لابدّ من أخذه على مأخذ الجدّ.

## ٣.صعوبة العمل والحاجة إلى الشجاعة/ إن الشجاعة التي يحتاجها الإنسان في الجهاد الأكبر أكثر من الشجاعة التي يحتاجها في الجهاد الأصغر

كلا الجهادين الأكبر والأصغر هي من الأعمال الشاقة والتي تحتاج إلى شجاعة. وأقسم بالله إن الشجاعة التي يحتاجها الإنسان في الجهاد الأكبر أكثر من الشجاعة التي يحتاجها في الجهاد الأصغر. إن خوف فقدان «اللذة» وخوف فقدان «الجاه والسمعة» وخوف فقدان «الفرصة»، يترك أثره السلبيّ على شجاعة الإنسان وهذه هي من مصاعب الجهاد الأكبر. إنه لجهاد أكبر حقا. وأولئك الذين خاضوا في ساحة الجهاد الأكبر ونجحوا في هذا الميدان، ينظرون إلى ساحة الجهاد الأصغر كما ننظر نحن إلى المقبلات فلا نهتمّ بالمقبلات كما نهتمّ بالطعام الرئيسي في المائدة. وكذلك حال الإنسان المحترف في ساحة الجهاد الأكبر، فإنه بكل سهولة ينزل إلى ميدان الجهاد الأصغر ولا يبالي. ينقل عن الإمام الخميني(ره) أنه ارتقى المنبر في أيّام شبابه وألقى محاضرة جيّدة. فاستحسن الحضور محاضرته ومدحوه. بعد ذلك امتنع الإمام عن إلقاء المحاضرات لمدّة أربع سنين عقابا لنفسه بعد أن وجدها طربت لمدح الآخرين وانتعشت لثنائهم. بينما نحن إن نحصل على مثل هذا المدح نزداد اندفاعا ونعتبره علامة النجاح والتوفيق في العمل. فانظر مدى الفارق الكبير بين الإمام وبيننا. طيب لماذا ينبغي أن نخالف نفوسنا بهذه الشدة؟ فهذا ما سوف نتناوله في الأبحاث القادمة إن شاء الله.

## ۴. عشق الله وحبّ الآخرة/إن الاهتمام بالله وبالآخرة في الجهاد الأكبر أكثر من الجهاد الأصغر

لقد قال الإمام الخميني(ره) أن القوات التعبئة هي مدرسة العشق وكان يؤكد سماحته على عشق الله وحبّه في موسم الجهاد الأصغر وأيّام الدفاع المقدس. ولكن يزداد هذا الاهتمام بالله وبالآخرة في الجهاد الأكبر. فالذي كان يعشق ربه في الجهاد الأصغر ويبكي من فراقه ويناجي الله شوقا إلى لقائه، سيزداد شعورا بهذا الحب والعشق في خضم الجهاد الأكبر. لقد روي عن الإمام الباقر(ع) أنه قال: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ: وَ عِزَّتِي وَ جَلَالِي وَ عَظَمَتِي وَ بَهَائِي وَ عُلُوِّ ارْتِفَاعِي لَايُؤْثِرُ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ هَوَايَ عَلى هَوَاهُ فِى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا إِلَّا جَعَلْتُ غِنَاهُ فِى نَفْسِهِ، وَ هِمَّتَهُ فِى آخِرَتِهِ و و ضَمَّنتُ السَّماواتِ و الأرضَ رِزقَهُ، و كُنتُ لَهُ مِن وَراءِ تِجارَةِ كُلِّ تاجِرٍ»[الكافي/ج٢/ص١٣٧] وقد رويت هذه الرواية بتعابير مشابهة عن غيره من أئمة أهل البيت(ع). ولا يخفى عليكم بأني قضيت ثلاثين سنة من عمري في دراسة القضايا الأخلاقية وبودي أن أقدم لكم تقريرا عن نتيجة ما حصلت عليه في هذه السنين الثلاثين في ثلاثين ليلة في شهر رمضان هذا. ولكني أعترف أمامكم بأني لم أفهم هذا الحديث إلى الآن وكلما قرأته طوال هذه السنين الطويلة شعرت بأني لم أفهم مغزى هذا الحديث جيدا. والعجيب هو أن الشرط في كسب هذه البركات هو أن يؤثر الإنسان هوى الله على هواه في أمر واحد وقضية واحدة لا في حياته كلّها؛ «فِى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا». ومعنى هذا الحديث هو أنّ كلّ الأعمال الصالحة التي قمنا بها واعتبرناها من مصاديق جهاد النفس وإيثار هوى الله على هوى نفسنا فهي ليست كذلك ولا قيمة لها بحيث تؤول إلى تلك النتيجة المباركة المذكورة في الرواية. فيبدو ـ والله العالم ـ أننا انتقينا الأعمال الصالحة التي تنسجم مع أهوائنا وقمنا بها، فلم نؤثر هوى الله على هوى نفسنا بالشكل الصحيح حتى لمرة واحدة. سوف نتناول هذا الموضوع في الجلسات القادمة إن شاء الله وهو أن لماذا نحن بأمس الحاجة إلى محبة أهل البيت. طبعا أنا في الليلة الأخيرة وبعد ما وقفنا عند الموضوع ساعات طوال، سوف أقول لكم كلمة بودي أن أقولها في هذه الليلة الأولى. وهو أن ليس شيء يعين الإنسان على غلبة هواه بقدر حبّ أهل البيت(ع). فإن هذا العامل أقوى العوامل وأجدرها بنصرك على نفسك. وسوف نلتقي غدا يوم القيامة بالتأكيد ونرى صحة ما قلته لكم.




## صلى الله عليك يا فاطمة الزهراء

ولكـن اسـمحوا لي أن أقـول لكـم أن في تلـك اللحظـات التـي كان الشـباب يقلعـون فيهـا مـن كل التعلقـات والأواصر عشـقا بالشـهادة ولقـاء اللـه، كانـوا ينطلقـون بعدمـا يسـمعون مصائب الزهـراء(س) فكانـوا يذهبـون نـصرة للزهـراء وانتقامـا مـن أعدائهـا. فإنـك في تلـك اللحظـات التـي تتـدرب فيهـا عـلى حـبّ أهـل البيـت(ع) وتحـاول أن تـزداد حبّـا لهـم، تكسـب اللياقـة والكفـاءة اللازمـة لاسـتلام نصرتهـم ومعونتهـم عنـد الحملـة في الجهـاد الأكـبر، كـما كان المجهـادون يسـتعدون للحمـلات بذكـر أهل البيـت(ع). وأولئـك الذيـن عاشـوا أيـام البجهـة وأيـام الدفـاع المقـدس يعرفـون جيـدا أن ليـس أحـد مـن المعصومـين قـد نـصر المجاهديـن بقـدر فاطمـة الزهـراء(س). فلنسـتفتح حملتنـا ضـد أهـواء النفـس في أول ليلـة مـن شـهر رمضـان بذكـر الزهـراء(س).



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢٤)

علي‌رضا بناهيان




**الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١۴٣۴هـ**
**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فی مدينة طهران**
**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢٤)**

**إليك ملخّص الجلسة الرابعة والعشرين من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ۱۴۳۴هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

## من المواضيع المهمّة جدّا في طريق جهاد النفس، موضوع المحبّة

من المواضيع المهمّة جدّا التي يلتفت إليها في مسار جهاد الفس، هو موضوع المحبّة. المحبّة تارة تنعقد بالدنيا وتارة تنعقد بالله وبأهل البيت(ع). فلنبيّن بادئ ذي بدء العلاقة بين جهاد النفس وأصل الحبّ، ثم ننتقل إلى موضوع حبّ أهل البيت(ع) والذي لم ينفكّ عن موضوع تقبّل الولاية وإعطاء زمام الإدارة إلى الوليّ.

## إن جهاد النفس بمعنى جهاد النفس ضدّ النفس/ السلاح الوحيد لمجاهدة الرغبات التي لا قيمة لها، هو الرغبات الأخرى في قلب الإنسان

جهاد النفس، بمعنى محاربة بعض النزعات السطحية في داخل الإنسان. ولابدّ أن تكون هذه الحرب على يد فئة أخرى من النزعات التي هي في قلب الإنسان أيضا. إذن جهاد النفس بمعنى جهاد النفس ضدّ النفس، ويعني محاربة بعض الرغبات عن طريق رغبات أخرى. إن هذه المعركة قائمة في داخل الإنسان، وأمّا الإدارة التي تدير هذه الحرب من خارج وجود الإنسان ليس لها سوى أن تعطي برنامجا لإدارة هذه المعركة. السلاح الوحيد المتاح استخدامه في عمليّة جهاد النفس ومحاربة بعض الرغائب، هو رغائب من نمط آخر. فإننا لو كنّا ننطوي على رغائب سطحيّة وحسب، لا نقدر على هذا الجهاد. في الواقع أثناء جهاد النفس، يتبارزان رغبتان مع بعض ثم تنتهي عملية الجهاد بتفضيل إحدى الرغبتين على الأخرى. إن هذه اللحظة هي لحظة الانتخاب، فعبر الانتخاب الأمثل نتمكّن من إنتاج القيمة وإثبات قيمتنا أيضا. إذن لابدّ أن تكون محاربة الرغبات السطحية عن طريق رغبة ذات قيمة.

## ألم تؤدّ محاربة الرغبات إلى ظهور عقد نفسية؟!

أثناء جهاد النفس وعدم تلبية بعض الرغائب قد يتبادر هذا السؤال إلى الذهن، وهو ألم تؤدّ محاربة الرغبات إلى ظهور عقد نفسيّة؟ خاصّة وإن التوصية بجهاد النفس وإبعاد بعض الرغبات قد جاءت متعارضة مع بعض نظريات علماء النفس الذين هم يشيرون على الإنسان بممارسة كلّ ما يحبّ ويرغب فيه ليرتاح نفسيّا. هكذا يوصّي بعض العلماء النفسانيّين المتغربين فيقول: «إن كنت قد فرحت بحدث ما، مثل ما إذا حصلت على إرث ضخم بعد وفاة أبيك وكنت مسرورا جدّا بهذا الإرث، فلا داعي لحضورك في مجلس عزاء أبيك والتظاهر بالحزن واللوعة! بل بالعكس الأولى هو أن تظهر فرحك»! وهذا ما يسمّونه بالصدق في الثقافة الغربية ويعتبر عملا قيميّا. ولذلك يصل بهم الأمر في سبيل تلبية رغبات النفس وعبر تأصيل الصدق أن يزول الحياء من المجمع. ولكن الواقع هو أنه لا يجوز ذبح جميع القيم من أجل صيانة الصدق. أو على سبيل المثال من يعيش في الغرب يقول: «بعد حياة طويلة مع زوجتي، أشعر بأني أرغب الآن في تكوين علاقة مع زوج مماثل في الجنس، وقد فاتحت زوجتي بذلك بكل صدق وصراحة، فطلقتها وأنا الآن أعيش حياة سعيدة بالزواج المثلي!» فإن هذا الإنسان يشعر براحة كاذبة عبر تلبية أهوائه النفسية، والتي هي لم تكن سطحية وحسب، بل تضيّق الكثير من مواهبه. فلابدّ أن نعلم بأن بعض الشعور بالحاجة إلى أمر ما هو شعور كاذب.

## أسلوبان في مواجهة الاحتياجات الكاذبة: ١. أن تلبّي احتياجك لكي ترتاح ٢. أن تعزّز رغبة أخرى في مقابل هذه الرغبة لكي تخلص منها

في مجتمعنا الإسلامي إذا اعترت الإنسان رغبة من هذه الرغبات كالنزعة إلى الجنس المماثل ـ كمثال واضح جدّا ـ يرجع الإنسان إلى نفسه مؤنّبا ويقول: «ما هذا الشعور وما أقبحه؟! وكيف اعتراني هذا الشعور ولماذا؟ ثم إن الإدارة العامّة للمجتمع الإسلامي قد حظرت ذلك وجعلته في عداد الرغبات الممنوعة. فقد قال أمير المؤمنين(ع): «مَا نَهَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَ أَغْنَى عَنْه» [غرر الحكم/ ٣٧٨٦] فعندما يمنع هذا المدير العام هذا الفعل، فلا يحقّ لي أن أرغب فيه».

فلا يختبئ هذا الهوس خلف عنوان الصدق كما يحصل اليوم في المجتمع الغربي، بل يجب أن يحارب هوى النفس هذا بسلاح الحياء. يقولون في الغرب: أرح نفسك ولا تجامل أحدا ويعبّرون عن هذا السلوك بالصدق. فأحد عوامل شيوع بعض مظاهر الصدق في الغرب هو مثل هذه الأخلاقيات التي يوصّي بها علماء النفس هناك. بينما عالم النفس الذي يريد أن يلتزم بالنظرية الإسلامية في معرفة الإنسان، يقول لمن رغب في المثليّة مثلا: «إن حاجتك هذه حاجة كاذبة، فاقطع علاقتك مع هذه الرغبة وعزّز علاقتك مع الله، لكي يتضاءل هذا الشعور». هذان تفكّران وحضارتان أمامكم، فالأولى تشير عليك بتلبية رغباتك لكي ترتاح، أما الرؤية الثانية تقول: قوِّ رغبة أخرى لكي تنجو من رغبتك السيئة هذه.

## إن جهاد النفس لا يعقّد الإنسان نفسيّا

هل أن عدم تلبية رغبة من رغبات الإنسان يؤدي إلى ظهور بعض المشاكل من قبيل الابتلاء بعقد نفسيّة ويضرّ بالإنسان؟ يقول علماء النفس في الغرب: لأنك قد تتأذّى فلا تجاهد نفسك فخذ راحتك وكن على رسلك، إذ قد يضرّ بك هذا الجهاد. ولكنّنا نقول إن جهاد النفس لا يلحق ضررا بالإنسان، إذ عندما تحارب رغبة سيئة، فإنك في الواقع تحاربها برغبة حسنة، فإذا قويت هذه الرغبة الحسنة، يصبح جهاد النفس إرضاء للنفس من جهة أخرى. فعلى سبيل المثال إنك تحبّ الله وتشعر باللذّة والبهجة عند امتثال أمره، أو إنك تحب يوم القيامة ومغتبط بكونك محترما ومثابا في ذلك اليوم، فإنك عندما تترك إحدى رغباتك السطحية لصالح حبك لله ورغبتك في يوم القيامة، في الواقع قد لبّيت رغبة أقوى وأهم. لذلك تصفو روحك وينتابك شعور باطمئنان أعمق لكونك قد لبيت رغبتك المثلى والأهم. إن الرغبة في التقرّب إلى الله أصيلة وأعمق جذورا، فإذا أقصيت رغبة سطحية لغرض تلبية هذه الرغبة لن تصاب بعقد نفسيّة، إذ قد لبّيت نزعة ورغبة أعمق فلا تحزن لينجر حزنك هذا إلى عقد نفسيّة.

روي عـن رسـول اللـه(ص) أنـه قال: «النَّظِرَةُ سَـهْمٌ مَسْـمُومٌ مِنْ سِـهَامِ إِبْلِيـسَ، فَمَـنْ تَرَكَهَا خَوْفاً مِـنَ اللَّهِ أَعْطَـاهُ إِيمَانـاً يَجِـدُ حَلَاوَتَـهُ فِـی قَلْبِـه» [مستـدرك السـائل/ ج١٤/ ص٢٦٨]. فمـن غـضّ بصره عـن الحرام فهـو في الواقع قـد لبّـى رغبـة أخـرى مـن رغباتـه. إن الحبّ الـذي أعانك على غـضّ النظر عـن الحرام هل هـو موجـود أم لا؟! فـإذا كانـت هـذه النزعة والرغبـة موجودة فلا شـكّ في أنك قد اسـتمتعت بتلبيتها. إن كنـت قـد عـزّزت حبّـك لله ولأهل البيـت(ع)، سـوف تجاهد نفسـك من منطلق هـذا الحـبّ ولن تصاب بعقـد نفسـيّة، لأنـك في نفـس الوقـت الـذي تجاهد رغبـة ما، تلبّـي رغبة أخرى وهـي أقوى وأعمـق منها.

## لابدّ أن نضيّق سعة تلبيتنا لرغباتنا القليلة القيمة بحسب ظرفنا

جهـاد النفـس يعنـي محاربـة الرغبـات السـيئة والعديمـة القيمـة. ولكـن لابـدّ أن نعـرف أن أسـلوب محاربـة هـذه الرغبـات ليـس هـو أن نتركهـا بتاتـا. فإنـه يجـب عليكـم أن تلبّـوا بعـض رغباتكـم وإن كانـت قليلـة القيمـة، ولكـن لابـدّ مـن تضييقهـا. لقـد كان أوليـاء اللـه قـد ضيّقـوا رغباتهـم القليلـة القيمـة إلى أقـصى حـد، بينـما نحـن فلابـدّ أن نضيّـق سـعة تلبيتنـا لرغباتنـا القليلـة القيمـة بحسـب ظرفنـا. أمّـا وسـيلة تضييـق الرغبـات القليلـة القيمـة وإزالـة الرغبـات السـيئة، فهـي الرغبـات العميقـة. يجـب أن نعـزّز رغباتنـا العميقـة وهـذا أمـر ممكـن.

## تعزيز الحبّ لله عمل صعب

تعزيـز الحـبّ للـه ليـس بعمـل هـيّن، إذ مـا دام قلـب الإنسـان ينطـوي عـلى حبـة مـن خـردل مـن حـبّ الدنيـا، لـن يدخـل فيـه مـن حـبّ اللـه شيء. فقـد روي عـن أمـير المؤمنـين(ع): «كَـمَا أَنَّ الشَّـمْسَ وَ اللَّيْـلَ لَا يَجْتَمِعَـانِ كَذَلِـكَ حُـبُّ اللَّـهِ وَ حُـبُّ الدُّنْيَـا لَا يَجْتَمِعَـان» [غـرر الحكـم/ ٢٥١٣] إذن لابـد مـن المحاولـة لتعزيـز رغبـات عميقـة أخـرى. فعـلى سـبيل المثـال: ١ـ إن حـبّ الجنـة ورضـوان اللـه أهون على الإنسـان مـن حـبّ اللـه. ٢ـ بمقـدور الإنسـان أن يعـزّز خوفـه مـن النـار ويتقـوّى بـه عـلى خفـض حـبّ الدنيـا. إن الخـوف مـن نـار جهنّـم يسـتبطن في داخلـه حـبّ العافيـة الأبديـة، فـإذا اشـتدّ هـذا الحـبّ جديـر بـه أن يكـون حافـزا لجهـاد النفـس. ٣ـ الطريـق الآخـر لإضعـاف الرغبات السـيئة هي أن نسـتخدم حـبّ الصحّـة والعافيـة في هـذه الدنيـا. فلنذكـر أنفسـنا بـأنّ ارتـكاب الذنـوب تلحـق بنـا مشـاكل وأضرارا في هـذه الدنيـا فضـلا عـن الآخـرة، إذ أن كثـيرا مـن مصائبنـا الدنيويـة قـد حلّـت بنـا بسـبب ذنوبنـا.

## المستويات المختلفة في الرغبات الجيّدة

كـما عرفنـا أن السـلاح الوحيـد لمحاربـة الرغبـات السـيئة هـو الرغبـات الجيّـدة. وإن قمّـة الرغبـات الجيّـدة هـي حـبّ اللـه. أمـا حـبّ الجنـة فيقـع في وسـط الرغبـات الجيّـدة والخـوف مـن نـار جهنّـم يقـع في مرتبـة نازلـة مـن حـبّ الجنّـة وهـو أسـهل حصـولا لـدى الإنسـان. ثـم يـأتي بعـد ذلـك الخـوف مـن المصائـب الدنيويـة. فـكلّ هـذه المشـاعر والنزعـات كامنـة في قلـب الإنسـان. كـما يقـع الخـوف مـن ضغطـة القبر ونـزع الـروح وسـكرات المـوت بـين الخـوف مـن مصائـب الدنيـا وعـذاب الآخرة، فلابـدّ من صرف الوقـت عـلى هـذه المشـاعر ودراسـة الروايـات ذات الصلـة بهـا. ولابـدّ مـن بـذل قصـارى الجهـود في سـبيل تعزيـز هـذه المشـاعر وتمريـن النفـس عليهـا والتفكّـر فيهـا والمطالعـة حولهـا وتعزيزهـا. وقـد سـهّل اللـه في شـهر رمضـان عمليّـة تعزيـز الرغبـات الجيّـدة. إن شـهر رمضـان لفرصـة رائعـة لتعزيـز الأهـواء الصالحـة. كلّ ذنـب تتركـه وكل جرعـة غيـظ تتجرعهـا وكلّ أمـر إلهـي تمتثلـه مـن شـأنه أن يعـزّز رغباتـك الصالحـة، كـما بإمكانـك أن تبـادر بتعزيـز هـذه الرغبـات بشـكل مبـاشر. فمـن يلبّـي أهـواءه الحميـدة تصفـو نفسـه وتـزداد حيويّـة ونشـاطا، كـما تجلـو نفسـه الراضيـة والمطمئنـة أيضـا.

## من بين المشاعر الصالحة، الشعور الذي يدفع الإنسان إلى الأمام أسرع، هو حبّ أهل البيت(ع)

إن حـبّ أهـل البيـت(ع) يقـضي عـلى الأهـواء القليلـة القيّمـة. إذا لبّـى الإنسـان هـوى نفسـه، يخـرج عـن اعتدالـه ويسـلب الحكمـة ويعجـز عـن الفهـم والمعرفـة. بينـما إذا عـزّز الإنسـان نزعاتـه الصالحـة يتعـادل روحـه. يقـول أمـير المؤمنـين(ع): «ذِكْرُنَـا أَهْـلَ الْبَيْـتِ شِـفَاءٌ مِـنَ الْوَغَـلِ وَ الْأَسْـقَامِ وَ وَسْـوَاسِ الرَّيْـبِ وَ حُبُّنَـا رِضَـا الـرَّبِّ» [تحـف العقـول/ ١١٤]

قـال رسـول اللـه(ص): «مَـنْ رَزَقَـهُ اللَّـهُ حُـبَ الْأَئِمَّـةِ مِـنْ أَهْـلِ بَيْتِـي فَقَـدْ أَصَـابَ خَـيْرَ الدُّنْيَـا وَ الْآخِـرَةِ فَـلَا يَشُـكَّنَّ أَحَـدٌ أَنَّـهُ فِي الْجَنَّـةِ فَـإِنَّ فِي حُـبِّ أَهْـلِ بَيْتِـي عـشرون [عِشْرِيـنَ] خَصْلَـةً عَـشْرٌ مِنْهَـا فِي الدُّنْيَـا وَ عَـشْرٌ مِنْهَـا فِي الْآخِـرَةِ أَمَّـا الَّتِـي فِي الدُّنْيَـا فَالزُّهْـدُ وَ الْحِـرْصُ عَـلَى الْعَمَـلِ وَ الْـوَرَعُ فِي الدِّيـنِ وَ الرَّغْبَـةُ فِي الْعِبَـادَةِ وَ التَّوْبَـةُ قَبْـلَ الْمَـوْتِ وَ النَّشَـاطُ فِي قِيَـامِ اللَّيْـلِ وَ الْيَـأْسُ مِـمَّا فِي أَيْـدِي النَّـاسِ وَ الْحِفْـظُ لِأَمْـرِ اللَّـهِ وَ نَهْيِـهِ عَـزَّ وَ جَـلَّ وَ التَّاسِـعَةُ بُغْـضُ الدُّنْيَـا وَ الْعَـاشِرَةُ السَّـخَاءُ وَ أَمَّـا الَّتِـي فِي الْآخِـرَةِ فَـلَا يُنْـشَرُ لَـهُ دِيـوَانٌ وَ لَا يُنْصَـبُ لَـهُ مِيـزَانٌ وَ يُعْطَـى كِتَابَـهُ بِيَمِينِـهِ وَ يُكْتَـبُ لَـهُ بَـرَاءَةٌ مِـنَ النَّـارِ وَ يَبْيَـضُّ وَجْهُـهُ وَ يُكْسَى مِـنْ حُلَـلِ الْجَنَّةِ وَ يَشْـفَعُ فِي مِائَـةٍ مِـنْ أَهْـلِ بَيْتِـهِ وَ يَنْظُـرُ اللَّـهُ عَـزَّ وَ جَـلَّ إِلَيْـهِ بِالرَّحْمَـةِ وَ يُتَـوَّجُ مِنْ تِيجَـانِ الْجَنَّـةِ وَ الْعَـاشِرَةُ يَدْخُلُ الْجَنَّـةَ بِغَـيْرِ حِسَـابٍ فَطُـوبَى لِمُحِبِّـي أَهْـلِ بَيْتِـي» [الخصـال/ج٢/ص٥١٥] كلّـما تـمّ جهـاد النفس بشـكل أفضـل، كلّـما ازداد الإنسـان حبّـا لأهـل البيـت(ع)، وكلّـما ازددت حبّـا لأهـل البيـت(ع) تـزداد قـوّة عـلى جهـاد النفـس. فأرجـو أن لا نكـون مـن الخجلـين يـوم القيامـة أمام الحسـين(ع) إذ يقـول الله لنـا، أما كان الحسـين(ع) أهلا لأن تعشـقه وتحبّه أكثر مما كنت تحبه؟! فلماذا لم تسـمح له بأن يحتلّ قلبك برمّته؟!...

**صلى الله عليك يا أبا عبد الله**



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢٥)

علي‌رضا بناهيان




**الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١۴٣۴هـ**
**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فى مدينة طهران**
**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢٥)**

**إليك ملخّص الجلسة الخامسة والعشرين من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

## الهدف الرئيس من جهاد النفس هو إذلال النفس لربّ العالمين/ الفناء في الله يعني منتهى الذلّ لله سبحانه/ إن الحكمة من جميع الآلام والمحن في مسار جهاد النفس هي إذلال النفس للّه سبحانه

لقد انتهينا في الجسلة السابقة إلى العلاقة بين عنصر الحبّ وجهاد النفس. واحدة من الأهداف المهمّة في مسار جهاد النفس هو إذلال النفس لربّ العالمين. إن معنى إذلال النفس للّه هو أن لا تخضع لغيره أبدا. إن الخضوع والذلّ للّه هو الطريق الوحيد للعزّ مع غير الله عز وجل. نحن نسجد مرّتين في كل ركعة من الصلاة فننحني بكل وجودنا ونعفّر وجوهنا للّه سبحانه. ولا نجد مثل هذه العبادة في باقي الأديان. نحن نسجد للّه ونفتخر بسجودنا، مع أن السجود لا يعبّر عن حالة جيّدة من حالات الإنسان، ولكن لأن إظهار الذلّ هذا، هو للّه عز وجل فنقوم به بكل فخر. إن الذلّ للّه أمر مهم ولابدّ من ممارسته. تكبيرة الإحرام التي بها تبدأ الصلاة ولعلّها من أهمّ المواطن التي يجب أن نستحضر القلب فيها، هي في الواقع تعبّر عن كبرياء الله وتشير إلى ذلّنا في مقابل اللّه سبحانه. لابدّ لكل فردٍ منّا من تكرار هذا المعنى دائما؛ وهو أنه يجب عليّ أن أتذلّل للّه. يعبّر العرفاء عن هذا المعنى بالفناء في الله، والذي يعني منتهى الذلّ في مقابل ربّ العالمين.

## إن أكثر المتكبّرين لا يصدّقون بأنهم متكبرون/ ينموا التكبّر يوميّا ولا يمكن استئصاله بسهوله

إن محاربة التكبّر لأمر مهمّ جدا، لأنه مرض خطر جدا قد يقضي على الإنسان في أول ظهور له. فعلى سبيل المثال إن إبليس قد عصى ربّه مرة واحدة فقط عن كبر، فهوى بهذه المرّة الواحدة؛ (**وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْليسَ أَبى‏ وَ اسْتَكْبَرَ وَ كانَ مِنَ الْكافِرينَ**) [البقرة/٣٤] وكذلك يعتبر القرآن المعرضين عن دعاء الله متكبّرين؛

(وَ قالَ رَبُّكُمُ ادْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرينَ) [الغافر/٦٠] وقد قال الإمام السجاد في شرح هذه الآية مخاطبا ربّه: «فَسَمَّيْتَ دُعَاءَكَ عِبَادَةً، وَ تَرْكَهُ اسْتِكْبَارا» [الصحيفة السجادية/ الدعاء ٤٥] فعلى الرغم من هذا المصداق الذي حدّده القرآن من الكبر، ترى أكثر المتكبّرين لا يصدّقون بأنهم متكبّرون. وحريّ بالذكر أن الكبر ينمو يوميّا ولا يمكن استئصاله بسهولة.

## الصلاة أهمّ برنامج تربوي في سبيل استئصال الكبر في مقابل الله/ لا يمكن القضاء على الكبر بإظهار الحبّ للّه وحسب

أهم برنامج تربوي يعين الإنسان على أن لا يكون في قلبه كبر في مقابل الله هو الصلاة، وأهمّ ذكر في الصلاة هو التكبير. فيجب عليك أن تحارب كبرك عن طريق تذكار كبرياء الله، وإلّا فلا يمكن القضاء على الكبر عبر إرسال رسائل الحبّ والعشق للّه وأن تقول له: «إلهي أحبك». إنّ طريق القضاء على الكبر هو أن يأتي متكبّر فيفني كبرنا وهذا المتكبّر هو الله فبكبره وبذكر كبريائه يزهق كبرنا.

## من أهمّ أمنيّات الإنسان الفطريّة هي أن يكبر قدرا/ الطريق الصحيح إلى الرفعة والعظمة هو الاتصال بالكبير لا التكبّر/ إذا رأى الإنسان نفسه في غاية الصغر، عند ذلك يتصّل بالعظيم الكبير

من أهمّ أمنيات الإنسان الفطرية هي أن يكبر قدرا، وإنّ الله هو الذي أودع في وجود الناس حبّ العظمة والرفعة. قد يتجسّد الكبر أحيانا في حبّ المقام، حتى أن بعض الناس يفدون حبّ المقام بدنياهم وآخرتهم. إن حبّ المقام مظهر من مظاهر الكبر وهو آخر صفة تخرج من قلوب الصدّيقين. صحيح أن الكبر صفة سيئة ولكنه منطلق من نزعة فطرية غير أنها منحرفة. إن فطرتنا الإلهيّة تقتضي أن نودّ العظمة والرفعة، ولكننا إن استعجلنا في الاتجاه نحو العظمة والرفعة وسلكنا طريقا خاطئا لذلك، نصبح متكبّرين. الطريق الصائب إلى الرفعة والعظمة هو الاتصال بالله الكبير المتعال. فإن لبّى الإنسان النزعة إلى الكبرياء المودعة في فطرته بغير صواب، يهوى في هاوية الكبر. بينما إذا لبّاها عبر طريق صائب، يتّصل بالله العظيم الكبير. إذا رأى الإنسان نفسه في منتهى الصغر سوف يتصل بالله العظيم، أما ليس ذلك بأمر هيّن، فهو بحاجة إلى سجود كثير وتذلّل طويل.

## خمس خطوات من أجل التوجّه والتذلّل في الصلاة

توجَّه إلى ظاهر جسدك وهيأتك أثناء الصلاة، وانظر في أيّ هيأة يكون جسدك إن وقفت للصلاة. فانظر إلى هذا الخشوع! السجود هو نوع من أنواع الأدب فأدّه بشكل صحيح. فإذا أردت أن تتوجّه في الصلاة لابدّ لك أن تخطو هذه الخطوات؛ الخطوة الأولى: هي الالتفات إلى السلوك والأفعال. الخطوة الثانية: هي الالتفات إلى عبارات الصلاة. الخطوة الثالثة: هي التفكر في العبارات. الخطوة الرابعة: هي التأمل في العواطف ومشاعر الحبّ الكامنة في أذكار الصلاة بشكل عام. الخطوة الخامسة: التأمل في العواطف ومشاعر الحبّ الكامنة في كلّ ذكر من أذكار الصلاة بشكل خاص. إن هذه الخطوات تعيننا على التذلّل بين يدي الله. فليعلم أولئك الذين يطمحون إلى الرفعة والعظمة أن هذا طريقهم. إن لله العظمة والكبرياء وقد صوّر كبرياءه في القرآن. لقد مدح الله نفسه كثيرا في القرآن والإنسان المتكبّر لا يستحسن هذا الأسلوب من الله عز وجل. إن بعض الناس لا يعجبه الكلام عن تكبّر الله، ولكن لا ينبغي أن نعتبر تكبّر الله أمرا في مقابل رحمته، بل إن الغضب هو في مقابل رحمته. أما التكبر فلا تقابله صفة من صفات الله الأخرى. فلا يمكن أن نقول أن الله متكبّر ومتواضع. إذ أنّ الله ليس بمتواضع ولا يتنازل عن كبريائه.

## نحن لا ننفكّ عن صفة التكبّر لحظة

نحن نصبو إلى لقاء الله، ولكن لابدّ أن نعرف أنه إله كبير ومتكبّر. الصلاة تمرين للقاء الله وفي نفس الوقت تتضمّن طلبا للقائه. إن أعظم فعل في الصلاة وأكثرها قيمة هو السجود. وأهمّ فعل جدير بالتوجّه هو تكبيرة الإحرام. إن علاقتنا مع الله هي علاقة الذليل مع المتكبّر. طبعا ينمو التكبّر في وجودنا يوميّا ولذلك فلابدّ من القضاء عليه وتبديله إلى التذلّل عبر الصلوات اليوميّة. إن كثيرا من أمراضنا الروحية من قبيل الحسد والبخل والطمع وغيرها توجد في القلب تارة وتعدم تارة أخرى، أما الكبر فهو مشكلتنا الثابتة والدائمة.

إن أهـمّ طمـوح نسـعى إليـه نحـن البـشر هـو الطمـوح إلى الكبريـاء والعظمـة، ولكننـا لا نـرى هـذا الطمـوح، كالسـمكة التـي تسـأل عـن الماء وهـي في بطـن البحـر؟ فنحـن لا ننفـك عـن التكـبّر أو طلبه أو التحـسّر عليـه. ومـن جانـب آخـر لابـدّ أن نعـرف أن الكـبر هـو أمّ الرذائـل كلّهـا. ولذلـك وجبـت الصلاة التـي هـي برنامـج لتذلـل العبـد إلى مـولاه المتكـبّر. إن درجـات ذلّنـا للـه ليسـت بسـواء، ولكـن طـوبى لمـن كان أكثرنـا ذلّا وتذلـلا للـه سـبحانه.

## لابدّ لنا من التذلّل حتى نتناسب مع ربّ العالمين/ كيف يمكن الوصول من الحبّ إلى الذلّ؟/ إذا اشتدّ المحبّ حبّا للمعشوق يتذلّل إليه

كيـف نسـتطيع في طريقنـا في جهـاد النفـس أن نصـل مـن الحـبّ إلى الـذلّ؟ مـن أجـل الإجابـة عـن هـذا السـؤال يجـب أن نعـرف أن الغايـة القصـوى مـن جهـاد النفـس هـي لقـاء اللـه. ثـم إن كبريـاء اللـه مقدّمـة عـلى باقـي مظاهـره وجلواتـه، ولذلـك فلابـدّ لنـا مـن التذلـل حتـى نتناسـب مـع كبريـاء اللـه ونقـدر عـلى لقائـه. لابـدّ أن نقـضي عـلى أنانيتنـا لنرتقـي إلى درجـة الفنـاء في اللـه. كلّنـا يتمنـى أن يكـبر شـأنا وقـدرا ولكـن لا يجـوز أن نتعاظـم بغـير صـواب أو أن نتوهّـم العظمـة، أو أن نسـلك سـبيلا غـير مـشروع لنيـل هـذه الغايـة. فإنمـا أودعـت فينـا الرغبـة في العظمـة والرفعـة مـن أجـل أن نحـبّ اللـه العظيـم. مـن العوامـل التـي تـؤدّي بالإنسـان إلى ذلّ عميـق، الحـبّ. فـإن ترسّـخ الحـبّ، وامتـدّ بجـذوره في أعـماق قلـب المحـبّ، ينـذل المحـبّ للحبيـب. فالحـبّ الـذي لا يذلّـك للحبيـب ليـس بحـبّ عميـق، بـل هـو حـبّ مزيّـف. إن مـن طبيعـة الحـب أن يـذلّ العاشـق للمعشـوق حتـى يتقبّـل امتنانـه. إذا ذهبـت إلى حـرم أمـير المؤمنـين(ع) فذلّـل لـه روحـك وقلبـك. فهكـذا اسـتطاع إمامنـا الخمينـي(ره) أن يقـف إلى جانـب ضريـح أمـير المؤمنـين(ع) لمـدة خمـس عـشرة سـنة يوميّـا ويـزوره بزيـارة الجامعـة الكبـيرة. فانظـروا كـم كان الإمـام الخمينـي(ره) يظهـر التذلـل لأهـل البيـت(ع).

## أقصر طريق لجهاد النفس هو الاستعانة بأهل البيت(ع)/ إن حبّ أولياء الله يذلّل النفس للّه سبحانه

العشق يذلّ الإنسان. إذا رأى الإنسان نفسه فاشلا في جهاد النفس مهما حاول وسعى، فليعلم أن هناك طريق مختصر. إن هذا الطريق هو الاستعانة بحبّ أهل البيت(ع). إنّ أثر حبّ أولياء الله الذي هو أسهل من باقي أنواع الحبّ، هو أن يذلّ النفس للّه سبحانه. لأننا نحبّ الإمام علي بن أبيطالب(ع) من أجل الله، فعندما نحبّ أحدا للّه، فكأننا أحببنا اللهَ نفسه. «مَنْ أَحَبَّنَا فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ» [أمالي الصدوق/٤٧٦] نحن نحب أمير المؤمنين(ع) وكلّا من سادتنا المعصومين(ع) لأنهم أولياء الله.

وعندما يكون حب أهل البيت(ع) هو العامل في إذلال نفسك للّه، يصبح جهاد النفس كشرب الماء.

## يقول الإمام الصادق(ع): الصراط المستقيم هو أمير المؤمنين(ع)

لقد قال النبي الأعظم(ص): «**لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَ أَهْلِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَ عِتْرَتِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ عِتْرَتِهِ وَ ذَاتِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ ذَاتِه**» [أمالي الصدوق/ ٣٣٥]. وكذلك قال الإمام الصادق(ع) في دعاء له مشيرا إلى قوله تعالى (اِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيْم): «**أَرْشِدْنَا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ أَرْشِدْنَا لِلُزُومِ الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّي إِلَى مَحَبَّتِكَ وَ الْمُبَلِّغِ إِلَى دِينِكَ وَ الْمَانِعِ مِنْ أَنْ نَتَّبِعَ أَهْوَاءَنَا فَنَعْطَبَ أَوْ نَأْخُذَ بِآرَائِنَا فَنَهْلِكَ**» [معاني الأخبار للشيخ الصدوق/ ٣٣]. وكذلك قال الإمام الصادق(ع) في حديث آخر له: «الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ(ع)» [التفسير الصافي/ ج٤/ص٣٨٤ , تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة/ ٣١]. لقد أشار الله سبحانه في سورة الحمد بعد الآية المباركة (**اِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيْم**) إلى أوليائه ليرى حالنا عند ذكرهم وموقفنا منهم. فعندما تقرأ هذا المقطع من سورة الحمد وتقول: (**اِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيْم * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم**) لابدّ أن تكون متواضعا لأولئك الذين أنعم الله عليهم ولم يغضب عليهم، أي أهل البيت(ع).

إن بعـض النـاس ينزعجـون ولا يرتاحـون عندمـا يـرون أن اللـه قـد أنعـم عـلى غيرهـم فيسـألون اللـه معترضـين أن: مـاذا نصيبنـا إذن ولمـاذا لم تنعـم علينـا؟! ولكننـا في هـذه الآيـة المباركـة نسـأل اللـه أن يهدينـا صراطهـم لا أن ينعـم علينـا بالنعـم التـي أنعمهـا عليهـم. فالإنسـان الـذي يدعـو بهـذا الدعـاء في الواقـع قـد تواضـع لـوليّ اللـه. وأنتـم عندمـا تقـرأون سـورة الحمـد في الواقـع تتواضعـون لأوليـاء اللـه. لقـد أشـار اللـه في هـذه السـورة إلى صراط أوليائـه وفي الواقـع قـد نسـب هـذا الـصراط إلى أوليائـه لا إلى التقـوى أو الفضائـل الأخلاقيـة أو الحسـنات أو الجنّـة أو أيّ شيء آخـر. وكأنـه أراد أن نمـرّ بـوليّ اللـه أولا ليقيّـم حالنـا ووضعنـا عنـد مشـاهدة أفضليـة وليّ اللـه عـلى سـائر العبـاد.



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة
# في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢٦)

علي‌رضا بناهيان




الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١۴٣۴هـ
المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فی مدينة طهران
الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة
في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢٦)

**إليك ملخّص الجلسة السادسة والعشرين من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.**

## العلاقة بين الحبّ وجهاد النفس من نافذة الإخلاص/ لا يستطيع العمل أن يقرّب الإنسان بدون الإخلاص

لم يكتمل بحثنا في العلاقة بين الحبّ وجهاد النفس بعد، وما زال بحاجة إلى المزيد من التأمّل. لقد دخلنا في الجلسة السابقة في موضوع الحبّ عبر موضوع ذلّ النفس في مقابل كبرياء الله سبحانه. أمّا في هذه الجلسة فسوف نقف عند موضوع الحبّ عن طريق مفهوم آخر باسم «الإخلاص» لكي نلقي نظرة أفضل إلى مسار البحث. إن الأخلاص من المفاهيم البارزة في الدين. فقد قال أمير المؤمنين(ع): «الْإِخْلَاصُ غَايَةُ الدِّين» [عيون الحكم/ ص٢٠] يعني أنّنا نريد أن نصل إلى هذه النقطة في آخر المطاف. ليس الإخلاص غاية الدين فحسب، بل محتاج إليه في بداية الحركة أيضا، إذ أن الله لا يقبل عملا غير خالص. طيّب؛ ما معنى كون الله لا يتقبّل عملا بلا إخلاص؟ هل معناه أن العمل غير الخالص هو عمل واقعا ولكن الله لا يعجبه ولا يقبله؟ أو إن معناه هو أن العمل بغير إخلاص ليس بعمل أساسا ليدفع العبد إلى الله. لا يمكن أن تكون عمليّة قبول العمل أو رفضه على أساس الذوق أو قوانين اعتبارية. وأساسا لا يستطيع العمل بغير إخلاص أن يقرّب أحدا. بل إن العمل الخالص هو الذي يستطيع أن يترك أثرا وضعيّا في العالم ويغيّر موقعكم فيه ويصعد بكم إلى المقام الأعلى. كان المفترض في مسار جهاد النفس أن نذلّ النفس ونحقّرها في مقابل الله لا أن نقوم بأعمال صالحة لصالح النفس. السبب في عدم قبول العمل غير الخالص هو أن العمل غير الخالص ذاته لا يمكن أن يقبل، فكأن الإنسان لم يعمل شيئا إن كان عمله غير خالص.

إن ماهيـة حركـة الإنسـان التكامليـة والهادفـة إلى الدرجـات العليـا هـي أن يعمـل مـن بدايـة المطاف إلى نهايتـه عـلى خـلاف رغبـة نفسـه التـي تحـاول أن تمتلـك كل شيء وتجـرّ إليهـا كلّ مصلحـة ولـذّة. حتـى أنّهـا تحـاول أن تصـادر الصـلاة في أول الوقـت لصالحهـا وتسـتخدم هـذا السـلوك أداة للحصـول عـلى بعـض المكاسـب. ولذلـك يمتحننـا اللـه أحيانا بأعـمال أهـمّ مـن الصلاة في أول الوقـت لـيرى هـل سـوف نبقـى ملتزمـين بوقـت الصـلاة أم سـوف نقـوم بذلـك الفعـل الـذي هـو أكثر ضرورة ولـه الأولويـة عليهـا.

## الأعمال الأكثر إخلاصا هي ما كانت بضرك لا لصالحك

أيّ الأعـمال أكـثر إخلاصـا؟ هـو ذاك العمـل الـذي كان بـضرك لا لصالحـك. يعنـي ينبغي أن يكـون العمل بالنحـو الـذي يعـزّز تذلّـك للّـه. إنّ شرط العمـل الخالـص هـو أن لا يكـون مـن أجـل كسـب قلـوب النـاس والجـاه، إذ أن مثـل هـذا العمـل في الواقـع عمـل للأنـا ولصالـح الأنـا. عندمـا يقـال أن الإخـلاص يعنـي أن لا يكـون عملـك في سـبيل إظهـار الفضـل للنـاس، فمعنـى ذلـك هـو أن لا يكـون العمـل مـن أجلـك. يتجسّـد عـدم الإخـلاص في جـرّ المصالـح للنفـس أما الإخـلاص فهـو العمـل في سـبيل اللـه.

## نمطان للحياة: ١. رغبة النفس في امتلاك كلّ شيء وانتفاعها به ٢. رغبة النفس في أن يمتلكها الله ويستعملها لأجله

إن لنـا نمطـين في الحيـاة. وبعبـارة أخـرى هنـاك رؤيتـان عـن الحيـاة تختلـف أحدهـا عـن الأخـرى تمامـا وهـما سـاريتان في حيـاة النـاس. بمقتـضى الرؤيـة الأولى يسـحب الإنسـان كلَّ شيء إلى نفسـه. فـإن كانـت هنـاك رغبـة، فمحـور رغباتـه كلّهـا نفسُـه. والمعيـار في مـا يحبّه ويشـتهيه هو مـا كان لصالحـه. ففي مثل هـذه الحيـاة سـوف تكـون أنـت المحـور وتسـعى لامتـلاك كلّ شيء. إن هـذه الرؤية على خـلاف الإخلاص. ولكـن في الرؤيـة الثانيـة، ليسـت علّـة الرغبـات والمسـاعي كلّهـا امتـلاكَ المصالـح، بـل أن يشـتريك اللـه. فبمقتـضى هـذه الرؤيـة عـن الحيـاة، أنـت تحـبّ أن تُجـذب إليـه لا أن تجـذب كلّ شيء إليـك. إن هاتـين الرؤيتـين عـلى طـرفي نقيـض، وإن بعـض النـاس لا يبلغـون أبـدا لإدراك النمـوذج الثـاني مـن الحيـاة. في النمـط الأوّل مـن الحيـاة، إنمـا تفكّـر بمـا ترغـب فيـه ومـا تشـتهيه؟ ولكـن في النمـط الثـاني لا تزال تسـأل عـن مـا يحبّـه اللـه ومـا يـرضى بـه. إن هذيـن الاهتمامـين والتفكيريـن يعـبّران عـن رؤيتـين وشـعورين ونوعـين مـن الحـبّ، أحدهـما يحـاول جـذب كلّ شيء إلى نفسـه، والآخـر لا يفكـرّ إلا بـه عـزّ وجـل.

## الحبّ الأناني يهدف إلى امتلاك المحبوب والتضحية به من أجل المحبّ، بينما الحبّ غير الأناني يصبو إلى تضحية المحبّ في سبيل المحبوب/ تروّج الثقافة الغربية الحبّ الأناني/ الأفلام الغرامية الغربية تروّج الأنانيّة لا الحبّ

من هنا تظهر علاقة الحب مع الإخلاص وهي أن الحبّ الشديد الذي يذلّ الإنسان للحبيب هو ذلك الحبّ الذي يرغّبك في الانجذاب وفي أن تكون مملوكا، لا أن تجذب وتمتلك. إن الحبّ الشديد الذي أشار إليه القرآن في قوله تعالى: (وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) [البقرة/ ١٦٠] من هذا النوع. لو كان الناس قد أدركوا قبح الحبّ من النوع الأوّل بدقّة، لما رغب أحد بمشاهدة الأفلام الغرامية، ولاشمأزّ الناس من مشاهدة لقطات المحبّ الأناني عندما يحاول أن يمتلك حبيبه ويتمتّع به. تروّج الثقافة الغربيّة لغرام يسعى المحبّ فيه أن يصادر لصالحه كلَّ شيء، وقد دفعت هذه الرؤية الأسَرَ إلى هاوية عميقة من الأنانيّة، ولم تجلب لهم المحبة. بينما في المقابل يوصّي ديننا الإسلام الرجال بأن يراعوا رغبة أهلهم في الحياة ولا يكونوا أنانيّين في تقييم المضارّ والمصالح. فعلى سبيل المثال قال رسول الله(ص): «الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ بِشَهْوَةِ عِيَالِهِ، وَ الْمُنَافِقُ يَأْكُلُ أَهْلُهُ بِشَهْوَتِه» [وسائل الشيعة/ ج٢١/ص٥٤٢] تحاول الثقافة الغربية بشتّى الأساليب أن تحوّل المرأة والرجل إلى إنسانين إنانيّين بحيث كلّ يجرّ النار إلى قرصه. السعي في سبيل أن لا تكون أنانيّا ولا تجعل نفسك محورا في كلّ شيء و لا تهدف إلى جرّ المصالح إلى نفسك هو تمرين الإخلاص. الحبّ القيّم هو ذلك الحبّ الذي يدفعك إلى امتلاك المحبوب وجرّ المصالح، ولكن قلّ من يفهم هذا الحبّ اليوم.

## سرّ الحسد لوليّ الله/ الإنسان الأناني الذي يهدف إلى تملّك المصالح، لا يتحمّل أن يرى عبدا قد تفضّل الله عليه أكثر منه، فيحسده

ما الفرق بين الحبّ بغرض الامتلاك والتمتّع وبين الحبّ من أجل الانجذاب وبيع النفس إلى الله؟ إن لسان حال الإنسان الذي يحبّ الله ليجذبه ويشتريه هو أن يقول له: «**فَوَ عِزَّتِكَ يَا سَيِّدِي لَوْ نَهَرْتَنِي مَا بَرِحْتُ مِنْ بَابِكَ وَ لَا كَفَفْتُ عَنْ تَمَلُّقِكَ**» [مصباح المتهجد/ج٢/ص٥٨٦] كما يحمد الله على تفضّله وتنعّمه على غيره من أولياء الله فيقول:

**«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا جَرَى بِهِ قَضَاؤُكَ فِي أَوْلِيَائِكَ، الَّذِينَ اسْتَخْلَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ وَ دِينِكَ، إِذِ اخْتَرْتَ لَهُمْ جَزِيلَ مَا عِنْدَكَ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، الَّذِي لَا زَوَالَ لَهُ وَ لَا اضْمِحْلَالَ، بَعْدَ أَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمُ الزُّهْدَ فِي زَخَارِفِ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَ زِبْرِجِهَا، فَشَرَطُوا لَكَ ذَلِكَ، وَ عَلِمْتَ مِنْهُمُ الْوَفَاءَ بِهِ. فقَبِلْتَهُمْ وَ قَرَّبْتَهُمْ، وَ قَدَّمْتَ لَهُمُ الذِّكْرَ الْعَلِيَّ وَ الثَّنَاءَ الْجَلِيَّ، وَ أَهْبَطْتَ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَتَكَ، وَ كَرَّمْتَهُمْ بِوَحْيِكَ، وَ رَفَدْتَهُمْ بِعِلْمِكَ، وَ جَعَلْتَهُمُ الذَّرَائِعَ إِلَيْكَ، وَ الْوَسِيلَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ.»** [إقبال الأعمال/ج١/ص٢٩٥] أمّا في العشق الأرضي فلا يرضى العاشق بأن يقبل المعشوق على الآخرين، إذ لا يهدف العاشق إلّا إلى امتلاك المعشوق. أما الأمر يختلف تماما في عشق الله وعشق أهل البيت(ع)، وهنا يتّضح سر الحسد لوليّ الله. فالإنسان الأناني الذي ينتحل محبّة الله ولكنّه يهدف إلى تحقيق مصالحه ولا يحظى بالإخلاص، إذا رأى أن الله قد تفضّل وأنعم على عبدٍ غيره، ينزعج ويحزن ويقول لربّه بلسان حاله: «لقد جئتك وتعبّدت بين يديك وأطعتك، ثم أنت تتفضّل على غيري وتتحبّب إليه من دوني؟!» وهكذا يتغلغل الحسد في قلبه تجاه وليّ الله. وكم قد حسدوا عليّا أمير المؤمنين(ع) بسبب هذه النفسيّات. إذ كان يتوقّع بعض المسلمين الذين قدّموا الحد الأدنى من الخدمات للإسلام وللنبيّ الأعظم(ص) أن ينضمّ النبي(ص) إلى تياراتهم وجماعاتهم. فعندما شاهدوا حبّ النبي(ص) لأمير المؤمنين(ع) واهتمامه الخاص به دون غيره، خرجت أضغانهم وحسدوا عليّا(ع). بينما لو كانوا يحبّون النبيّ(ص) لا لمصالحهم بل في سبيل أن يتقرّبوا إليه ويشتريهم ليكونوا عبيدا له لما كان ردّ فعلهم مثل هذا.

## ما هو تأثير الصوم على الإخلاص؟/ يترك الإنسان أثناء الصيام السعي لامتلاك المصالح وجرّها إلى نفسه

لقد قالت السيدة الزهراء(س): «فَجَعَلَ اللَّهُ...الصِّيَامَ تَثْبِيتاً لِلْإِخْلَاصِ» [الاحتجاج/ج١/ص٩٩] إذن على أساس ما قالته فاطمة الزهراء(س) إن ثمرة الصيام كسب الإخلاص، ولكن لابدّ أن نقف عند هذا المفهوم لنرى ما هي علاقة الصيام مع الإخلاص وكيف يؤثر الصيام على الإخلاص.

عندما تصوم وتمسك عن الطعام والشراب، يتسنّى لك القيام بالعمل الخالص. إن الصيام هو ترك أولَيات ما تشتهيها النفس بطبيعة الحال. إنك تترك أثناء الصيام السعي لامتلاك المصالح وجرّها إلى نفسك. وكسب الإخلاص هو شيء من قبيل أن يشتريك المحبوب ويجعلك عبدا لنفسه، لا أن تمتلك المحبوب وتنتفع به. ولا يخفى أن تحصيل الإخلاص ليس بعمل هيّن.

## روايتان في الحبّ

روي عن الإمام الباقر(ع) أنه قال: «**إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ فِيكَ خَيْراً فَانْظُرْ إِلَى قَلْبِكَ فَإِنْ كَانَ يُحِبُّ أَهْلَ طَاعَةِ اللَّهِ وَ يُبْغِضُ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ فَفِيكَ خَيْرٌ وَ اللَّهُ يُحِبّكَ وَ إِنْ كَانَ يُبْغِضُ أَهْلَ طَاعَةِ اللَّهِ وَ يُحِبُّ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ فَلَيْسَ فِيكَ خَيْرٌ وَ اللَّهُ يُبْغِضُكَ وَ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبّ**» [الكافي/ج٢/ص١٢٧] وروي عن الإمام الصادق(ع): «**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَ أَبْغَضَ لِلَّهِ وَ أَعْطى لِلَّهِ، فَهُوَ مِمَّنْ كَمَلَ إِيمَانُه**» [الكافي/ج٢/ص١٢٤]

## الساعة التي يمكن تجربة الإخلاص فيها بسهولة، هي الساعة التي نعيش فيها مشاعر الحبّ لأهل البيت(ع)

إن أهل البيت(ع) لفرصة استثنائية في تحقيق الإخلاص، إذ حتى الأنانيّين من الناس قادرون على حبّ أهل البيت(ع) نوعا ما. والسبب في ذلك هو أن حبّ أهل البيت(ع) يحرق القلب وفي أوج الحبّ لا يبقى منك شيء بل تفنى في المحبوب. فالساعة التي يمكن تجربة الإخلاص فيها بسهولة، هي الساعة التي نعيش فيها مشاعر الحبّ لأهل البيت(ع). إنك تستطيع أن تعيش الإخلاص في مجالس مصيبة الحسين(ع) وذكر مصائب أهل البيت(ع)، فإنك في تلك الساعة لا تفكّر بمصالحك بل تحترق لغيرك. ففي ذلك الحال الذي أنت تبكي فيه على الحسين(ع) مثلا، إن أخبروك بثواب هذا البكاء لا تبالي كثيرا، وتقول: لم أبك الآن للحصول على الثواب ولا أبكي من أجل أن أحصل على شيء، بل أريد أن أكون للحسين(ع) ولأطفاله.



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢٧)

عليرضا بناهيان




**الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ**
**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران**
**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢٧)**

## يجب أن يكون أثر صيام شهر رمضان لمدّة ثلاثين يوما، التواضع وذلّ النفس/ غاية «الطاعات والعبادات وجهاد النفس» هي ذلّ النفس في مقابل الله/ لماذا يجب أن نذلّ أنفسنا في مقابل الله؟

### تحتاج الأدوية المعنوية إلى المعرفة والنيّة الخالصة حتى تؤثر بخلاف الأدوية المادّية/ يجب أن نعرف أن الصلاة بصدد إذلال النفس في مقابل الله وتضعيف كبرنا أمامه

لا يحتاج الدواء إلى «معرفة» أو «نية» في سبيل أن يترك مفعوله في جسم الإنسان؛ يعني أولا لسنا بحاجة إلى أن نعرف ماذا تفعل حبّة الدواء في جهاز جسمنا، وثانيا لا داعي إلى استعمال الدواء بنية التئام الحلق مثلا. إذ يترك الدواء أثره في جسم الإنسان على أيّ حال، سواء أكنّا عارفين بتفاصيل أثر الدواء ونوينا الشفاء عند الاستعمال أم لا. بينما تحتاج الأدوية المعنوية التي تشفي روح الإنسان ومن أجل تأثيرها إلى المعرفة والنية الخالصة بخلاف الأدوية المادّية. فعلى سبيل المثال، الصلاة شفاء ووقاية لكثير من أمراضنا بل لجميع الفحشاء والمنكر بشكل عام؛ (**إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ**) [العنكبوت/٤٥]. ولكن إذا أرادت هذه الصلاة مع كل عظمتها أن تترك أثرها علينا، فيقتضي ذلك معرفتنا ونيتنا المخلصة أيضا. إن اطّلعنا بشكل دقيق على حقيقة أثر الصلاة على روحنا، وكانت نيتنا في مسار هذا التأثير، عند ذلك ستكون الصلاة مؤثرة فينا واقعا. يجب أن نعرف أن الصلاة تسعى لإذلالنا في مقابل الله ولتضعيف كبرنا وأنانيتنا، ثم ننوي ذلك وندعو لتحقّق هذا الهدف ونقول: «إلهي أريد أن أزداد تواضعا وذلّا بين يديك وأن يضعف كبري عبر هذه الصلاة». فإننا إن أردفنا إلى الصلاة مثل هذه المعرفة والنيّة، سوف نتقرّب إلى الله.

لا يستطيع الإنسان أن يسير في هذا الطريق إلا بعد أن عرف ماذا يفعل أولا، ونوى ما عرفه ثانيا. السبب الذي جعل ديننا يحثّ على التدبر والتعقّل ومعرفة النفس والتفقه والفهم الدقيق بهذا القدر، هو أن للمعرفة أثرا وضعيا ولا تخلو عن الفائدة أبدا. لا ينبغي أن نمرّ من المفاهيم الرئيسة الدينية التي اهتمّ بها الدين مرور الكرام، بل ينبغي أن نفكّر لماذا اهتمّ الدين بهذا الموضوع بهذا القدر؟ ليس من الجميل أن يعطّل الإنسان قدرة فهمه في مجال إدراك الدقائق الدينية ثم يصرفها في اللعب والقضايا التافهة.

## نحن كما نخاف من السرطان، يجب أن نخاف من عدم استيعابنا العميق للمفاهيم الأساسية الدينية/ قال رسول الله(ص): أُفٍ لِكُلِ مُسْلِمٍ لاَ يَجْعَلُ فِی كُلِ جُمْعَةٍ يَوْماً يَتَفَقَّهُ فِيهِ أَمْرَ دِينِهِ وَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ

نحن كما نخاف من السرطان، يجب أن نخاف ونخشى من عدم استيعابنا العميق للمفاهيم الأساسية الدينية، لأنه عند ذلك سيقع الإنسان في أخطاء فادحة قهرا ومن دون مشيئة. مع الأسف إن بعض المتديّنين والثوريّين لم يحظوا بالعمق المعرفي وقد توقفوا في مستوى ثابت من المعارف الدينية وهم يزعمون أنهم يعرفون كل المفاهيم الدينية. فعلى سبيل المثال إن بعضهم يحملون فهما سطحيا عن مفهوم التقوى الأساسي والعميق ويتصوّرون أنه لا يتجاوز هذا المفهوم العظيم عن نطاق «اجتناب الذنوب»، ولا يتطلّعون إلى كسب فهم أعمق عمّا عرفوه. كثير من الناس وللأسف الشديد لا يتعبون أنفسهم للحصول على فهم عميق عن الدين وهذا أمر سيئ جدّا. قال رسول الله(ص): **أُفٍ لِكُلِ مُسْلِمٍ لَا يَجْعَلُ فِی كُلِ جُمْعَةٍ يَوْماً يَتَفَقَّهُ فِيهِ أَمْرَ دِينِهِ وَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ**» [المحاسن/١/٢٢٥]. إن بعض الناس ـ وللأسف ـ لا يخصّصون وقتا كافيا لفهم الدين مكتفين بمستوى فهمهم العامّي عن الدين. ولكن هذه السطحية في الفهم إما ستؤدي إلى فرار الشخص نفسه عن الدين، وإما يسوقه إلى ممارسة بعض الأعمال التي تبعد أشخاصا آخرين عن الدين. وفي الواقع سوف يحاسبهم الله ويسألهم عن الذكاء الذي منحهم أين صرفوه وفي أيّ طريق بذلوه؟! إن بعض الأشخاص يصرف فاهمته وذكاءه في دراسته وفي الجامعة فقط، ويصرفها البعض في اللعب والمرح وقضايا أخرى دون أن يستخدموها في الدين.

## الدين من قبيل القضايا التنويرية وهو خاصّ بالأذكياء وأهل الفهم والمعرفة/ الابتعاد عن الدين يعني الحماقة والسفاهة والعامّية

الديـن مـن قبيـل القضايـا التنويريـة وهـو خـاصّ بالأذكيـاء وأهـل الفهـم والمعرفـة. فعـلى سـبيل المثـال كشـفت دراسـة ميدانيـة في إحـدى البلـدان، أن أكـثر المسـتبصرين والذيـن تشرّفـوا بالدخـول في مذهـب أهـل البيـت(ع) هـم مـن خريجـي الجامعـات وذوي الشـهادات الجامعيـة. الابتعـاد عـن الديـن يعـبّر عـن حالـة مـن الحماقـة والسـفاهة والعامّيـة. فـكلّ مـن يخالـف الديـن فإنمـا يـدلّ عـلى حماقـة في داخلـه. وهكـذا قيّمهـم اللـه سـبحانه فقـال: **(ذلِـكَ بِأَنَّهُـمْ قَـوْمٌ لا يَعْقِلُـون)** [المائـدة/٥٨]

**إن خطـر المتدينـين الجهلـة عـلى الديـن أكـثر مـن خطـر غـير المتدينـين/ إن خطـر المتدينـين الجهلـة بقـدر خطـر المنافقـين/ كل معاناتنـا وآلامنـا بسـبب مـا نـراه مـن جهالـة بعـض المتدينـين**

ليـس النـزاع الرئيـس في العـالم بـين المتديّـن وغـير المتديّـن، وإنمـا بـين الذيـن يعلمـون والذيـن يشـعرون وبـين الذيـن لا يعلمـون ولا يشـعرون. ليـس النـزاع بـين الثوريـيّن وغـير الثوريّـين، بـل إنمـا هـو نـزاع قائـم بـين الفهـم وعـدم الفهـم، ويـا لهـا مـن معانـاة يتجرّعهـا الديـن مـن جانـب بعـض المتديّنـين الذيـن ليسـوا مـن أهـل الفهـم والمعرفـة. فـإن هـؤلاء قـد يسـيئون إلى الديـن بجهلهـم الممـزوج ببعـض النزعـات الإيجابيـة. لقـد طرقـت أسـماع بعـض المتديّنـين بعـض المفاهيـم الدينيـة ولكنهـا لم تدخـل في أعـماق قلوبهـم، فهـم يشـعرون ويدّعـون بأنهـم يعرفـون الديـن كلّـه! فأحيانـا تكـون أخطـاء هـؤلاء المتدينـين واشـتباهاتهم أضرّ عـلى الديـن مـن معـاصي غـير المتديّنـين. يقـول أمـير المؤمنـين(ع): «**قَطَـعَ ظَهْـرِي رَجُـلَانِ مِـنَ الدُّنْيَـا رَجُـلٌ عَلِيـمُ اللِّسَـانِ فَاسِـقٌ وَ رَجُـلٌ جَاهِـلُ الْقَلْـبِ نَاسِـكٌ هَـذَا يَصُـدُّ بِلِسَـانِهِ عَـنْ فِسْـقِهِ وَ هَـذَا بِنُسُـكِهِ عَـنْ جَهْلِـهِ فَاتَّقُـوا الْفَاسِـقَ مِـنَ الْعُلَـمَاءِ وَ الْجَاهِـلَ مِـنَ الْمُتَعَبِّدِيـنَ أُولَئِـكَ فِتْنَـةُ كُلِّ مَفْتُـونٍ فَإِنِّـی سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللَّـهِ ص يَقُـولُ يَـا عَـلِيُّ هَـلَاكُ أُمَّتِـي عَـلَى يَـدَيْ كُلِّ مُنَافِـقٍ عَلِيـمِ اللِّسَـان**» [الخصـال/ج١/ص٦٩] و كذلـك قـال: «**قَطَـعَ ظَهْـرِي اثْنَـانِ عَالِـمٌ فَاسِـقٌ يَصُـدُّ عَـنْ عِلْمِـهِ بِفِسْـقِهِ وَ جَاهِـلٌ نَاسِـكٌ يَدْعُـو النَّـاسَ إِلَى جَهْلِـهِ بِنُسُـكِه**» [غررالحكـم/٢٤٥ , مجموعـة ورام/ج١/ص٨٢]

ومـع الأسـف قلّـما يلتفـت إلى خطـر الفئـة الثانيـة، أي المتدينـين الجهلـة، في حـين أن أحاديـث أهـل البيـت(ع) تبـيّن أن الصدمـات التـي يلحقهـا هـؤلاء بالمجتمـع تماثـل صدمـات المنافقـين. وقـد تجرّعنـا آلامـا كثـيرة مـن جانـب هاتـين الفئتـين. فبرأيكـم مـا هـي أسـباب مشـاكل مجتمعنـا الآن؟ كل مـا نعـاني منـه فبسـبب جهالـة بعـض المتديّنـين وحماقتهـم. فـإن جهالـة هـؤلاء المتنسّـكين تجتمـع شـيئا فشـيئا وإذا بهـا تنجـر إلى الانحـراف والانشـقاق. الديـن ظاهـرة معقّـدة جـدّا وليـس مجـرد مفاهيـم بسـيطة نسـمعها مـرّة واحـدة ثـم نتقنهـا وينتهـي كل شيء بـلا حاجـة إلى تعمّـق وتفكّـر. بـل إنمـا هـو بحاجـة إلى دقّـة وتعمّـق. لا يحتـاج الديـن إلى متخصصـين نراجعهـم وحسـب، بـل يجـب عـلى جميعنـا فـردا فـردا أن نسـعى للحصـول عـلى فهـم عميـق تجـاه الديـن.

**قـال عـلي(ع): ذلّـل نفسـك بالطاعـة/ حاسـب نفسـك وانظـر هـل قـد ازدادت ذلّا بعـد الطاعـة أم لا؟**

في تكملـة موضـوع جهـاد النفـس نقـف عنـد روايـة عـن أمـير المؤمنـين(ع) حيـث قـال: «**ذَلِّـلْ نَفْسَـكَ بِالطَّاعَـةِ**» [عيـون الحكـم/ ص٢٥٥]. فـإن أطعـت اللـه ولم تجـد نفسـك قـد ازدادت ذلّا للـه فلـم تطـع اللـه في الواقـع، بـل قـد أطعـت هـوى نفسـك، أو كانـت شريكـة في الطاعـة عـلى الأقـل. مثـلا رأيـت أن هـذه الطاعـة تنسـجم مـع هـواك فاخترتهـا، لتلبّـي رغبـة نفسـك وتطيـع ربـك في نفـس الوقـت. مشـكلتنا هـي أن نفسـنا لا تدعنـا نطيـع اللـه وحـده، بـل نطيـع اللـه والنفـس معـا. فـلا يتقبـل اللـه عبادتنـا وطاعتنـا حسـب القاعـدة لأنـه لا يتخـذ شريـكا. كأن اللـه يقـول لنـا: «إن لم تقـدر عـلى اسـتحضار النيـة الخالصـة في جميـع أعمالـك، فاسـتحضرها في بعـض أعمالـك وطاعاتـك عـلى الأقـل ولتكـن بعضهـا لأجـلي فقـط، يعنـي قـم بالطاعـة التـي لا ترغـب بهـا نفسـك ولا تكـن بحيـث تنتقـي الأفعـال المنسـجمة مـع هـواك وحسـب»؛ «**سَـمِعْتُ أَبَـا عَبْـدِ اللَّـهِ ع يَقُـولُ قَـالَ اللَّـهُ عَـزَّ وَ جَـلَّ أَنَـا خَيْـرُ شَرِيـكٍ مَـنْ أَشْرَكَ مَعِـي غَيْـرِي فِي عَمَـلٍ عَمِلَـهُ لَـمْ أَقْبَلْـهُ إِلَّا مَـا كَانَ لِي خَالِصـاً**» **[الـكافي/٢/٢٩٥]** و «**أَنَـا خَيْـرُ شَرِيـكٍ فَمَـنْ عَمِـلَ لِي وَ لِغَيْـرِي فَهُـوَ لِمَـنْ عَمِلَـهُ غَيْـرِي**» [وسـائل الشـيعة/ج١/ص٧٢]

## لماذا يجب أن نذلّ أنفسنا في مقابل الله؟/ يجب أن تكون نتيجة الطاعة ازدياد ذلّ النفس لله

إن أردت أن تعرف أن ما قمت به من طاعة كانت لله واقعا ولم يكن لنفسك شراكة فيه، فحاسب نفسك وانظر هل قد ازدادت النفس ذلّا لله بعد القيام بالعمل وأداء الطاعة أم لا؟ كيف تكون النفس إذا ذلّت؟ ستكون في مقابل الله كبعض الأذلّاء في هذه الدنيا والذين يهينون أنفسهم أمام الآخرين أو يتسوّلون في الطرقات. فلابدّ أن تصبح النفس هكذا في مقابل الله. لابدّ أن نرى هل نستطيع أن نذلّ أنفسنا في مقابل الله سبحانه، أم أننا أذلاء في مقابل شهوات النفس الدانية؟ لماذا يجب أن نذلّ أنفسنا في مقابل الله عز وجل؟ لأننا نريد أن نلقى الله ولا سبيل لمن لم يذل في مقابل الله إلى ساحة قربه.

## يجب أن يكون أثر صيام شهر رمضان لمدّة ثلاثين يوما، التواضع وذلّ النفس/ غاية «الطاعات والعبادات وجهاد النفس» هي ذلّ النفس في مقابل الله/ لماذا يجب أن نذلّ أنفسنا في مقابل الله؟

الآن وبعد أن انتهينا إلى نهاية شهر رمضان، إذا أردنا أن نعرف مدى صحة طاعتنا في هذا الشهر، فلابد أن نرى هل قد ازددنا تواضعا وذلّا لله أم لا؟ هل ازددنا خوفا وخشية من الله أم لا؟ فعلى سبيل المثال هل أصبحنا نخاف الله إذا أردنا تأخير صلاتنا قليلا؟ يجب أن تكون نتيجة هذه العبادات والطاعات بعد ثلاثين يوما في شهر رمضان هي ذلّ النفس والخشوع. كما أن الهدف الرئيس من طاعة الله وعبادته وجهاد النفس هو ذلّ النفس. يجب أن تذلّ النفس في مقابل الله وتخشع له. فإن قبح الذل في أي مكان آخر وأمام أي شخص آخر، فإنه يحلو ويجمل في مقابل الله. من الأعمال الرائعة التي تعيننا على ذلّ النفس وتمنحنا هذا الشعور هو أن نهتمّ بقبول الطاعة أكثر من أدائها. فقد قال أمير المؤمنين(ع): «**كُونُوا بِقَبُولِ الْعَمَلِ أَشَدَّ اهْتِمَاماً بِالْعَمَل**» **[مجموعة ورام/ ج١/ ص٦٤]** فالآن وبعد ما صمنا شهر رمضان كلّه وأدينا بعض العبادات، يجب أن نقلق على قبول أعمالنا ونهتمّ بذلك أكثر من اهتمامنا بأداء الأعمال وأن نلتمس الله أن يقبل أعمالنا. عند ذلك سوف تذل نفسنا إذ أن الاهتمام بقبول العمل يحكي عن أننا لم نغترّ بأعمالنا.

## كل ما يقوم به الإنسان في سبيل إذلال النفس، تستخدمه النفس كرأسمال للعجب

لماذا بعد عنائنا وصومنا خلال ثلاثين يوما، يجب أن نزداد جهدا وسعيا من أجل قبول صيامنا وأعمالنا؟ لأن نفس الإنسان تنطوي على مرض باسم «العجب» و «الأنانية»، بحيث كلّ ما يقوم به الإنسان ليذلّها، تستخدمه كرأسمال للإعجاب بنفسها. فهي تحاول أن تستعمل نفس الأعمال التي أنجزتها لإذلالها كأداة للعجب والطغيان! هذا «العجب» من الأمراض المستعصية التي يصعب معالجتها جدّا. فعلى سبيل المثال، عندما تأمر نفسك بالسجود لله، تتمرّد في البداية ولا تطيع، ولكنك إن استطعت أن ترغم أنفها وتفرض عليها السجود، بمجرّد أن ترفع رأسك يتغيّر لحنها و تبدأ بالتفاخر والتباهي بفعلها وسجودها. وهذا هو العجب.

## الاعتذار من الذنب أهمّ من اجتنابه/ إذ أن الاعتذار يذلّ النفس

لماذا الاعتذار من الذنب أهم من اجتنابه؟ إذ أن الاعتذار من الله يذلّ الإنسان في مقابل الله، ويحظى هذا الذل والخشوع بأهمية كبيرة لدى الله، وهو أفضل بكثير من أن نجتنب الذنوب ثم نصاب بالعجب والغرور بسبب تورعّنا عن الذنب. ولذلك أحيانا يترك الله عبده المؤمن ليذنب خوفا عليه من العجب، إذ يعلم الله سبحانه أن الذنب أفضل لعبده المؤمن من العجب؛ «إِنَّ اللَّهَ عَلِمَ أَنَّ الذَّنْبَ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْعُجْبِ وَ لَوْ لَا ذَلِكَ مَا ابْتُلِيَ مُؤْمِنٌ بِذَنْبٍ أَبَداً» [الكافي/ج٢/ص٣١٣]

## إن لم نسأل الله ونلتمسه أن يقبل أعمالنا، سوف تذهب كل طاعاتنا في هذا الشهر هباءً

بإمكانكم الآن أن تشاهدوا أثر الاهتمام بقبول الأعمال على روحكم ونفوسكم. فالتمسوا الله وتذلّلوا إليه وقولوا: «إلهي أسألك وأتوسل إليك أن تتقبّل شهر رمضان هذا! صحيح أن طاعاتي كلّها كانت غير جيّدة ورديئة، ولكني ألتمسك أن تقبلها ولا تردّها». ثم انظروا ماذا يحصل في أرواحنا بهذه المناجاة القصيرة؟ التذلل والنور. فما إن تبدأ بالالتماس والإلحاح على الله ليقبل أعمالك تزداد صفاء ونورا. وفي المقابل إن خلت أعمالنا من هذا الإلحاح والالتماس سوف تذهب كل طاعاتنا ومناجاتنا في هذا الشهر هباءً ونخرج من هذا الشهر بأيدٍ خالية.

## إن ذلّ النفس هدف الإطاعة، فإن لم نصل إلى هذا الذلّ بعد الطاعة، نعرف أن طاعتنا كانت غير صحيحة

إن ذلّ النفس هدف الإطاعة، فإن أطعنا الله ولم نصل إلى هذا الذلّ، ينكشف أن طاعتنا كانت ذات خلل. ما يحفظ الإنسان هو الذلّ بين يدي الله. إن ضجيج الإنسان إلى الله بعد الصلاة والإلحاح عليه أن يتقبّل صلاته هو الذي يحفظ الإنسان، ولولا ذلك جدير بالصلاة نفسها أن تفسد الإنسان. إذ لولا هذا السؤال الملحّ، لاقتحم العجب قلب الإنسان. ففي هذه الأيام ونحن على وشك انتهاء شهر رمضان يجب أن نفعل أمرين: ١ـ نلتمس الله أن يتقبّل طاعاتنا ٢ـ أن نستغفر من طاعاتنا وعباداتنا وأن نقول: «ربّنا! اغفر لنا نقصان عباداتنا وطاعاتنا فإنها لم تكن بمستوى شأنك ومقامك. فتغاض عن هذه العبادات ولا تحاسبنا عليها». إن هذه الأعمال سوف تجعلنا نعيش حالة الذل والانكسار بين يدي الله إن شاء الله.



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢٨)

عليرضا بناهيان




**الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ**
**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فى مدينة طهران**
**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢٨)**

**إن هوى النفس عدوّ للعقل وكذلك عدوّ للعشق/ إن رُشّت بذور اتباع الهوى في المجتمع يمت العشق/ النساء أول المتضرّرين من السفور/ إن جهاد النفس يهدي الإنسان إلى العقل، وبعد ذلك يقوده إلى العشق ومنه إلى الإخلاص في آخر المطاف/ إن لذّة مسيرة الأربعين أمتع من أي جلسة طرب وعيش**

### ما معنى «لنستعن بالعقل على السيطرة على عواطفنا» بشكل دقيق؟

كثيرا ما يقال يجب أن نستعين بالعقل على عواطفنا أو أن نسيطر على إحساساتنا ونتغلب عليها. وقد تستبدل بالعقل مفاهيم أخرى كالفكر والعلم والإيمان. إن أصل هذا الكلام صحيح ولكن قد أخطأ الكثير في فهمه. فليس معنى هذا الكلام الدقيق والصحيح هو المتبادر إلى أذهان الكثير من الناس. إذا يقال: يجب أن تستعينوا بالعقل والإيمان والعلم والفكر على مخالفة أهوائكم، فمعناه الدقيق هو أنه يجب أن توقظوا نزعاتكم ورغباتكم الحسنة بالعقل والعلم والإيمان، ثم تستعينوا بهذه الرغبات الحسنة على الأهواء السيئة. فإن العقل والإيمان والعلم والفكر كلّها مدعاة إلى صحوة الرغبات الحسنة وتنشيطها.

### العقل موقظ الرغبات المثلى في الإنسان ومعزّزها/ يحظى العقل بقوّة يدير بها أهواء الإنسان

نحن بصدد تضييق رغباتنا السيئة والسيطرة عليها. فمن أجل تحقيق ذلك لا سبيل لنا سوى الرغبات الحسنة التي هي إما مودعة في فطرتنا وهي بحاجة إلى التفعيل والازدهار، أو أنها موجودة وناشطة بالفعل ولابد من إدارتها. العقل هو موقظ الرغبات المثلى في الإنسان ومعزّزها. فإنكم سوف تقضون على الأهواء السيئة عن طريق هذه الرغبات الحسنة. يحظى العقل بقوّة يدير بها نزعات الإنسان. كما أنّ أنبياء الله جاءوا ليخاطبوا نبيّنا الباطني وهو العقل. والعقل هو القوّة التي تدير مختلف الأهواء والرغبات الكامنة في داخلنا. فتهدينا قوّة العقل دائما نحو الرغبات الأسمى ويشير علينا بأن نختار أفضل رغبة ونلبّيها.

## يضيء العقل الطريق ويعرّفنا على الرغبة المثلى

عندما نتمرّض ويصف لنا الطبيب دواء مرّا، يجب أن نشرب الدواء بالرغم من كرهنا وعدم رغبتنا. فنحن هنا في الواقع قد جاهدنا هوى النفس بالعقل، فنحَّينا «كره شرب الدواء» على جانب، إذ قد شخّص العقل أن «حبّ الصحة والحياة» رغبة أسمى وأمثل. فنحن في مثل هذا الموقف أصبحنا في الواقع بين رغبتين متعارضتين: إحداهما هي حب عدم شرب الدواء المرّ، والأخرى حبّ الصحة والحياة. فهنا يأتي العقل ويضيء الطريق ويعرّفنا على الرغبة الأسمى، فنشخصّها ونختارها. يهدينا العقل إلى الرغبات القيّمة واختيار أفضل الخيارات. ولذلك إذا ذهب أحد إلى محلّ بيع الألبسة لشراء قميص، واختار أقدم القمصان وأقبحها وأقلّها تناسبا وأغلاها في نفس الوقت، يتّهم بفقدان العقل عندئذ. دور العلم هنا إتحاف الإنسان بالمعلومات، أما العقل فهو الذي يقوم بإدارة مختلف الرغبات ويفضّل أفضل الخيارات على غيرها، ويعين الإنسان لتلبية أفضل الرغبات وأسماها.

## بإمكان العقل اليوم وحتى العقل التجريبي أن يدافع عن أكثر القيم

نحن الآن نعيش في زمن أصبح الدفاع عن القيم فيه عقليّا أكثر من كونه عقديّا. فحاجتنا الأولى هي التمتّع بالعقل بمختلف أنواعه وأشكاله من عقل المعاش والعقل السياسي وغيره. فإن كنّا في زمن ننطلق فيه من العقائد في الدفاع عن الثورة، فقد أصبحنا اليوم ندافع عن أكثر قيم الثورة على أساس العقل، وحتى العقل التجريبي. فعلى سبيل المثال كان العقل التجريبي في العقود الماضية عاجزا عن فهم فساد الديمقراطية الغربيّة، فكنّا ندّعي فسادها بالاستناد إلى الآيات والروايات، أو كنّا نحذّر من السقوط فيما لا يرضى به الله عبر الذهاب وراء الديمقراطية الغربية. أما الآن فقد نما العقل البشري وبإمكانه أن يثبت فساد الديمقراطيّة الغربية. وقد أصبحت جرائم الديمقراطية الغربية الآن بمرأى الجميع ولا تحتاج مشاهدتها إلى العين المسلّحة.

## بإمكاننا اليوم أن ندرك جميع القيم بالعقلانية والواقعيّة/ إن أجواءنا ومناخنا من الشفافيّة بمكان بحيث إن أردنا تحقيق مصالحنا الوطنية فقط، فقد حفظنا القيم أيضا

النزاع اليوم بين العقلانية وعدم العقلانية، فلابدّ أن ندافع عن قيم ثورتنا الإسلامية بأساليب عقلانية. لأن تجربة نظام السلطة الفاشلة التي قامت على أركان الكفر والإلحاد ماثلة أمامنا. وحتى ظاهرة النفاق فإن كانت موجودة في مجتمعنا فهو نفاق يتظاهر بالعقلانية والتعقّل. إن بعض الأشخاص في الأوساط السياسيّة يخدع الناس عبر استغلال العقلانية والواقعيّة. ولكن يجب أن نعرف أن الواقعية التي يهتف بشعارها بعض الناس، ويؤكد عليها المؤمنون بحقّ، أصبحت اليوم عمادا للدفاع عن القيم، فحسبنا اليوم أن نؤكد على هذه الواقعيّة والعقلانية ونستدلّ بها على أحقية مبادئنا وقيمنا. لقد تيسّر اليوم وعبر نموّ العقل والتجارب أن نفهم وندرك جميع القيم بالعقلانيّة والواقعيّة. كنا نقول قبل ثلاثين عاما: لابدّ أن نراعي مصالحنا الوطنية وفي نفس الوقت لا ينبغي أن ننسى القيم الإسلامية. أمّا الآن فقد أصبح المناخ السياسي في العالم من الشفافية والوضوح بمكان بحيث حتى إن أردنا تحقيق مصالحنا الوطنية فقط، فقد حفظنا القيم أيضا. كما يجب على مختلف التيّارات السياسيّة أن يعيدوا تعريفهم عن أنفسهم ويحدّدوا موقعهم الدقيق تجاه العقلانية السياسية اليوم. يودّ بعض الناس أن يحقّق الأمان والرفاه في هذا البلد عن طريق تحسين العلاقات السياسية والدوليّة وإرضاء هذا وذاك فقط. فعلى سبيل المثال كانت سورية قد اتخذت هذه السياسة فهي كانت تحافظ على أمنها واستقرارها عبر معادلات المنطقة، يعني كانت تعتمد في حفظ أمنها على تحسين علاقاتها مع بلدان المنطقة دون أن تسيطر سيطرة كاملة وشديدة على حدودها. ولكن قد اتضح أن هذا الأمن أمن هشّ واهن، إذ إن أرادت دول الجوار أو بلدان المنطقة ولأي سبب كان أن يدخلوا جيوشا من الإرهابيين في البلد، كيف يمكن السيطرة عليها عندئذ؟! من الذي لا يعرف أن التراجع أمام العدو اليوم مخالف للمصالح الوطنية، ومن الذي لا يعرف أن العدو بصدد التوغل واقتحام البلد في أي لحظة، ولا يمكن أن نرى منه أي نصح؟ فلا يحتاج فهم هذه الحقائق إلى عقائد ثورية راسخة.

## العقل يقمع الأهواء السيئة بالرغائب الحسنة/ اتباع الهوى عدوّ العقل

يتمّ جهاد أهواء النفس والرغائب السيئة عبر الرغائب الحسنة. فإذا قيل أن العقل هو الذي يحارب أهواء النفس فمعنى ذلك أن العقل يقمع الأهواء السيئة بالرغائب الحسنة. يقول أمير المؤمنين(ع): «أَعْقَلُ النَّاسِ أَنْظَرُهُمْ فِي الْعَوَاقِب» [غرر الحكم/ص٢١٧/ الحديث٥٤٢] إذن بطبيعة الحال أعقل الناس من أخذ يوم القيامة أيضا بعين الاعتبار والأعقل منه من ينظر في درجات الجنّة ويصبو إلى الصعود إلى أعلى درجات الجنان. عدو العقل اتباع الهوى. لأنه يأمرك أن تتبع المشتهيات والرغبات القريبة التي في متناول يدك بلا أن تفكّر في يوم غد! أمّا العقل فيفكّر بيوم الغد وحتى بالمستقبل البعيد.

## إن هوى النفس عدوّ للعقل وكذلك عدوّ للعشق/ إن رُشّت بذور اتباع الهوى في المجتمع، يمت العشق/ النساء أول المتضرّرين من السفور

ليس العقل هو الوحيد في مجاهدة هوى النفس، بحيث إذا تغلّب الهوى فنى العقل، بل إن الهوى هو عدوّ للعشق ويحاربه. العشق بمعناه المستعمل في أدبياتنا العرفانية هو الحبّ الشديد الذي يحصل في القضايا المعنوية أكثر من المادّية. إذا استطعنا أن نرسّخ هذا المفهوم في المجتمع، سوف يتصّدى النساء أنفسهم للحفاظ على الحياء والحجاب، إذ سوف تعي المرأة بأنها إن لم تحافظ على حجابها فإنها قد ساهمت بترك حجابها في ازدياد أرضية اتباع الهوى في المجتمع، وعندئذ سوف تكون هي المتضرّرة الأولى من تفشّي ظاهرة اتباع الهوى. وذلك لأنه إن رُشّت بذور اتباع الهوى في المجتمع، يمت العشق أي الحبّ الشديد والطويل المدى، وسوف يعجز الرجال عن عشق أزواجهم وحبّهنّ الشديد. وسوف تنقص سنيّ عزّ المرأة إلى سنيّ فترة لعب لاعبي كرة القدم، كما أن اليوم أصبحت سنوات عزّ المرأة في الغرب قصيرة جدّا وسرعان ما تُرمى بعد مضيّ سنين قصيرة. وبما أنه ليس لهنّ أي أسرة فيضطرن إلى الحياة في باقي عمرهن مع قططهن وكلابهنّ. وكأن المرأة الغربيّة قد رضت بذلك. هكذا يتعامل المجتمع الغربي معها كسلعة سرعان ما تنتهي مدّة استعمالها.

## لقد أدى اتباع الهوى إلى فناء العشق والحبّ في الغرب/ ما هي الأكذوبة التي تسوّق على الشباب في كثير من الأفلام

لقد أدى اتباع الهوى إلى فناء العشق والحبّ في الغرب. ومع الأسف قلّ ما أنتج فيلم أو مسلسل أو فيلم وثائقيّ يعكس هذا الواقع إلى أبناء مجتمعنا من النساء والرجال. يمكن إنتاج أفلام كثيرة في موضوع العلاقة بين المرأة والرجل، بحيث تكون جذابة من جانب و تقضي على الفسوق والفجور بدلا من تعزيزها من جانب آخر. من المؤسف أن الكثير من الأفلام تكذب على شبابنا فهي تلقي لهم هذا المعنى الكاذب وهو أنه بإمكان الشباب والشابات أن يعشق بعضهم بعضا ويسعدا مع بعض بالرغم من فسقهم واتباعهم الهوى.

## بإمكان الإنسان الذي يحظى بالعقل أن يعيش أرقى اللذات وأحلاها/ إن لذّة المشي في مسيرة الأربعين أعلى من لذّة أيّ فسق وفجور

لقد بلغ عقل الناس من الرشد بمكان بحيث، لا داعي إلى استخدام الآيات والروايات لتفهيمهم أن «اتباع الهوى» يفني العقل ويقضي على العشق. بإمكاننا أن نفهم هذا المعنى من خلال التجربة وندرك أن «جهاد النفس» يزيد العاطفة غزارة ويؤهّل الناس للحبّ الشديد والطويل المدى. هذا هو الواقع الذي نعيشه اليوم ونشاهده حولنا وفي عالمنا. بإمكان الإنسان الذي يحظى بالعقل وينظر إلى المستقبل الأبعد كالجنة، أن يعاشق الجنّة وما فوقها يعني لقاءَ الله عز وجل، وأن يتمتّع بلذّة لا يذوقها أفسق الناس في ألهى الملاهي. فعلى سبيل المثال نشير إلى اللذة التي لا يمكن وصفها والتي تعتري زائري أبي عبد الله الحسين المشاة إلى كربلاء في أيّام الأربعين. فأولئك الذين حضروا في هذه الشعيرة العظيمة، يشعرون في تلك الأجواء الرهيبة التي لا توصف بلذّة لا يذوقها طلّاب اللذة والفسق والفجور في أي مكان من هذا العالم.

## حريّ بالإنسان أن يتحسّر على حرمان أتباع الهوى وخيبتهم في الحياة

حـريّ بالإنسـان أن يتحسّر عـلى حرمـان أتبـاع الهـوى وخيبتهـم في الحيـاة. ينبغـي أن ندعـو لهـؤلاء المسـاكين، فإنهـم معوّقـون في روحهـم وذهنهـم. لقـد أصـاب هـؤلاء أنفسـهم وأرواحهـم بجـروح وقـد قضـوا عـلى أرواحهـم كالمصـاب المجـروح إثـر حـادث اصطـدام. لقـد اتبـع هـؤلاء المسـاكين أهواءهـم وسـلكوا طريـق الفسـق والفجـور ليسـعدوا بلذّتـه، وهـم لا يعرفـون أن اللـذة الحقيقية هـي في مجاهدة الهـوى لا في اتباعـه. ففـي الواقـع قـد كُـذِب عـلى هـؤلاء وخدعـوا.

## إن التزمت بدينك وجاهدت نفسك بعقلك، تجد العشق

قـد يتبـادر هـذا السـؤال وهـو: إن أردت أن ألازم الديـن بعقـلي، فعندئـذ لا أتمتّـع بديانتـي، إذ أن اللـذة في العشـق لا في العقـل. الجـواب هـو: إن التزمـت بدينـك وجاهـدت نفسـك بعقلـك، تجد العشـق. إذ أن العشـق لا ينـافي العقـل وإن كان قـد يكـون مخالفـا للعقـل الضيّـق النطـاق والمقتـصر عـلى تدبـير الدنيـا، ولكنـه لا يتعـارض مـع العقـل بشـكل عـام. يشـير عليـك العقـل أن تخطـو خطـاك في سـبيل اللـه فإنـه لصالحـك، ومـن مصلحتـك أيضـا أن لا تذنـب وأن تفعل الأعـمال الصالحة. العقـل يحكم بأن (إِنْ أَحْسَـنْتُمْ أَحْسَـنْتُمْ لِأَنْفُسِـكُمْ وَ إِنْ أَسَـأْتُمْ فَلَهـا) [الإسراء/٧] والعقـل يحكـم بـأن لا يمكـن الفـرار مـن حكومـة اللـه؛ «لَا يُمْكِـنُ الْفِـرَارُ مِـنْ حُكُومَتِـك» [مصبـاح المتهجـد/ج٢/ص٨٤٥] ولكـن أيـن يوجـد العشـق؟ إن كففـت عـن الهـوى سـوف تعشـق مـن تـرى نفسـك بمقتـضى العقـل أسـيرا بيـده. يعنـي سـوف تسـتعدّ للعشـق أولا إذ لم تتبـع هـواك، وثانيـا سـوف تـرى أنـه لا يليـق أحـد بالعشـق والحـبِّ سـواه. وهنـا سـوف يتبلـور تركيـب رائـع وفريـد وهـو أنـك عـبر هـذه التزكيـة سـوف تعشـق إلهـا مضطـرّا إليـه ولا مفـرّ لـك منـه، وهـذا مـا يحقّـق علاقـة حـبّ عجيبـة ورائعـة جـدّا مـن شـأنها أن تصـيّرك للفنـاء فيهـا. لقـد قـال أمـير المؤمنـين(ع) عـن شـدّة عشـق اللـه عـز وجـل: «حُـبُ اللَّـهِ نَـارٌ لَا تَمُـرُّ عَـلَى شَـيْءٍ إِلَّا احْـتَرَق» [مصبـاح الشريعـة/ص١٩٢]. وهـذا الحـبّ هـو حـبّ مـن أنـت مضطـرّ إليـه بحسـب العقـل، وفي نفـس الوقت قد شـغف بحبّـه قلبـك. فإنـك إن تقبـل عـلى مناجـاة اللـه بهـذا النَفَـس، سـوف تعـي لغـة المناجـاة أفضـل.

## في بداية المطاف يدرك الإنسان بعقله أنه مقهور بإرادة الله، وبعد ذلك يشعر كم هو مشتاق إلى هذا الربّ

العقل يضطر الإنسان إلى الحركة باتجاه الله سبحانه، إذ سوف تدرك بعقلك أن جميع أنواع الحبّ والغرام لا تلصق بالفؤاد إلا محبّة الله وأهل البيت(ع)، ولا سبيل إلى السعادة غير هذا الطريق. فمن لم يكن مريض القلب يعشقهم كما لا يجد طريقا غير سلوك طريق حبّهم والتقرّب إليهم. في بداية المطاف يدرك الإنسان بعقله أنه مقهور بإرادة الله، وبعد ذلك يشعر كم هو مشتاق إلى هذا الربّ وكم هو يحبّه. يزعم الكثير من الناس أنهم إذا اضطرّوا إلى شيء سوف لا يحبّونه فضلا عن أن يعشقوه. ولكن ليس الأمر مع الله عز وجل كذلك. فنحن وإن كنّا مضطرّين إلى الله وأسراء بيده ولكن نستطيع أن نعشقه في نفس الوقت.

## يتبلور العشق فيما إذا عرفت بعقلك أن مصالحك كلّها تتحقّق عبر سلوكك إلى الله، ولكن تغضّ النظر عن هذه المصالح!

يتبلور العشق من تلك اللحظة التي تعرف فيها بعقلك أن بكلّ خطوة تخطوها إلى الله يتحقّق شيء من مصالحك، ولكن تغضّ النظر عن هذه المصالح ثم تواصل الطريق إلى الله بدافع حبّ الله وحسب. فإن قيل أن هناك نزاع بين العقل والعشق فلا يعني أن العقل يحكم بضرر شيء والعشق يحكم بمصلحته، فتضطر إلى اختيار أحدهما دون الآخر! فإن هذا الانطباع عن النزاع بين العقل والعشق غير صحيح. النزاع الحقيقي بين العقل والعشق في أن: «العقل يفتح عينيك لترى منافع العمل الصالح، بينما يدعوك العشق إلى غمض العين عن أرباح هذا العمل وأن تسلك هذا الطريق بدافع الحبّ وحسب». فإنك إن غضضت النظر عن المصالح التي يراها العقل وأديت فعل الخير بدافع العشق لم تنحرف عن طريق العقلانية. لأنك إن كنت قد فتحت عينك واحتسبت المصالح والأرباح لما ملت عن هذا الطريق.

## أوج الإخلاص هو تعبير آخر عن العشق

أوج الإخلاص هو تعبير آخر عن العشق بالمعنى الذي ذكرناه آنفا أي (أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) [البقرة/١٦٥]. الإخلاص هو أن تعلم وتشعر بالمنافع المعنوية والمادية التي يؤدّي إليها العمل الذي تقوم به، ولكن لا تنظر إليها وتجعل نيتك خالصة لله. وليس العشق غير هذا. يزعم كثير من الناس أن معنى الإخلاص هو أن تقول لله: «إلهي، أنا أقوم بهذا العمل في سبيلك ومن أجلك وإن كان بضرري!» فهم يتصوّرون العشق والإخلاص بهذه الصورة المشوّهة وغير العقلانية. فكأنهم يمنّون على الله! في حين أن الله سيعطي عبده ما لا يحصى من الأجر والثواب على كل قطرة من دمه، بالإضافة إلى أن من يقتل في سبيل الله، كان قد انتهى أجله، فتفضّل الله عليه ومنّ عليه فأعطاه فرصة الجهاد لكي يراق دمه في سبيله. وهذه حقيقة تبيّنها الآيات والروايات وهي أن الجهاد في سبيل الله لا يقرّب موت أحد، وأما من كان قد جاء أجله، فإنه إن فرّ من الجهاد فسوف يلقى الموت في جوف بيته؛ (يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ في بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِم) [آل عمران/١٥٤]

## معنى العشق هو أن يقول عقلك: «إن في هذا العمل منافع كثيرة» ويقول العشق: «لا تنظر إلى منافعه»

يقول العقل: «إن كان لابدّ من مغادرة هذه الدنيا في تاريخ محدّد، فادع بالشهادة، إذ أن الشهادة لا تقرّب من أجل الإنسان شيئا». فهو يحكم بمصلحة الشهادة للإنسان. ولكن بعد أن عرفت أن هذه الشهادة لصالحك، يقتضي العشق أن تسلك درب الشهادة بغض النظر عن منافعه ومصالحه. إن أصبح الإنسان عاشقا، سوف لا يرى شيئا من المنافع الأخروية والدنيوية التي سوف يحظى بها في هذا الطريق سوى الله عز وجل. ليس معنى العشق هو أن ينهاك عقلك من أمر لمضارّه، ويدفعك العشق صوبه بالرغم من أضراره! معنى العشق هو أن يرغّبك العقل بأمر ما لما ينطوي عليه من منافع وأرباح طائلة، وفي المقابل ينهاك العشق أن ترى هذه المنافع كلّها لكي تقوم بهذا العمل الصالح النافع لوجه الله ولحبّه.

## فجاهد نفسك لتفعّل وتعزّز عقلك، ثمّ واصل الجهاد لكي تنال العشق والإخلاص

إذن فجاهـد نفسـك لتفعّـل وتعـزّز عقلـك، ثـم واصـل الجهـاد لـكي تنـال العشـق والإخـلاص. فقـد قـال أمـير المؤمنـين(ع): «كَيْـفَ يَسْـتَطِيعُ الْإِخْـلَاصَ مَـنْ يَغْلِبُـهُ الْهَـوَى» [غـرر الحكـم/ص٥١٦] إن اللـه سـبحانه يريـك بعـض آثـار الطاعـة والعبـادة في هـذه الدنيـا لـيرى هـل أنـت عاشـقه أم لا. وهـل تنظـر بطمـع إلى هـذه المنافـع أم لا. ولهـذا السـبب يمنـح اللـهُ العرفـاءَ كرامـات وقـدرات خارقـة، فلـو التهـوا بهـذه الكرامـات، لسـقطوا مـن مقامهـم المعنـوي.

## صلى الله عليك يا أبا عبد الله

أقبـل أبـو الفضـل العبّـاس نحـو الشريعـة، فهـل كان يعلـم أنـه إذا استشـهد في مثـل هـذا الموقـف ينـال درجـة يغبطـه سـائر الشـهداء أم لا؟! مـن المؤكـد أنـه كان يعلـم. ولكـن العشـق هـو أن تعلـم كل هـذه الحقائـق ولكـن تغـض النظـر عنهـا. ولذلـك عنـد مـا وصـل العبّـاس إلى الشريعـة لم يكـن يفكّـر بـشيء إلّا بالحسـين وبأطفـال الحسـين(ع) غافـلا عـن كونـه قـد اقـترب مـن أعـلى درجـات الجنـان. يـا أبـا الفضـل العبّـاس أدركنـا في هـذه الليلـة وخـذ بأيدينـا بيديـك القطيعتـين. يـا أبـا الفضـل العبّـاس ويـا بـاب الحوائـج، هـذه الليلـة الأخـيرة مـن شـهر رمضـان، يأتيـك المصابـون بمختلـف الأمـراض المسـتعصية ويشـفون عنـد ضريحـك، فاشـفِ قلبـي سـيدي. إن لم يعـافَ بعـض المـرضى فلعـلّ ذلـك بمصلحتهـم، ولكـن هـل هنـاك مصلحـة في بقـاء أمـراضي الروحيـة بـلا عـلاج؟! لقـد انتهـت الليلـة الأخـيرة مـن شـهر رمضـان وأنـا لم أسـتفد مـن هـذا الشـهر وخرّبتـه. إن بعـض القرويّـين مـن العـرب لهـم عقيـدة عجيبـة بـأبي الفضـل العبـاس(ع). يقـول أحـد الـزوّار كنـت واقفـا إلى جنـب ضريـح العبـاس(ع) وإذا برجـل عـربيّ قـرويّ جـاء وألصـق رأس ابنـه بضريـح العبّـاس وبـدأ يتكلـم بـكلام لم أفهـم منـه شـيئا. ثـم يرجّـع رأس ابنـه ويسـأله عـن صحّتـه، فأجابـه ابنـه بالنفـي. فأعـاد عمليّتـه مـرّة أخـرى. فسـألت أحـد الخـدّام الذيـن يعرفـون الفارسـية فقلـت لـه مـاذا يفعـل هـذا الرجـل؟ فالتفـت إليـه واسـتمع إلى حديثـه فاسـتعبر وبـكى. فقـال: يقـول هـذا الرجـل للعبـاس، يـا عبّـاس رأس ولـدي يوجعـه ولا يطيـب، فعافِـه بسرعـة لأني أريـد أن أرجـع. فيسـأل ابنـه هـل طـاب رأسـك؟ فأجابـه ابنـه: لا بعـد. فيقـول لـه: اصـبر قليـلا فـالآن يشـفيك العبّـاس. هكـذا يعتقـد النـاس بـأبي الفضـل العبّـاس.




أحـد الأصدقـاء مـن أهـالي مشـهد، يقـول: كنـت في حـرم العبّـاس فرأيـت أحـد المـرضى قـد طـاب بفضـل أبي الفضـل العبّـاس. ولكنـي اسـتغربت عندمـا رأيـت أن الخـدّام لم يكترثـوا كثـيرا بهـذه الكرامـة وكأن لم يحـدث شيء عجيـب. فقلـت لهـم: لقـد شـفي هـذا المريـض! فلـو كان قـد شـفي في مشـهد لقامـت القيامـة! فأجابنـي أحدهـم قـال: لا تسـتغرب فهـذه الأحـداث عاديـة هنـا. هـذا هـو العبـاس. سـيدي يـا بـاب الحوائج! لقـد جئـت إليـك بقلـب مريـض فاشـفه وعافـه. أحـد الأطبّـاء المؤمنـين مـن أقربـاء العـارف آيـة اللـه العظمـى بهـاء الدينـي(ره)، ومـن المقرّبـين لـه قـال: أخـبروني بعـد أيّـام عاشـوراء أن صحّـة السـيد بهـاء الدينـي سـيئة. فجئـت إلى قـم لزيارتـه وفحصـه فرأيتـه شـاخصا إلى نقطـة ثابتـة مـن الجـدار ولا يتكلـم. فبـدأت أفحصـه ولكـن لم أر آثـارا مـن مـرض. فقلـت: إن السـيد قـد صـدم بقضيـة روحيّـة! ولكـن أيـن السـيد بهـاء الدينـي مـن الصدمـات الروحيـة؟! إذ كان جبـلا شـامخا لا يهتـزّ. كان يخـبر عـن الغيـب والمسـتقبل ويتحـدّث مـع أرواح المؤمنـين في عـالم الـبرزخ. فحاولـت أن أتمـازح مـع السـيد ولكـن لم تتغـير صحّتـه. إلى أن قلـت لـه سـيدنا: أنـت الـذي يجـب أن تسـاعدني لأعـرف السـبب مـن هـذه الحالـة. ثـم بـدأت أعطيـه أدويـة مهدئـة بمـدّة يومـين، فتحسّـنت صحّتـه. فقلـت لـه: إذن سـيدنا يجـب أن تحـكي لنـا قصتـك. ثـم مـرّت خمسـة عشر يومـا وتحسّـنت صحّتـه، حتـى بـدأ يتكلّـم ويضحـك. فقلـت لـه: قـل لي سـيدنا مـاذا حـدث بـك، فقـد سـمعت أن قـد تدهـورت صحتـك مـن يـوم تاسـوعاء؟ (يـوم التاسـع مـن المحـرم في إيـران هو يـوم العبـاس). فقال لي: أتـرك الموضوع، ولكنـي أخطأت وأصررت عـلى السـيد. فـما أن قـال لي قصّتـه تدهـورت حالتـه مـرّة أخـرى. مـا الـذي أثّـر في قلـب السـيد بهـاء الدينـي بهـذا القـدر؟ يقـول: قـال لي السـيد، أنـا قـد التفتـت لحظـة واحـدة إلى قلـب أبي الفضـل العبّـاس عندمـا يئـس مـن إيصـال قربتـه إلى المخيّـم. ثـم صـاح صيحـة وقـال: واويـلي عـلى يـأس العبّاس!



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢٩)

علي‌رضا بناهيان




الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ
المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فی مدينة طهران
الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢٩)

# الطرق العملية لجهاد النفس: «ترك الشهوات» و «الصبر على المكاره»/ بإمكان الإنسان أن يحلّق بجناحي «ترك الهوى» و «الصبر في البلاء»/ إن جهاد النفس عملية دائمية وهي مستمرّة إلى آخر عمر الإنسان

## مرور على ما سبق/ لقد تمّ تصميم حياة الإنسان وخلقته بحيث تفرض الدنيا علينا بعض المعاناة وكذلك قد انطوى وجودنا على بعض العناء

في هذه الجلسة والتي هي الجلسة الأخيرة من ليالي شهر رمضان، في البداية نستعرض موجز الأبحاث المطروحة في الجلسات السابقة، ثم ننتهي إلى ذكر عدد من الطرق العملية والقواعد التنفيذية لإدارة عملية جهاد النفس. لقد ذكرنا أن فلسفة خلق الإنسان هي: ١ـ أن يرشد ويتكامل عبر الشدّة والعناء. ٢ـ بغض النظر عن فلسفة خلق الإنسان والهدف منه، تركيبة وجود الإنسان تفرض عليه العناء، إذ قد انطوى وجود الإنسان على عدّة رغبات متعارضة، ولذلك فلا سبيل للإنسان لتلبية جميع رغباته. ٣ـ لقد جعلت حياة الإنسان في بيئة متزاحمة مع كثير من أهواء الإنسان، ولذلك فمن المحال أن لا تواجهوا طيلة حياتكم بعض الأشخاص الذين لم يسيئوا إليكم لسوء تفاهم. لقد تمّ تصميم حياة الإنسان وخلقته بحيث تفرض الدنيا علينا بعض المعاناة وكذلك قد انطوى وجودنا على بعض العناء. فسواء علينا أسلكنا طريق الهدى صوب الله أم لا، فلابدّ من المعاناة (**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فی كَبَد**) [بلد/٤]

## إن كان لابدّ من تحمّل العناء في الدنيا، فلابدّ من إدارة المعاناة/ لابدّ أن ندير المعاناة وفقا لبرنامج في جهاد النفس

بعد أن عرفنا أن لابدّ من المعاناة في الحياة الدنيا، ننتهي إلى هذه النتيجة وهي أنه يجب إدارة هذا العسر والعناء، في سبيل أن: ١ـ نقلّل من هذه المعاناة بقدر المستطاع ٢ـ نحظى بأفضل نفع من مقاساة هذه المشقّة ٣ـ نحقّق الهدف المنشود من هذه المعاناة ولا نكون مصداقا لقوله: (**خَسِرَ الدُّنْيا وَ الْآخِرَه**) [**الحج/١١**] يعني أن لا نكون بحيث نتحمّل كل هذا العناء ثم لا نكسب أي شيء ولا يكون لنا في الآخرة من خلاق. لذلك لابدّ أن نتجهّز ببرنامج لإدارة المعاناة وفقا لبرنامج في جهاد النفس.

إن برنامـج جهـاد النفـس وإدارة المعانـاة والصعوبـات لهـو الطريـق الوحيـد في حيـاة الإنسـان. وهـو يشـمل جميـع مراحـل حيـاة الإنسـان مـن بدايتـه إلى نهايتـه. أمـا باقـي المفاهيـم والوصايـا والبرامـج فهـي إمـا مقدّمتـه أو أجـزاؤه أو نتيجتـه. الإيمـان يشـحننا عزمـا عـلى جهـاد النفـس. وأمـا هـدف جهـاد النفـس فكسـب الصـلاح ورشـد المواهـب وتعـادل الـروح وكثير مـن الفوائـد الدنيويـة والأخرويـة والمادية والمعنويـة، أمـا الهـدف الأرقـى والأسـمى مـن جهـاد النفـس فهـو «الاسـتعداد والتأهّـل للقـاء اللـه».

## إن أدرنا عملية جهاد النفس وفقا لرغبتنا وتشخيصنا، فإننا في الواقع قد اتبعنا هوى نفسنا/ لا يتحقّق جهاد النفس بلا أوامر

بعـد مـا عرفنـا ضرورة إدارة هـذه المعانـاة، وعرفنـا أن جهـاد النفـس هـو في الواقـع حقيقـة مهمّتنـا لإدارة المعانـاة في الدنيـا، فهنـا إذا أردنـا أن نديـر عمليـة جهـاد النفـس وفقـا لرغبتنـا وتشـخيصنا، فقـد رجعنـا في ورطـة اتبـاع الهـوى. إذ قمنـا بجهـاد نفسـنا بأمـر مـن نفسـنا وهـذا نقـض للغـرض، فـلا ترتفـع أنانيـة النفـس وكبريائهـا عـبر هـذا الأسـلوب. ليـس مـن شـأن أيّ معانـاة وأيّ جهـاد للنفـس أن يطهّـر الإنسـان ويزيـل عنـه لـوث الكـبر. فإننـا إن جاهدنـا أنفسـنا وفقـا لرغبتنـا، فسـوف تكـبر نفسـنا وتسـمن. وهـذا يعنـي إذا أردنـا أن نجاهـد أنفسـنا فلابـدّ أن يأمرنـا شـخص آخـر وإلا فيصبـح جهادنـا بـلا فائـدة. ولذلـك تفضّـل علينـا اللـه وأمرنـا عـن طريـق أنبيائـه. لمـاذا نقـول أن اللـه تفضّـل علينـا في إصـدار أوامـره؟ لأن كثـيرا مـن الأعـمال الصالحـة التـي أمرنـا اللـه بهـا، هـي مـن الأعـمال التـي كان بإمكاننـا أن نشـخصها ونـدرك حسـنها حتـى ولـو لم يأمرنـا اللـه بهـا، مثـل التصـدق عـلى الفقـير، ولكـن اللـه قـد تفضّـل علينـا وأمرنـا بذلـك لـكي لا تكـبر أنانيّتنـا، إذ لـو كانـت نفسـنا هـي المحـور في تشـخيص الصحيـح عـن الخطـأ وكانـت هـي صاحبـة الـرأي في تربيتنـا، لملئـت كـبرا وطغيانـا.

## نحن نودّ أن نتعاظم ونزداد قدرا، ولكن لا سبيل إلى تلبية هذه الرغبة إلا بـ «الاتصال بالعظيم»/ طريق الاتصال إلى الله هو التواضع والعبودية

هنا انتهينا إلى مفهوم العبودية الرائع. فيدخل هذا المفهوم في موضوع إدارة جهاد النفس. إذا أردنا أن نتصل بالله العظيم والمتكبّر فلابدّ لنا أن نتواضع أمام كبريائه. نحن نودّ أن نتعاظم ونزداد قدرا، ولكن لا سبيل إلى تلبية هذه الرغبة إلا بـ «الاتصال بالعظيم». مثل الإمام الخميني(ره) الذي بلغ العزّ والعظمة عبر التواضع والتذلل إلى الله، وإلا فإن أردنا أن نلبّي هذه الرغبة عن طريق آخر، سينتهي حالنا إلى الكبر ونصبح متكبّرين بحيث نحرم استشمام ريح الجنة؛ **«مَن ماتَ و في قَلبِهِ مِثقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبرٍ لم يَجِدْ رائحَةَ الجَنَّةِ» [أمالي الشيخ الطوسي/ص٥٣٧]**

## تزهق أنانيتنا عبر اتباع وليّ الله/ الولاية هي المفهوم الثاني في مسار عملية جهاد النفس/ التقوى هي برنامج لجهاد النفس

بعد ما أقرنا بضرورة أمر الله في عملية إدارة جهاد النفس، هنا يتبلور مفهوم رئيس ومبارك باسم «الولاية». لأن الله لا يصدر جميع أوامره بشكل مباشر، بل من أجل أن تذلّ نفسنا واقعا، يصدر بعض الأوامر وليّ الله. فهنا تزهق أنانيّتنا باتباع ولي الله. لأن من طبيعة الإنسان أن يصعب عليه إطاعة بشر مثله، إلّا أن الله قد سهّل علينا إطاعة وليّه إذ قد اختار أفضل خلقه وأحسنهم وأفضلهم وأجملهم وليّا له. إذن المفهوم الأول الذي نواجهه في مسار إدارة جهاد النفس هو «العبودية»، والمفهوم الثاني هو «الولاية». ثم يأتي دور البرنامج في جهاد النفس والذي يتمثّل في أوامر الله ونواهيه والذي يسمّى بـ «التقوى».

## الطرق العملية لجهاد النفس/ يرتكز جهاد النفس على ركنين: ١.ترك الشهوات ٢.الصبر على المكاره

وأما في تكملة البحث، نقف عند الطرق العملية لجهاد النفس ونعرّف عددا من القواعد التنفيذية لإدارة هوى النفس. يرتكز جهاد النفس على ركنين، ولابدّ من مراعاتهما معا: الأول: ترك الشهوات والثاني: الصبر على المكاره.

قال الإمام الصادق(ع) لأحد أصحابه: «بِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَا تُصِيبُونَ مَا تُرِيدُونَ إِلَّا بِتَرْكِ مَا تَشْتَهُونَ وَ لَا تَنَالُونَ مَا تَأْمُلُونَ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ» [تحف العقول/ص٣٠٥ و أمالي المفيد/٢٠٨]

## ترى بعض الناس مستعدّين لترك الذنب والشهوات، ولكنهم غير مستعدّين للصبر على البلاء والمصائب/ بإمكان الإنسان أن يحلّق بجناحي «ترك الهوى» و «الصبر في البلاء»

ترى بعض المتدينين مستعدّين لترك الذنب والشهوات، ولكنهم غير مستعدّين للصبر على البلاء والمصائب. ومن جانب آخر ترى بعض الناس مستعدّين للصبر على البلاء ولكنهم غير مستعدّين لترك المعاصي. في حين أنه لابدّ من حفظ هذين الركنين معاً لكي يُنتِجا. إذ بإمكان الإنسان أن يحلّق بجناحين؛ أحدهما هي أن يترك الهوى والهوس ويكفّ عن الذنوب والأخرى هي أن يصبر على البلاء إذا نزل به. سئل الحاج دولابي(ره) أن يعطي وصفة للسير والسلوك إلى الله، فقال: لا حاجة إلى وصفة «فاذهبوا وارضوا» بما قدّر الله لكم! إذ قلّما تجد راضيا بين الناس. نفس هذه الأعمال الصالحة التي نقوم بها وما نمارسه من مراقبة في ترك الذنوب، إن دمجناها بالرضا، فسوف تعيننا على الإقلاع والتحليق بهذين الجناحين. الصبر على المكاره جهاد للنفس في حدّ ذاته. مجرّد رضا الإنسان وعدم شكواه مع نفسه من المصائب والمكاره، يحسب جهادا للنفس. فقد يبتلى الإنسان ببعض المشاكل ولكن يحافظ على بسمته في داخله ومع ربّه، فهذا جهاد للنفس أيضا وممّا يكسب رضا الرحمن. لأن الله يعلم جيّدا مدى معاناة عبده في هذه المشكلة، ولكنه يراه راضيا عنه وشاكرا له. لقد كان الإمام الحسين(ع) في يوم عاشوراء محافظا على رضاه عن الله، ففي إحدى هذه المواقف العظيمة جدّا على قلبه، في تلك اللحظة الذي ذبح فيها طفله الرضيع في يده، رمى بدم عبدالله الرضيع إلى السماء وقال: «هونٌ عَلَيَّ مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بِعَيْنِ اللَّه» [اللهوف/ص١١٧] فقد جسّد الإمام أحد أعظم مصاديق قوله تعالى: **(ارْجِعي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّة) [الفجر/٢٨].**

## يجب أن يكون جهاد النفس دأب الإنسان يوميّا وفي كلّ حال

قال أمير المؤمنين(ع): «وَ مَنْ أَرَادَ إِصْلَاحَ حَالِهِ وَ سَلَامَةَ نَفْسِهِ فَلْيَجْعَلْ دَأْبَهُ مُجَاهَدَةَ النَّفْسِ عِنْدَ كُلِّ حَالٍ» [إرشاد القلوب/ج١/ص٩٨] يجب أن يصبح جهاد النفس دأب الإنسان يوميا وفي كلّ حال، بحيث لا يغفل عن هذا الأمر لحظة واحدة.

## إن جهاد النفس عملية مستمرّة وهي باقية إلى آخر العمر

سئل الإمام الصادق(ع): «**أَيْنَ طَرِيقُ الرَّاحَةِ؟ فَقَالَ ع: فِي خِلَافِ الْهَوَى. قِيلَ: فَمَتَى يَجِدُ عَبْدٌ الرَّاحَةَ؟ فَقَالَ ع عِنْدَ أَوَّلِ يَوْمٍ يَصِيرُ فِي الْجَنَّة**» [**تحف العقول/ص٣٧٠**] وهذا يعني أن جهاد النفس عملية مستمرّة وهي باقية إلى آخر العمر. يعني مادام الإنسان يعيش في هذه الدنيا فيجب أن يخالف هواه دائما، ولا فرق بين أن يكون في المراحل الابتدائية أو في المراتب العالية. فحتى العرفاء ورجالنا العظام كانوا يجاهدون أنفسهم إلى آخر عمرهم، طبعا كلّ بحسبه وبمقتضى درجته ومستواه.

## حديث قدسي: إِذَا عَلِمْت أَنَّ الْغَالِبَ عَلَى عَبْدِيَ الِاشْتِغَالُ بِي نَقَلْتُ شَهْوَتَهُ فِي مَسْأَلَتِي وَ مُنَاجَاتِي/ إن ذكر الله ومناجاته من اللذة والحلاوة بمكان بحيث يملأ فراغ لذة الشهوات

قال النبي(ص): «قَالَ اللهُ تَبَارَك وَتَعالَى إِذَا عَلِمْت أَنَّ الْغَالِبَ عَلَى عَبْدِيَ الِاشْتِغَالُ بِي نَقَلْتُ شَهْوَتَهُ فِي مَسْأَلَتِي وَ مُنَاجَاتِي فَإِذَا كَانَ عَبْدِي كَذَلِكَ فَأَرَادَ أَنْ يَسْهُوَ حُلْتُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ أَنْ يَسْهُوَ أُولَئِكَ أَوْلِيَائِي حَقّاً أُولَئِكَ الْأَبْطَالُ حَقّاً أُولَئِكَ الَّذِينَ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أُهْلِكَ الْأَرْضَ عُقُوبَةً زَوَيْتُهَا عَنْهُمْ مِنْ أَجْلِ أُولَئِكَ الْأَبْطَال» [عدة الداعي/ص٢٥٠] إن سعيتم قليلا وانشغلتم بعملية جهاد النفس وجعلتم ذلك همّا لكم، سوف ترون حسن تعامل الله معكم ومدى لطفه بكم. فلنسأل الله أن يجعلنا من الذين غفلوا عن شهواتهم وانشغلوا بذكره. إن ذكر الله ومناجاته من اللذة والحلاوة بمكان بحيث يملأ فراغ لذة الشهوات.

سأل أحد الأشخاص رسول الله(ص): «فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِ فَقَالَ ع مَعْرِفَةُ النَّفْسِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى مُوَافَقَةِ الْحَقِّ قَالَ مُخَالَفَةُ النَّفْسِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى رِضَاءِ الْحَقِّ قَالَ سَخَطُ النَّفْسِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى وَصْلِ الْحَقِّ قَالَ هَجْرُ النَّفْسِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى طَاعَةِ الْحَقِّ قَالَ عِصْيَانُ النَّفْسِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى ذِكْرِ الْحَقِّ قَالَ نِسْيَانُ النَّفْسِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى قُرْبِ الْحَقِّ قَالَ التَّبَاعُدُ عَنِ النَّفْسِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى أُنْسِ الْحَقِّ قَالَ الْوَحْشَةُ مِنَ النَّفْسِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى ذَلِكَ قَالَ الِاسْتِعَانَةُ بِالْحَقِّ عَلَى النَّفْس» [عوالي اللئالي/ج١/ص٢٤٦]

دعاؤنا في آخر شهر رمضان هو أن نقول: اللهم انصرنا على أنفسنا وأعنا في مخالفة هوى نفسنا.



# الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ۳۰)

عليرضا بناهيان




**الزمان: شهر رمضان المبارك عام ۱۴۳۴هـ**
**المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) فی مدينة طهران**
**الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ۳۰)**

## يجب أن نتجهّز ببرنامج تعليمي لطرق جهاد النفس/ كان لقمان يتعلّم «علم جهاد النفس»/ الخطوة الأولى: هي أن نعتبر النفس أعدى عدوّنا

استمرّت جلسات هيئة محبي أمير المؤمنين(ع) الأسبوعية بعد شهر رمضان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» تكملة لما طرحه في شهر رمضان. فإليكم أهم المقاطع من كلمته:

### لماذا آتى الله لقمان الحكمة؟/الإمام الصادق(ع): يَتَعَلَّمُ مَا يَغْلِبُ بِهِ نَفْسَهُ وَيُجَاهِدُ بِهِ هَوَاه

عرفنا في الجلسات الماضية أن «جهاد النفس» هو الطريق الوحيد لتعالي الإنسان وتحسين مستوى العبودية والحياة، كما هو الطريق الوحيد لنيل مقام القرب إلى الله في آخر المطاف. بطبيعة الحال وبعد القبول بهذا الأصل لابدّ لنا أن نلتفت إلى الأساليب والطرق العملية لذلك. في هذا الطريق علينا في بادئ الأمر أن نبحث عن «علم جهاد النفس» ونكثّر معلوماتنا في هذا المجال. فإن التحصيل على هذا العلم أمر ثمين جدّا. إن هذا العلم هو مجموعة من المعلومات التي تحدّد لنا ضمن بيان بعض الأسس والقواعد طرق جهاد النفس والمنعطفات الموجودة في أثناء هذا الطريق.
سئل الإمام الصادق(ع) عَنْ لُقْمَانَ وَ حِكْمَتِهِ الَّتِی ذَکَرَهَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، فَقَالَ: «أَمَا وَ اللَّهِ مَا أُوتِیَ لُقْمَانُ الْحِکْمَةَ بِحَسَبٍ وَ لَا مَالٍ وَ لَا أَهْلٍ وَ لَا بَسْطٍ فِی جِسْمٍ وَ لَا جَمَالٍ وَ لَکِنَّهُ کَانَ رَجُلًا قَوِيّاً فِی أَمْرِ اللَّهِ مُتَوَرِّعاً فِی اللَّه ... وَ يَعْتَبِرُ وَ يَتَعَلَّمُ مَا يَغْلِبُ بِهِ نَفْسَهُ وَ يُجَاهِدُ بِهِ هَوَاه وَ يَحْتَرِزُ بِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَکَانَ يُدَاوِی قَلْبَهُ بِالْفِکْرِ وَ يُدَاوِی نَفْسَهُ بِالْعِبَرِ- وَ کَانَ لَا يَظْعَنُ إِلَّا فِيمَا يَنْفَعُهُ- فَبِذَلِکَ أُوتِیَ الْحِکْمَةَ وَ مُنِحَ الْعِصْمَةَ» [تفسير القمي/ج٢/ص١٦٢]

## يجب أن نتجهّز ببرنامج تعليمي لطرق جهاد النفس

في سبيل أن نلمّ بمباني جهاد النفس وطرقه لابدّ أن نحصل على علم الجهاد ونتجهّز ببرنامج تعليمي. علينا أن نهدف إلى تعلّم علم جهاد النفس. طبعا قد يسمّى هذا العلم «علم الأخلاق» أو «علم التربية» أو بتعبير أحرى «علم تهذيب النفس»، ولكن هذا العلم في الواقع وبتعبير أمير المؤمنين(ع) هو «معرفة نظام الدين»: «**نِظَامُ الدِّينِ مُخَالَفَةُ الهوى**» [**غرر الحكم/٦٤٢٧**] قال الإمام الصادق(ع) في حديثه عن لقمان: «**فَكَانَ يُدَاوِي قَلْبَهُ بِالْفِكْرِ وَ يُدَاوِي نَفْسَهُ بِالْعِبَرِ**» يعني يمكن كشف مسائل هذا العلم عن طريق الفكر والاعتبار والاستفادة من التجارب وأما الدين فدليل في هذا الطريق. فمقتضى هذا الحديث هو أنه من شأن بعض العلوم التجريبية أن تواكب الدين وتعين الإنسان في طريق جهاد النفس. إذ لا فرق بين الاعتبار وأخذ العبر الذي كثر التأكيد عليه في الروايات وبين التجربة. العبرة هي حسن الاستفادة من التجارب والعلوم التجريبية هي مدوّنات منظمة لجميع التجارب التي حصل عليها الإنسان على مرّ الدهور والأعصار في مختلف المواضيع والفروع. يستطيع الدين أن يرشد العلوم التجريبية، ومن جانب آخر تنتهي العلوم التجريبية في مسار تطوّرها إلى ما قاله الدين.

## إن جهاد النفس يمنح الإنسان الحكمة

وقال الإمام الصادق(ع) في حديثه عن لقمان: «**وَ كَانَ لَا يَظْعَنُ إِلَّا فِيمَا يَنْفَعُهُ- فَبِذَلِكَ أُوتِيَ الْحِكْمَةَ وَ مُنِحَ الْعِصْمَةَ**» [المصدر نفسه] يدل هذا الحديث على أن اتباع الهوى بضرر الإنسان ومصلحته في مخالفة الهوى ولذلك على أثر تحصيله على علم جهاد النفس وممارسته في هذا الجهاد، أوتي الحكمة والعصمة. فكّروا لماذا جهاد النفس يجلب الحكمة للإنسان، ويمكّنه من إنتاج العلم ويقصّر ويسهّل عليه الطريق الطويل لمعرفة أعقد قواعد العالم؟ ولماذا يرفع مقام الإنسان إلى درجة العصمة الاكتسابية؟

## لقد تفضّل الله على لقمان بمنحه العصمة لأنه كان مجدّا في جهاد النفس

بناء على حديث الإمام الصادق(ع) لقد أعطى الله سبحانه لقمان الحكمة. عندما يجري الحديث عن عصمة بعض الأولياء من غير الأئمة المعصومين(ع) تجد بعض الناس ينزعجون، مع أنه قد ذكرت العصمة الاكتسابية الحاصلة من التقوى وجهاد النفس والإخلاص مرارا في الروايات. فعلى سبيل المثال قال الإمام الباقر(ع): «**إِذَا عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى حُسْنَ نِيَّةٍ مِنْ أَحَدٍ اكْتَنَفَهُ بِالْعِصْمَةِ**» [**أعلام الدين/ص٣٠١**] وهذه هي العصمة الاكتسابية. وقد تفضّل الله على لقمان بمنحه العصمة لأنه كان مجدّا في جهاد النفس. قال آية الله بهجت(ره): «إن شرط النبوّة والوصاية العصمة، أما أن العصمة منحصرة في النبي والوصي، فهذا ما لا دليل عليه. فعلى سبيل المثال نحتمل في زيد بن علي بن الحسين(ع) العصمة، وأنا عندي ظن يقارب اليقين بأنه كان معصوما عن الخطيئة لا الخطأ... وكذلك أبوالفضل العباس وعلي بن الحسين الذي استشهد في كربلاء وبعض أصحاب سيد الشهداء، فليس هناك احتمال في عصمتهم وحسب بل قد أحرزت عصمتهم. وكذلك هل يمكن أن لا نعتبر المقداد وسلمان معصومين؟ وكذلك كان في عصرنا من ادعى أن لم يرتكب معصية عن علم وعمد». [گوهرهای حکیمانه (فارسی)/ ٥٨]

## ما هي الخطوة الأولى التي يجب أن نخطوها في طريق «جهاد النفس»؟/ لا يمكن أن نحدّد الخطوة الأولى بسهولة لأن الإنسان ذو أبعاد

بعد أن عرفنا وخضعنا لهذه الحقيقة وهي أن طريقنا الوحيد هو جهاد النفس وبعد ما اكتشفنا أهميته وضرورته، يتبادر إلى الذهن هذا السؤال وهو: ما هي الخطوة الأولى التي يجب أن نخطوها في طريق «جهاد النفس»؟ لا يمكن أن نحدّد هذه الخطوة الأولى ببساطة لأن الإنسان ذو أبعاد مختلفة وكلّما تحدّثنا عن الخطوة الأولى، يطرح هذا السؤال نفسه: الخطوة الأولى في أي بعد من الأبعاد الوجودية في الإنسان؟ فعلى سبيل المثال إذا كان للإنسان علاقات مع جهات مختلفة فلابدّ أن تكون علاقته الأهم، علاقته مع الله، وعليه فلعلّنا نستطيع أن نقول: إن الخطوة الأولى هي إصلاح الصلاة، وأما بالنسبة إلى علاقته مع الآخرين، فالخطوة الأولى عدم الظلم. وأما في الجانب السلوكي أيضا فليس من السهل تحديد الخطوة الأولى أهي غضّ العين أم مراقبة السمع أم مراقبة اللسان.

وبالإضافة إلى البعد العملي والسلوكي والعلاقات المختلفة، ينطوي الإنسان على أبعاد وجودية أخرى. فبالإضافة إلى نشاطه على مستوى «العمل والسلوك» يمارس بعض النشاطات على مستوى «الفكر والتعقّل» أو على مستوى «المشاعر والرغبات». فهنا أيضا يتبادر إلى الذهن سؤال، وهو: هل يجب أن تكون الخطوة الأولى على مستوى السلوك، أم على مستوى النزعات والمشاعر؟ هنا أيضا لا يمكن تحديد البعد المقدّم بسهولة ولا نستطيع أن نرجّح جانبا على الآخر ببساطة. طبعا من إحدى الجوانب قد يقال: ينبغي أن تخصّص الخطوة الأولى بنزعات الإنسان ورغباته. إذ أنها لحقيقة واضحة وهي أنه ما لم يرغب الإنسان في فهم قضية أو إنجاز فعل ما، لا يعزم عليه. أمّا الأمر الذي يعقّد القضيّة هي أن الله لم يخلق الإنسان خاليا من الرغائب والنزعات، فقد أودع في فطرة الإنسان مجموعة من النزعات منذ البداية. ولذلك ففي كثير من الأحيان لم تكن الخطوة الأولى على مستوى النزعات. إذ ينطوي الإنسان على مجموعة من النزعات الحسنة الإيجابية منذ خلقه فلا يحتاج إلى تحصيلها.

## الخطوة الأولى في مسار «جهاد النفس» بعد العلم، هي اعتبار النفس أعدى الأعداء/ يجب أن يكون لنا انطباع سلبي جدّا عن النفس

بالرغم من كل تعاقيد روح الإنسان التي سببت في صعوبة تشخيص الخطوة الأولى، بإمكاننا أن نسلّط الأضواء على أمر كخطوة أولى في هذا المسار. وهي أن يسعى الإنسان في مسار جهاده ضدّ هوى نفسه، أن يجعل رؤيته تجاه النفس كنظرته إلى أعدى أعدائه. يعني ينبغي للإنسان أن يعتبر «نفسه» و «أنانيته» عنصرا سيئا جدّا ويعتبرها عدوّة لدودة. لا يكفي العلم بهذه الحقيقة، بل يجب أن نحظى برؤية ثابتة وعميقة تجاه النفس، وهذا ما يحتاج إلى دقّة وصرف الوقت الكثير في طريق جهاد النفس.

## كثير من الناس لا يرى نفسه الأمارة عنصرا سيئا وخطرا، وحتى تراه قد صادَقَ نفسه!

كثير من الناس غير مقتنع بأن نفسه الأمارة عنصرا سيئا، ولا يشعر منها بخطر وحتى تراه قد صادَقَ نفسه! في حين يجب أن يعترينا هذا الشعور بحيث نرى نفسنا عدوّة لنا ونحظى بهذه الرؤية وهي أن نزعاتنا النفسانية والدانية سيئة وخبيثة جدّا، فإن لم نعتبرها عدوّا ولم نجاهدها، نتحوّل إلى أشخاص مدلّلين وعديمي المنطق وخطرين.

## النبي الأكرم(ص): أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ/ في سبيل أن نجاهد نفسنا يجب أولا أن نعتبرها عدوّا

قال النبي الأعظم(ص): «أعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِی بَيْنَ جَنْبَيْك»(مجموعة ورّام/ج١/ص٥٩) فلابدّ أن نصدّق بأن نفسنا الأمارة عدوّ عزم على إذلالنا وإهلاكنا. فلا يجب أن لا نتخذ هذه النفس الخطرة ربّا وحسب، بل ينبغي أن لا نصادقها بل ولا نغفل عنها أبدا. إذ أن إهمال هذا العدو الخطر والقاسي والغفلة عنه يجرّ الويلات إلى الإنسان. إذن فمن أجل النجاح في عملية جهاد النفس، يجب أولا أن نعتبر النفس خصمنا وعدوّنا لنصرعها وإلا فهي التي سوف تصرعنا. يجب أن نغيّر مشاعرنا تجاه نفسنا، ولابدّ أن نعتبرها عدوّا لا ينفك عن محاولة إلحاق الضرر بنا وإذلالنا طرفة عين. فلا ينبغي أن نعيش أفكارا رغائبية ليوقعنا الشعور بالأمن الكاذب في فخّ عداواته الكامنة.

## الإمام الكاظم(ع): جاهد نفسك... فإنه واجب عليك كجهاد عدوّك/ ليت الإذاعة والتلفزيون يعرضون لنا الجرائم التي ترتكب في المنطقة ليعرف الناس ما معنى العدوّ؟

قال الإمام الكاظم(ع) لأحد أصحابه: «**جَاهِدْ نَفْسَكَ لِتَرُدَّهَا عَنْ هَوَاهَا فَإِنَّهُ وَاجِبٌ عَلَيْكَ كَجِهَادِ عَدُوِّكَ**» [**تحف العقول/ص٣٩٩**] في خضمّ حروب المنطقة هذه، ليت الإذاعة والتلفزيون تقتنع باتخاذ هذه الاستراتيجية وهي أن تعكس جرائم العدوّ أكثر للناس ليعرف الناس ما معنى العدوّ؟ فعلى سبيل المثال تطيل الوقوف عند مئات الأبرياء الذين ذبحوا أو أطلقت عليهم الرصاص واحدا واحدا على يد داعش، ليرى الناس ما يجري في العالم ويدركوا مفهوم «العدوّ».

## ليس مستوانا في معرفة العدو والتصديق بوجود العدو جيّدا/ يسعى إبليس لإغفالنا عن العدو/ لا يغفل عاقل عن عدوّه اللدود والمدجّج بالسلاح/ مقطع فيلم يجب أن نراه مرّة واحدة ونطيل التفكير فيه مرارا

ليس مستوانا في معرفة العدوّ والتصديق بوجود العدوّ جيّدا، وإنها لمفاهيم غريبة في أدبياتنا. ومن جانب آخر يسعى إبليس لاستخفاف عقولنا وإغفالنا عن العدوّ. اليوم ومع تواجد العدوّ بقضّه وقضيضه لماذا لا نلتفت إليه ونتغافل عن وجوده؟ لا يغفل عاقل عن عدوّه اللدود والمدجّج بالسلاح. ولا يشعر إنسان عاقل بالأمن إلى جانب عدوّه القاسي. يجب أن نرى مرة واحدة المقطع الذي يذبح فيه قسّ مسيحي، ثم نطيل التفكير فيه مرارا. لابدّ أن نرى وجه ذاك الرجل الذي يذبح القسّ بكل برود، لنصدّق برذالة العدوّ وخبثه. فما تفعلون بهذا العدوّ إن سقط في أيديكم؟! أفلا تبطشون به؟! والحال أن النبي(ص) قد اعتبر النفس الأمارة أعدى من ذلك العدو. لابدّ أن يترسخ هذا المعنى وهو أن نفسنا الأمارة عدوّة لنا، فيجب أن نهاجمها ونقمعها كما نهاجم العدو.

## إذا عرفنا أن أعدى عدوّنا هي نفسنا، تهون عندنا عداوات المؤمنين لنا

قال أمير المؤمنين(ع) في وصيته: «**اللَّهَ اللَّهَ فِي الْجِهَادِ لِلْأَنْفُسِ؛ فَهِيَ أَعْدَى الْعَدُوِّ لَكُم**» [**دعائم الإسلام/٢/٣٥٢**]. فإذا عرفنا أن أعدى عدوّنا نفسنا، تهون عندنا عداوات المؤمنين المختصرة لنا. طبعا حساب الكفار والمنافقين المعاندين للإسلام والمسلمين يختلف عن عداوات المؤمنين الشخصية أو الناتجة من سوء التفاهم، فلابدّ من معاداة الكفار والمنافقين.

## أمير المؤمنين(ع): وإنَّ أَوَّلَ المعاصِي تَصدِيقُ النَّفسِ، والرُّكُونُ إلى الهَوَى

ثم قال أمير المؤمنين(ع) في تكملة وصيته: «**وإنَّ أَوَّلَ المعاصِي تَصدِيقُ النَّفسِ، والرُّكُونُ إلى الهَوَى**» [**دعائم الإسلام/٢/٣٥٢**] فشرط الأمان من هذه المعصية الأولى هي أن نكذب النفس ولا ننسجم معها.

## بالإضافة إلى معاداة النفس يجب أن نلتفت إلى قبحها/إن نفس الإنسان موجود خبيث قذر وقح وطاغ

إذن الخطوة الأولى هي تكذيب النفس ومعاداتها. ولكن بالإضافة إلى معاداة النفس يجب أن نلتفت إلى قبحها. إنها لموجود خبيث قذر وقح وطاغ. طبعا لا يخفى أنه عندما نقول النفس السيئة، نقصد الجانب الحقير من النفس الذي يميل إلى الدنيا، أما روح الإنسان ففيها أبعاد جميلة جدا تعكس جمال الله سبحانه. لقد قال الله المتعال في حديثه المعراج مخاطبا حبيبه الرسول الأعظم(ص): «**يَا أَحْمَدُ لَا تَتَزَيَّنْ بِلِينِ اللِّبَاسِ وَ طِيبِ الطَّعَامِ وَ لَينِ الْوَطَاءِ فَإِنَّ النَّفْسَ مَأْوَى كُلِّ شَرٍّ وَ هِيَ رَفِيقُ كُلِّ سُوءٍ، تَجُرُّهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَ تَجُرُّكَ إِلَى مَعْصِيَتِهِ وَ تُخَالِفُكَ فِي طَاعَتِهِ وَ تُطِيعُكَ فِيمَا تَكْرَهُ وَ تَطْغَى إِذَا شَبِعَتْ وَ تَشْكُو إِذَا جَاعَتْ وَ تَغْضَبُ إِذَا افْتَقَرَتْ وَ تَتَكَبَّرُ إِذَا اسْتَغْنَتْ**» **ثم يقول في تكملة هذا الحديث**: «**مَثَلُ النَّفْسِ كَمَثَلِ النَّعَامَةِ؛ تَأْكُلُ الْكَثِيرَ وَ إِذَا حُمِلَ عَلَيْهَا لَا تَطِيرُ وَ مَثَلُ الدِّفْلَى لَوْنُهُ حَسَنٌ وَ طَعْمُهُ مُرٌّ**» **[الجواهر السنية في الأحاديث القدسية/ص٣٨٣]** «**أُتِيَ أميرُ المُؤمِنينَ عليه السلام بِخِوانِ فالوذَجٍ، فوُضِعَ بَينَ يَدَيهِ فنَظَرَ إلى صَفائهِ و حُسنِهِ، فوَجَئَ بإصبَعِهِ فيهِ حَتّى بَلَغَ أسفَلَهُ، ثُمَّ سَلَّها ولَم يَأخُذْ مِنهُ شَيئا، و تَلَمَّظَ إصبَعَهُ وقالَ: إنَّ الحَلالَ طَيِّبٌ و ما هُوَ بِحَرامٍ، و لكنّي أكرَهُ أن اُعَوِّدَ نَفسي ما لَم اُعَوِّدْها، اِرفَعوهُ عَنّي، فرَفَعوهُ**» **[المحاسن/٢/٤٠٩]** عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ(ع): «**إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ع أُتِيَ بِخَبِيصٍ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَهُ فَقَالُوا لَهُ أَ تُحَرِّمُهُ قَالَ لَا وَ لَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تَتُوقَ إِلَيْهِ نَفْسِي فَأَطْلُبَهُ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: (أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا وَ اسْتَمْتَعْتُمْ بِها)**» **[أمالي المفيد/١٣٤]** وقد ذكر ما يشابه هذه الحكاية عن رسول الله(ص) أيضا [راجع المحاسن/ج٢/ص٤٠٩] في الواقع قد امتنع أمير المؤمنين(ع) عن هذا الطعام لأنه كان لذيذا جدّا، فعلّل امتناعه عن الأكل بأني إذا لبيت رغبة نفسي الآن، ستطغى نفسي وتتمادى في مطالباتها وتذرعاتها فتخرج عن سيطرتي ولم أعد أقوى عليها.

## لابدّ من ذبح النفس والوقوف أمام مطالباتها من بادئ الأمر

لابـدّ أن نتمـرّد عـلى النفـس ونمتنـع عـن تلبيـة رغباتها من بـادئ الأمـر، وإلا فتصبح نفسـا مدلّلـة طاغية، ثـم تـزداد مطالباتهـا وتذرعاتهـا إلا أن تخـرج عـن سـيطرتنا ونعجـز عـن كبحهـا، خاصـة وإن مطالباتهـا لا تنتهـي ولـن تتوقـف إلا بعـد أن تشـقي الإنسـان. إذن فالعاقـل هـو مـن وقـف في وجـه نفسـه منـذ البدايـة وتنبـأ مـن الأوّل نهايـة الطريـق الـذي تـؤدي بـه أهـواء النفـس. لابـدّ أن نقمـع النفـس مـن البدايـة ولا ندلّلهـا أو نسـمح لهـا بالوقاحـة وإلا فـإن وقحـت أو قويـت فسـنعجز عـن صرعهـا. النفـس الوقحـة تغضـب بسرعـة، وتغفـر بتأخـر، كثـيرة الحقـد وسريعـة الانزعـاج، لا تلتـذّ بسـهولة، وسرعـان مـا تشـكو وكذلـك تتصـف بـآلاف الخصـال السـيئة التـي تشـقي الإنسـان.

## لماذا نركّز في دروسنا وأبحاثنا المعنوية والأخلاقية على المواضيع الفرعية؟!

لمـاذا نركّـز في دروسـنا وأبحاثنـا المعنويـة والأخلاقيـة دائمـا عـلى المواضيـع الفرعيـة؟ فعـلى سـبيل المثـال لمـاذا نطـرح موضـوع الشـكر في بـادئ ذي بـدء، فيعجـب جميـع الحاضريـن بالموضـوع دون أن يصبـح أحدهـم شـاكرا؟! ثـم يقولـون: «مـا أجمـل الشـكر ويـا ليتنـا كنـا شـاكرين!» أفهـل تسـمح لنـا نفسـنا الطاغيـة والخبيثـة بـأن نكـون شـاكرين؟! لمـاذا نـترك جميـع المقدّمـات ونتحـدّث عـن الصـبر؟! أفهـل تسـمح لنـا نفسـنا المدلّلـة بـأن نكـون صابريـن؟! الحقيقـة هـي أننـا مـا لم نسـلك الطريـق الرئيـس أي طريـق جهـاد النفـس، لا نسـتطيع أن نتحـدث عـن أي مفهـوم راق وجميـل مثـل الشـكر والصـبر والسـخاء وغيرهـا. ولكـن بعـد الدخـول في هـذا الطريـق سـوف ينفعنـا الحديـث عـن جميـع هـذه الفضائـل كـما سـوف تنفعنـا الذكـرى في هـذا الخصـوص. بعـد مـا عرفنـا أهميـة جهـاد النفـس وموقعـه في حيـاة الإنسـان سـوف نعـرف جـذور مشـاكلنا ونـدرك بـأن تقصيرنـا في جهـاد النفـس هـو الـذي أدى إلى نقصـان صبرنـا وقلّـة شـكرنا وبخلنـا وغيرهـا.